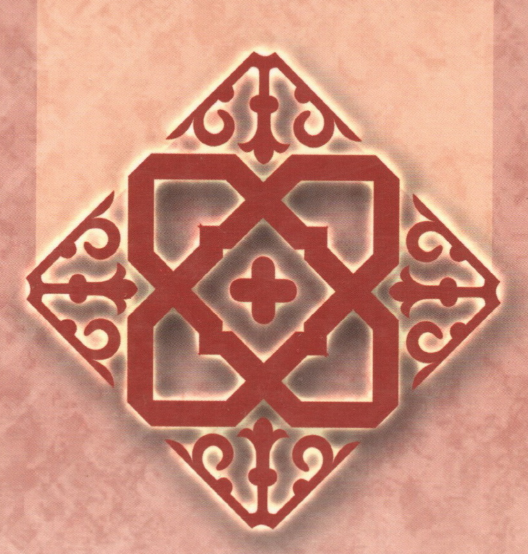
مذاهب ومصطلحات فلسفية

تأليف

العلامة الشيخ محمد جواد مغنية



وثق أصوله وحققه وعلق عليه

الأستاذ سامي الغريري (الغراوي)

مؤسسة

دار الكتاب الإسلامي


بسم الله الرحمن الرحيم



مذاهب ومصطلحات فلسفية

تأليف

العلامة الشيخ محمد جواد مغنية

وثق أصوله وحققه وعلق عليه

الأستاذ سامي الغريري (الغراوي)

مؤسسة دار الكتاب الإسلامي



الكتاب : .... مذاهب و مصطلحات فلسفية

المؤلف: .... العلامة محمد جواد مغنية (ره)

الناشر: .... مؤسسة دارالكتاب الاسلامي

الطبعة: .... الاولى ١٤٢٨هـق / ٢٠٠٧م

المطبعة: .... مطبعة ستار

عدد النسخ: ....(٢٠٠٠) نسخه

الترقيم الدولي : ٤- ٢٠٠ - ٤٦٥- ٩٦٤- ٩٧٨

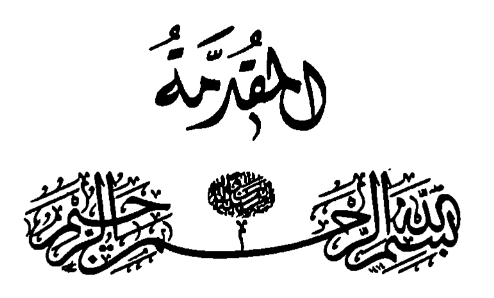
ISBN: 978 - 964 – 465 - 200 – 4

قم - ميدان معلم - سميه ٢٢ - پلاك ٢٦

تلفن: ٧٧٤٤٩٧٠ - ٧٧٣٠٩٩٤

فاكس: ٧٨٣٧٣٨٣

فَهْرِس المَوضُوعَات



الحَمْد لله رَبّ العَالَمِين، وَالصَّلاَة وَالسَّلاَم عَلَىٰ مُحَمَّد وَآله الطَّاهِرِيْن

وَبَعْد؛

فإنّ في هَذِهِ الصّفحات أو المُحاولات عرضاً وتوضيحاً لبعض المَذاهب والآراء الفَلسفيّة، وإضافات ومُلاَحظات هي من نتاج القراءة والمُطالعة الدّائمة الدّائبة مدىٰ عشرات السّنين، ومع هذا فلاَ آمن الخَطأ فيما سطّرت وعَرضت، لسَبب واضح وبَسيط وهو أنّىٰ لستُ مَعصوماً، وأيضاً لستُ مَجنوناً... وأعوذ بالله من حبائل الغُرور وعمىٰ القَلب والقصُور.

وعلىٰ أيّة حال، فإنّ الهدف الأوّل من كتابي هذا هو أنْ يُمهد سَبيل التفهم لبَعض الحقائق الفَلسفيّة، وأنْ يَخرج القَارىء منهُ وهو أدق فِكراً، وأوسع أُفقاً ممّا كان عَليه قَبل قراءته.

طَالب الفَلسفَة:

كلّ إنسَان إذا رأىٰ شيئاً، وتَساءل عن علّته، فهو من طُلاب الفَلسفَة والرّاغبين فيها، لأَنّ الفَلسفَة في واقعها هي التّعرّف علىٰ علل الأَشياء وعِلاَقة واقعها بظواهرها، ومن هُنا كانت الفَلسفَة عند الأَقدمين العِلم الكُلّي الّذي يعم ويَشمل

جَميع العُلوم بشتىٰ أنوَاعها، وكَذلكَ كان الحَال في القرن السّابع عشر المِيلاَدي. قَال أبو الفَلاَسفَة الفَرنسي ديكَارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠): «الفَلسفَة أشبَه بشَجرة جذُورها عِلم ما بعد الطّبيعة، وجذعها عِلم الطّبيعة، وأغصانها عُلوم أُخرىٰ» ولكنّه قَال أيضاً: «ليس في الفَلسفَة أمر إلاّ وفيه خلاَف».

أمّا الفَيلسُوف الألماني (ليبنتز) فقد اكتَشف من التّساءل الفطري عن علَل الأشيَاء والأحداث، مَبدأ العِلّية والسَّببيّة القَائل: «لكلّ حَادث سَبب»[1]. وإلَيك عبَارته الخَبيرة الغَزيرَة:

«لاَ واقع يُمكن أنْ يكون حقّاً أو مَوجوداً، ولاَ حُكم يُمكن أنْ يكُون حقّاً إلاّ وتكُون هُناك علّة كَافية لكُونه كَذلكَ لاَ علىٰ خلاَفه، وإنْ كانت العِلل ـ في الغَالب ـ لاَ يُمكن أنْ تكون مَعروفة لنَا». ولنَا أنْ نَعطف علىٰ هَذِه العبَارة ـ بقرينة السّياق ـ ونحمل ما خفي عَلينا من العِلل، علىٰ جَهلنا، ولاَ يسوغ بحال جحُودها والقَطع بعدم وجودها».

وكلّ العُلوم والفَلسفات وجَميع القوَانين والشّرائع والأديان السّماويّة والكُتب الإلهيّة ـ تقُوم علىٰ أساس مَبدأ العِلّية القَائل: لكلّ حَادث سَبب. ولولاَه لكَان حديث العِلم والدّين والفَلسفَة أشبَه بمَضغ الهواء، وكان العَالَم الرّشيد تمَاماً كالجَاهل البَليد.

الغمُوض والغرَابة:

معظم ما كتب في الفَلسفَة أو نِصفه ـ علىٰ الأقل ـ من الظّلمات والمُعميات... يَشتري القَارىء العادي كتَاباً لمجرد أنّه يحمل اسم فَلسفة، ويُعلق عليه أملاً

---

(١) أنظر، تفسير رُوح المعَاني للآلوسي: ٢٧ / ٧٦، دَرء تَعارض العَقل والنّقل لتقي الدّين أحمد بن عَبدالسّلام بن عَبدالحَليم بن عَبدالسّلام بن تيميّة، دَار النّشر الكُتب العِلميّة بيروت ١٤١٧ هـ، تَحقيق: عَبد اللّطيف عَبدالرّحمن: ٩ / ١٤٨.

كَبيراً في تَنويره وتَثقيفه، ولكن سُرعان ما يَصطدم بالغموض والغَرابة، فيَستعين بالهوامش والقوَاميس من غير جدوىٰ، فيَتبخر أمله، ويُلقي الكتَاب بإحتقار وآزدراء، لأَنّ القَارىء يَحترم الكتَاب والكَاتب بقدر ما يَنتفع به، ومحال أنْ يَنتفع ويَستفيد إلاّ إذا فهم وعِلم.

وتَسأل: ما هو السّبب المُوجب للصّعوبة والغَرابة؟ ألأَن مَادّة الفَلسفَة بذاتها من المشكلات والمعضلات، أو أنّ الذّنب ذنب الكَاتب لاَ ذَنب الفَلسفَة؟.

الجوَاب:

إنّ الفَلسفَة كأي عِلم من العُلوم، في موادها اليُسير والعَسير علىٰ الأَفهام، وأيضاً الذّين يَكتبون ويُؤلّفون علىٰ وجه العمُوم وفي أي مَوضوع كان، منهُم مَن يَعجز عن التّعبير لأَنّه مُعقد بالذّات لاَ بالعرض، وآخر لُغته ضَعيفة وهَزيلة، وثالث يَقدر علىٰ الكلاَم المَفهوم، ولكنّه لاَ يَرغب فيه، ويَطلب من القارىء أنْ يَبذل جُهداً مَريراً في تفهم معَانيه، عسىٰ أنْ يقال: أنّ عِلمه لعَظمته صَعب المنَال!. وكَان الأَجدر بِهِ أنْ يَبذل هو أقصىٰ الجُهد في تحري الوضُوح والبَساطة، والبُعد عن الفظَاظة والغَلاظة في أُسلوبه وعباراته، نقول هذا علماً بأنّ التّعبير والإبانة سَليقة ومُوهبة وأنّ أُسلوب الإنسَان هو نَفس الإنسَان، ومع ذَلكَ نُؤمن ونُوقن بأنّ للجُهد الجَهيد والتّكرار الدّائب ثمَاره وآثاره.

أمّا الغمُوض والصّعوبة في بَعض المواد والنّظريات، فلاَ تَستعصي علىٰ الحل حتّىٰ ولو كانت أصعَب وأخفىٰ من النّظريّة النّسبيّة[1] فَقد رأينا أقلاَماً تُسهل العَسير، وتُوضح المشكل والمُتشابه حتّىٰ كأنّه من البَديهات أو أوضح، وأيضاً

(١) آقرأ فصل نَافذة علىٰ النّظرية النّسبيّة.

رأينا أقلاَماً تُعمي البَصير، وتُعسر اليَسير. ورحم الله أُستاذنا السّيد الحـمّامي[١]، فَقد كان من دَأبة أنْ يُكرر العبَارة ويُعيدها إذا كان المَطلب صَعباً مُستصعباً، وكنتُ أصيح وهو يُعيد: واضح سَيِّدنا واضح... فيقول بـبرُودة اللّاَمُكـترث: «أجـل، ولكن بَعد البَيان».

إشَارة إلىٰ المُحتوىٰ:

كان من المُمكن أنْ أعرض الفَلسفَة وما فِيها من مذَاهب وآراء ومُصطلحَات، أكثَر ممّا سَطّرت وكَتبت... والفُرصة مُتاحة لي لو أردت، فإنّ مَكتبتي مُـتخمة بالأَسفار الفَلسفيَّة القَديمة والحَديثة، مِنهَا الطّويل، ومِنها القَصير، ومِنها ما بَـين ذَلكَ، وأكثرها مُترجم عن اللّغات الأَجنبية بما فيها اللّغة الصّـينيَّة، والرَّوسـيَّة، والأُرديَّة، ولكن سَبق أنْ نَشرت ستّة مؤلفات في الفَلسفَة، فـقررت أنْ تَـقتصر فصُول هذا الكتَاب علىٰ أمرَين فَقط:

١ ـ إعطاء فِكرة واضحة عن بَعض الفَلسفات أو التّيارات السّائدة في العصر الرّاهن بخاصّة الإلحاديَّة التّي يَجهلها أكثر الدّعاة إلىٰ دين الله أو الكَـثير مـنهم، عرضت هَذِه الفَلسفات مع النّقص والرَّد بمَنطق العَقل وبَديهته.

٢ ـ أنْ أُفسّر بَعض المُصطحات الفَلسفيَّة والعِلميَّة الأَكثر شيُوعاً وآستعمالاً كالتكنولوجيا والدّيناميكا ومَا أشبه.

وبه تَعالىٰ نَستمد العَون والتّوفيق، وعَليه وحده نتُوكل، ونُصلّي علىٰ النّبي وآله.

---

(١) هو السَّيّد حُسين آبن السَّيّد عليّ آبن السَّيّد هَاشم، وُلد فـي النّـجف الأَشـرف سـنَة (١٢٩٨هـ ـ ١٣٧٩هـ) المُوسوي النّجفي الحمّامي، ولقبهُ الحمّامي جَاءهُ مِن قبل جدّه السَّيّد هاشم الّذي كَان يَملك حمّاماً في حيّ المِشراق في النّجف الأَشرف وقَد شَارك في ثَورة العِشرين تحت لوَاء السَّيّد مهدي الحَيدري وله كتَاب مَوسوم بـ« هدَاية المُسترشدين » المَطبوع الطّبعة الأُولىٰ باللُّغة الفَارسيَّة والثّانيَّة باللّغة العَربيَّة في المَطبعة العِلميَّة (١٣٧٣ هـ). أُنظر، أعيَان الشّيعة السَّيّد مُحسن الأَمين: ٦ / ١٣٢.

الأَوّليات الفِطرية هي الأَساس

مَا بالذَات لاَ يُعلّل :

المُراد بالأَوّليات الفِطرية كلّ ما يُدركه الإِنسَان تلقَائياً، وبلاَ دليل ومُقدمات، بل يؤمن به بمُجرد التّصور ودون روية وتأمل، ويَشترك في هَـذِه المَـعرفة كـلّ النّاس، سواء فيها العَالِم والجَاهل، وتُسمّىٰ أيضَاً بديهية وضَـرورية، والأَمـثلة علىٰ ذَلكَ أكثَر مِن أنْ تُحصىٰ، مِنها: علىٰ الجَاهل بشـيء أنْ يَسأل العَـالِم بـه، وعلىٰ المَريض أنْ يُراجع الطّبيب، وعلىٰ صَاحب الحَاجة أنْ يَسعىٰ فـي قـضَاء حَاجته. ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]. قَـال المـلّاصَدرا فـي الأَسـفار: «لاَ يُمكن تَحصيل الأَوّليات بالإِكتساب والبُرهان، ولاَ بالتّعريف الحدّي أو الرَّسمي إذ لاَ شيء أعرف مِنهَا. ومَن ناقش في ذَلكَ فلاَ يَستحق المُكالمة والمُناظرة»[2]. لأَنّه تمَاماً كجدَال مَن يُنكر عَليك عِلمك بأنّك مَوجود!...

وإِنّما سمّيت هَذِه الحقائق أَوّلية، لأَنّ دلاَلتها ذَاتية، وما بـالذات لاَ يُـعَلل[3] (أي لاَ يَحتاج إِلىٰ دَليل) بل يَستدل به علىٰ غَيره، ولاَ يَستدل بغَيره عَليه. ومن

---

(١) البَقرة: ٢٨٦.

(٢) أُنظر، الحِكمة المُتعالية في الأَسفار العَقلية الأَربعَة، لصَدر الدِّين مُحمّد الشّيرازي: ٣ / ٤٤٣.

(٣) أُنظر، المواقف في عِلم الكَلام: ٣ / ١٥٥، شَرح المَواقف للجرجاني: ٨ / ١١٣، تَفسير البَيضاوي: ٥ / ٢١٤.

المُستهجن عِند أهل العُرف أنْ تَسأل: لمَاذا يَطير الطّائر بجنَاحَيه، ويَمشي الإنسَان علىٰ رِجليه، ويأكل بفَمه، ويَنطق بلسَانه ؟.

وتَسأَل: إنّ الأوّليات البَديهية أو المُعطيات الأوّلية، لاَ تنحصر بالعَقل الفِطري، فإنّ الحسّ أيضاً من هَذِه المُعطيات كرؤية اللّيل والنّهار، والجَبال والبحَار ؟.

الجوَاب:

إنّ العَقل الفِطري شرط أسَاس لسلاَمة الحسّ وصحة التّجربة حتّىٰ الوحي لاَ يكون حجّة مُلزمة، ووسيلة للإِثبات إلاّ أنْ يَحكم العَقل بإمكانه وصِدقه. وفي كتَاب الأسفَار: «إنّ الحواس لاَ تَعلم أنّ للمَحسوس وجوداً، بل هذا من شأن العَقل»[1]. وبهذَا نجد التّفسير السّليم لقَول الرّسول الكَريم ﷺ: «أَصل دِيني العَقل»[2]، ونَعرف الحِكمة من اهتمام القُرآن بالتّعقل والتّأمل. وإذن فذِكر البَديهة ذِكر للحسّ.

الإسلاَم من المُعطيَات الأوّلية:

استدل أرباب الأقلام، بالعَديد من الشّواهد والدّلائل علىٰ صِدق الإِسلام وعَظمته، ووضعوا في ذَلك الأسفار الطّوال والقصَار... وممّا قَالوا: أنّ الإِسلام من المُعطيات الأوّلية، يَحمل في طَبيعته الدّليل علىٰ صحته وحجّته، لأنّه يُعلن بصرَاحة لكلّ الأجيال أنّ أي شيء يَسند إليه دون أنْ تَشهد وتَحكم به بَديهة العَقل مُباشرة أو بالوَاسطة، فمَا هو من دِين الإسلام في شيء. ومَعنىٰ هذا أنّ الإسلام يُقاضي خصُومه إلىٰ العَقل، ولاَ دَليل وراء كمَا أشرنا. وعَليه يكُون الإستدلال

(١) أنظر، الحِكمة المُتعالية في الأسفار العَقلية الأربعَة، لصَدر الدّين مُحمّد الشّيرازي: ٣/ ٤٩٨.

(٢) أُنظر، مُستدرك الوسَائل: ١١/ ١٧٣ ح ٨، عوالي اللآلي: ٤/ ١٢٥ ح ١، الشّفا بتَعريف حقُوق المُصطفىٰ: ١/ ١٤٦.

بالمُعجزة الخَارقة علىٰ نبوّة مُحَمَّد ﷺ، من بَاب التّأكيد وزيَادة في التّدليل.

العَقل النّظري:

وهُو الّذي يَنتقك بك من مَعلوم حَاضر إلىٰ مَجهول غَائب، من حَقيقة بدِيهيّة إلىٰ حَقيقة نَظرية ـ مثلاً ـ نحنُ نَعلم ببديهَّة العَقل أنَّ الرَّعية تَعيش بأمَان وحُريَّة إنْ كان لها نظَام عَادل، ورَاع سَاهر علىٰ حُرمته وكرَامته، فإذا رأينا بَلداً يَعيش فيه المُواطن خَائفاً علىٰ نَفسه وعيَاله وأموَاله عَلمنا بالضّرورة أنّه يَعيش من غير نظَام أو في ظل نظَام جائر أو رَاع غير صالح أو هُما معَاً.

مثَال آخر: كلّنا يَعلم بأنّ لاَ عِلم بلاَ عَقل حتَّىٰ عن طريق الحسّ كما سَبقت الإشارة، ونَنتقل من عِلمنا هذا إلىٰ أنّ حضَارة الخلاَعة والإستغلال وأدب اللاّمعقول كلاَهما جهَالة وضلاَلة.

وبَعد، فمَا العُلوم بكاملها ولاَ الفَلسفات والمنَاهج بأنواعها ولاَ الفنُون والآداب بأشكالها إلاّ أجزاء من خِبرَة الفِكر والعَقل. قَال اَسبينوزا: «إذا غَاب العَقل ظهرت الخرَافة، وإذا سَادت الخرَافة ضَاع العَقل» [1] وهذا هو حُكم الإسلام بالذات، وعلىٰ أسَاسه اتّفق الأقطاب من عُلمائه علىٰ أنّ ظاهر الشّرع إذا تَعارض مع العَقل أوّلوا هذا الظّاهر تأوّيلاً يُعطيه من المَعنىٰ ما يتّفق مع حُكم العَقل [2].

---

(١) أنظر، كتَاب رسَالة في اللاّهوت والسّياسَة: ١٣ تَرجمة حَسن حَنفي.

(٢) أنظر، الشّيعَة في المِيزَان تَأليف مُحَمَّد جوَاد مُغنيَّة: ٨٢٥ بتَحقيقنا. دَرء تَعارض العَقل والنّقل لتقي الدّين أحمد بن عَبدالسّلام بن عَبدالحَليم بن عَبدالسّلام بن تَيميَّة، دَار النّشر الكُتب العِلميَّة بَيروت ١٤١٧ هـ، تَحقيق: عَبد اللّطيف عَبدالرّحمن: ٩ / ١٤٨.



حَول فَلسفَة الإشرَاق

مَعنَاه:

الإِشراق في اللُّغة: الإِضَاءة، يُقال: أشرقت الشّمس إِذا أضَاءت[1].

والمَنقول عن السّهروردي: أنّ الإِشراق في الإِصطلاح هو «ظـهُور الأَنـوار العَقلية»[2]. أي أنّ النّور علىٰ نَوعين: ظَاهر كنُور الشّمس، وبَاطن كنُور العَقل، وهذَا النّور هو المُراد بالإِشراق[3].

التّصوف:

التّصوف علىٰ أقسَام، منهُ ما هو مَقبول ومَعقول كالقنَاعة والزّهد القَائم عـلىٰ العَقل والشّرع. ومِثاله مَا جاء في وصف الرَّسول الأَعظمﷺ: «كان في طعَامه لاَ يَرد مَوجوداً، ولاَ يَتكلف مَفقوداً»[4].

---

(١) أُنظر، مَجمع البَحرين: ٢ / ٤٩، الصّحاح للجَوهري: ١ / ٣٠٠، لسَـان العَـرب: ٢ / ٢١٦، مُـختار الصّحاح لمُحَمَّد بن عَبدالقَادر: ٤٠.

(٢) أُنظر، المَبدأ والمعَاد، لصَدر الدِّين مُحمّد الشّيرازي: ١٣٩.

(٣) أُنظر، الفتُوحات المكّية لاِبن العَربي: ٣ / ٢٧٥، تَاج العروس للزّبيدي: ٧ / ٥٦٣، مُفردات غَريب القُرآن للرّاغب الإِصفهاني: ٥٠٨، الفُروق اللُّغويّة لأِبي هلاَل العَسكري: ٣٣٢.

(٤) أُنظر، سُبلُ الهُدىٰ وَالرَّشَاد في سيرة خَير العباد لمُحَمَّد بن يُوسُف الصَّالحي الشَّاميّ المُـتوفَّىٰ سَـنَة (٩٤٢ هـ) دراسَة وَتَحقيق وَتَعليق الشَّيخ عادل أَحمَد عَبدالموجُود وَالشّيخ عليّ مُحَمَّد مـعوض، دار الكُتب العلميّة لُبنان طَبع سَنَة (١٤١٤هـ): ٧ / ١٨١.

وقَال الإمام أمِير المُؤمنِين عَليّ ﷺ: «ألاَ وإنّ إمَامكم قد أكتفىٰ من دُنياه بطمريه، ومن طَعمه بقُرصَيه. ألاَ وإنّكم لاَ تقدرون علىٰ ذَلكَ، ولكن أعينُوني بورعٍ وإجتهادٍ، وعفّةٍ وسدَادٍ»[١].

وقسّم آخر من التّصوف يَشطح بصَاحبه إلىٰ اللاّمعقُول، إلىٰ أقتلاع كلّ مَيل ورغبَة من الجذور! ومَعلوم أنْ الإنسَان يَعيش برُوحه وجِسمه معاً، ولاَ مَهرب له من أحدهما مَهما وضع عَليه من أثقَال. والعَاقل يوازن بَينهما، ولاَ يَدع أحدهما يَطغىٰ عَلىٰ الآخر.

وقسّم ثَالث من التّصوف لاَ يأخذ العِلم من الحسّ والدّرس، بل من الله مُباشرة عن طريق الجُوع والقَهر والصّبر عن المَلذات والشّهوات.

وقَال رَابع: الطّريق الوَحيد إلىٰ الإتّصال بالله هو السّكر والنّشوة بحبّه وعِشقه!... إلىٰ آخر هَذِه الخرَافات والجهَالاَت[٢].

السّهروردي:

أما السّهروردي[٣] الشّهير بفَلسفته الإشراقيَّة فإنّه يُؤمن بفكرَة التّصوف،

---

(١) أنظر، نَهج البلاَغة: الرّسالة «٤٥» إلىٰ عُثمان بن حُنيف الأنصَاري.

(٢) أنظر، مَصرع التّصوف تأليف برهان الدّين البقاعي، دار النّشر، عبّاس أحمد البّاز، مكّة المُكرمة سنَة (١٤٠٠ هـ)، تَحقيق: عَبدالرّحمن الوكِيل.

(٣) هو شهَاب الدّين يَحيىٰ بن حبش بن أميرك السّهروردي، صَاحب السّيمياء الشّافعي، الحَكِيم الصُّوفي، المُتكلّم، لهُ من الفِقه والأُصُول يَد، وُلد في سَهرورد من قرىٰ زنجان، نَشأ في مرَاغة، وعَاش في إصفهان ثُمّ رحل إلىٰ بغداد وحَلب. ولهُ من الشّعر والأَدب والنّثر عامّة يَد، أفتىٰ الفُقهاء بإباحة دَمه لمّا نُسب إليه من إنحلال في العَقيدة، لهُ مُؤلفات مِنها: التّلويحات، التّنقيحات، حكمَة الإشراق، هيَاكل النّور، الألواح العمَاديّة. مَات خَنقاً في السّجن سنَة (٥٨٧ هـ). وهو الإمام العَالم الفَاضل بزغ في ⟸

ويُكفّر بمَا يَصطدم مع العَقل كقَمع الشّهوات من الأَساس، ولاَ يَمنع البحث والدّرس، ولكنّه يقول: من المُمّكن والجَائز أنْ يَصبح العَقل مُجرد نور كنُور الشّمس والكَهربَاء عن طَريق جهَاد النّفس وحَملها علىٰ الفضَائل، وترويضها علىٰ الحدّ من الأَهواء، وعَندئذٍ يَتم للعَقل الإستعداد لتَلقي الغَيب من الله في النّوم أو اليَقظة، حَيث قَال:

«النّفوس العَاقلة إنّما يَشغلها عن عِللها سُلطان القوىٰ البَدنيّة، فإذا قَويت النّفس بالفضَائل الرّوحانيّة ضعف سُلطان القوىٰ البَدنيّة بتَقليل الطّعام وتَكثير السّهر ـ وعِندئذٍ ـ تَتخلص أحيانا إلىٰ عَالم القُدس، وتتّصل بالله، وتتلقىٰ منهُ المعَارف»[1]. ثُمّ ضَرب السّهروردي مثالاً لذَلك حيق قال: «إنّ الحَديدة إذا قَربت من النّار تَصير حَامية مِثلها، وتَفعل فعلها، وهَكذا العَقل الخالص إذا قَرب من نُور الأَنوار (أي من الله) يَستشرق ويَستضيء ويَستنير بنُور الله[2]».

وبأُسلوب آخر إنّ أكثر الصّوفيّة أو الكَثير منهُم لاَ يُقيمون أي وزن وشَأن للعَقل ونَظره، ويَعتمدون علىٰ الرّياضة الرّوحية وتَجربتها كطَريق وحيد للإتّصال بالله بلاَ واسطة العَقل، أمّا الإشراقيون فيَعتبرون هَذه الرّياضة وسِيلة لصفَاء العَقل

⇐ العُلوم الفَلسفيّة بارعاً في الأُصول الفَلكيّة، مُفرط الذّكاء جَيد الفِطرة فَصيح العبَارة لم يُناظر أحداً إلاّ بزّه، ولم يُباحث مُحصّلاً إلاّ أربىٰ عَليه وكان عِلمه أكثر مِن عَقله.

أُنظر، تَرجمته وَفيَّات الأَعيَان لابن خلّكان: ٦/٢٦٨ تَحت رَقم «٨١٣»، مُعجم الأُدبَاء، لأَبي عَبدالله يَاقوت الحَمويّ البَغدَاديّ المغَازيّ (ت ٦٢٦ هق): ١٩/٣١٤ تَحت رَقم «١٢٣»، لِسَان المِيزَان لابن حَجر العَسقلاَني: ٣/١٥٦ تَحت رَقم «٥٥٣»، مرآة الجنَان لليَافعي: ٣/٤٣٤، شَذَرَات الذّهَب فِي أَخبَار مَن ذَهَب لابن العِمَاد: ٤/٢٩٠، سِيَر أَعلاَم النُّبلاَء: ٢١/٢٠٧ تَحت الرّقم «١٠٢»، عيُون الأنبَاء في طَبقات الأَطباء ـ ابن أبي أُصيبعَة ـ: ٦٤٥ ـ ٦٤١.

(١) أُنظر، كتَاب هياكل النّور: ٨٥ الطّبعة الأُولىٰ.

(٢) أُنظر، كتَاب هياكل النّور: ٨٦ الطّبعة الأُولىٰ.

وخلُوِصه من الشّوائب، وعن طَريقه يَتم الإتّصال بِهِ سُبحانه. ومَعنىٰ هـذا أنّ الإِشراق ضَرب من التّصوف، والفَرق بين الإِشراقي وغَيره من الصّوفيَّة أنّ غـير الإِشراقي يتّصل بالله بواسطة الرَّياضَة فقط ولاَ حاجة به إِلىٰ العَقل، أمّا الإِشراقي فيتّصل به تَعالىٰ عن طريق العَقل الخالص الَّذي تَمّ نَـقاؤه وصَـفاؤه مـن الهـوىٰ بعَملية التّدريب والتّرويض. وبكَلمة الإِشراق تَصوف عَقلي.

هذَا تَلخيص لمَا فَهمته ممّا قرأتُ وطَالعت عن فَـلسفة الإِشـراق. والعِـصمَة لأَهلها.

الحُكم بَين المَوضُوعي والذّاتي

الغُرور الأَحمَق :

من أَعجب العجب أنْ يَتيه الغُرور بصَاحبه إلىٰ حدّ الإدعاء حُـمقاً بأنّ كَـلمة الحقّ لاَ تَخرج إلاَّ من فَمه وحدَه ولاَ شَريك له !.

والمُناسبة لهَذه الإشارة أنّي قرأتُ الآنْ في الجرائد اللُّبنانيَّة إعـلاَناً لكَـاتبه، جَاء فيه مَا نصّه بالحَرف الوَاحد : « يُعلن أنّه هُو وحدَه ـ الضّمير للكَاتب ـ يتحَمّل مَسـؤولية الشّـؤون الدّيـنيَّة ... والصّـالح لإقـرار المُـؤسّسات والشّـخصيات الرُّوحيَّة ... والمُعتمد للمَرجعيَّة العَامّة ... في العَالَم فِيما يَتعلق بالأُمُور الدّيـنيَّة والإجتماعيَّة والإنسانيَّة عمُومَاً »[1].

أبداً لاَ إنسانيَّة لأَي إنسَان، ولاَ روحانيَّة لأَي عَالم ديني مَهما بَلغ من التّقوىٰ، والورع، والفَضل، والإجتهاد إلاَّ بإقرار المُعلن وتَعميده وجَعله وتَقريره وإلاَّ فهو مُحرّف ومُزيّف !.

أَليس مَعنىٰ هذا أنّ مَا يَخرج مِن فَمه هو تَنزيل من عَليم حَكيم ؟.

الحُكم الذّاتي :

المُراد بالحُكم الذّاتي هُنا الرَّأي النّابع من رغبَات الإنسَان وميُوله كإعلاَن هذا

---

(١) أُنظر، جَريدَتي النّهار والسّفير، تأريخ (١٨ / ٦ / ١٩٧٧م).

المُستعلي عن نَفسه... وكرَأي الأُمّ في آبنها، والعدوّ في عدوّه... وقد يَنبع الرَّأي الذّاتي من عُقدة في النّفس أو الشّعور والإحساس. قَال ستوارت ميل: «إنّ بَعض العُلماء يُهمل نصف مَا يَرىٰ، وبَعضهم الآخر يُضيف إلىٰ ما يَراه بعَينيه شَيئاً ممّا تَخيله، فيَخلط بين الحَقيقة والخَيال».

وتَسأل: مَا من أحد إلاّ ويَحكم من خلاَل نَفسه حيث يَستحيل عَليه أنْ يَتجرد عن ذَاته ويَنفصل عَنها؟.

الجوَاب:

لاَ أحد يَطلب من الإنسَان أنْ يَخرج من جِلده، ويَتحول إلىٰ حَقيقة غَريبة عنهُ، وإنّما المَطلوب منهُ أنْ يكُون حُكمه ورَأيه ثَمرة البحث الدّقيق الوَافي لاَ نَتيجة الحبّ والحِقد والتّعصب الأَعمىٰ.

أجَل، هُناك أحكام وآراء ذَاتية لاَ تُوصف بخَطأ أو صوَاب، لأنّها تَخصّ الشّخص وحدَه، ولاَ دخل لها في شؤون النّاس مِن قَريب أو بَعيد كرَغبته في هذا النّوع من الطّعام أو الشّراب أو هذا اللّون من الزّهر أو الثّياب دون ذَلك... ومَا إلىٰ ذَلك ممّا لاَ قياس لهُ ولاَ قَاعدة، ومن أجل هذا سمّي هذا النّوع بالحُكم الشّخصي والذّوقي والمزَاجي.

ومن الجَهل والخَطأ أنْ يَحدث فيه خلاَف ونقَاش مع الفرض بأنّه لاَ يمس حيَاة أحد كمَا أشرنَا.

الحُكم المَوضُوعي:

الحُكم المَوضوعي علىٰ العَكس من الحُكم الذّاتي، يَنبع من نفس المَوضوع، أمّا الذّات هُنا فهي أشبَه بآلة التّصوير تَعكس الشّيء عَكساً مُجرداً عن الميُول والعَاطفَة.

وهُنا سؤال يَطرح نَفسه، وهو هَل يَستطيع الإنسَان أنْ يُدرك الشّيء، أي شيء، عَلىٰ حَقيقته ومن شتّىٰ جهَاته ؟.

الجوَاب:

كلاّ، فإنّ الإنسَان إنّما يُدرك من الشّيء مَا يَدخل في حدُود فَهمه وشعُوره، ومَا عدَا ذَلكَ فهو غَريب عنهُ وعن تَصوره حتّىٰ الشّيء الّذي يَتصوره ويُدركه لاَ يَعرف منهُ إلاّ القَليل ـ مثلاً ـ القَاضي يَستمع للمُتداعيَّين وشهُود العَيان، ويُناقشهم مُناقشة دَقيقة وَافية، ومع ذَلكَ قَد يَخطىء، ويَرىٰ المَوجود مَعدوماً والمَعدوم مَوجوداً، فيكف بمَن يَحكم بمُجرد النّظرة أو اللّمحة ؟ ومن هُنا قَال الفَلاَسفَة أو الكَثير منهُم: « أنّ التّعريف بالحدّ الحَقيقي مُتعذر أو مُتعسر، وَأنّ التّعريفات بكَاملها لَفظية لُمجرد التّقريب إلىٰ الفَهم وكَفىٰ »[1].

الذّات القُدسيّة:

وإذا تَعذر عَلينا فَهم الأَشيَاء التّافهة علىٰ حَقيقتها كالذُّبابة والنّملة، ونحنُ نرَاها بالعَين لاَ بالأَثر فَقط، فبالأَولىٰ أنْ نَعجز عن إدراك ما لاَ يُرىٰ بالبَصر والبَصيرة كالذّات القُدسيّة التّي لها الخَلق والأَمر كلُّه. وبهَذا نَجد تَفسِير الحدِيث الّذي ذَكره الكلُيني في أُصول الكَافي: « تَكلّموا في خَلق الله، ولاَ تكلّموا في الله، فإنّ الكلاَم في الله لاَ يَزداد صَاحبه إلاَّ تَحيّراً »[2].

أجل، لكَ أنْ تَنعتهُ سُبحانه ـ علىٰ سَبيل التّقديس والتّمجيد ـ بالجلال

---

(١) أنظر، غَاية المرَام في عِلم الكَلاَم، لعَليّ بن أبي عليّ بن مُحمّد بن سَالم الآمدي: ١/٢٨، نَشر دَار المَجلس الأَعلىٰ للشّؤون الإسلاميّة بالقَاهرة سنَة (١٣٩١ هـ)، تَحقِيق: حَسن مَحمُود عبداللّطيف.

(٢) أنظر، الكَافي: ١/٩٢ح ١، شَرح أُصول الكَافي: ٣/١٤٧، روضَة الوَاعظين: ٣٧، التّوحيد للشّيخ الصّدوق: ٤٥٤ ح ١، الهدَاية للشّيخ الصّدوق: ١٤.

والكَمال والتّنزيه عن المَثيل والنّظير، ولكن هذا شيء وإدراك الذّات بكُنهها وحَقيقتها شيء آخر.

وقَد يقُول قَائل: مَا دامت ذَات الخَالق غَيباً في غَيب، فمَعنىٰ ذلك أنّه في عُزلة عنّا ومَنأىٰ، وعَليه لمَاذا نؤمن بهِ، ونَتعبّد له؟.

الجوَاب:

أنّه تعالىٰ غَائب في ذَاته القُدسيَّة، ولكنّه حَاضر في عِلمه ومَقدرته، وفي رُسله وشَريعته، وفي تَدبيره وعنَايته، وفي حسَابه وثوَابه وعقَابه، وفي الآية: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[1]، وفي الآية: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[2].

وفَي نَهج البلاَغَة: «الظّاهر بعَجائبِ تَدبيره للنّاظرين، والبَاطِن بِجَلاَل عزّته عَن فِكر المُتوهّمين»[3].

(١) سُورَة ق: ١٦.

(٢) هُود: ٥.

(٣) أُنظر، نَهج البَلاَغة: الخُطبَة (٢١٣).

بَين المَنطق القَدِيم والمَنطق الحَدِيث

كَلمة المَنطق :

مُشّتقة من المَنطق ، وهو نوعَان : نُطق خَارجي وهو اللّفظ ، ونُطق دَاخلي وهو الفَهم والإدراك . وبَينهما عمُوم وخصُوص من وَجه ، يَفترق الخَارجي عن الدّاخلي في كلاَم المجنون ، والدّاخلي عن الخَارجي في التّفكِير السّليم بلاَ كلاَم ، ويَجتمعان في الكلاَم المَعقول ، ولكن كَلمة « مَنطق » أصبحت بالإستعمال الشّائع مُرادفَة لعِلم المَنطق أو للعَقل ، ولذَا عرّفوا الإِنسَان بالحَيوان النّاطق ، وهُم يُريدون أنّ الإِنسَان يَمتاز عن سَائر الحيوَانات بقُدرته علىٰ النّطق بالمَعقول[1] .

مُؤسّس عِلم المَنطق :

هو الفَيلسُوف اليُوناني الشّهير أرسطو « ٣٨٤ ـ ٤٤٧ ق م » تِلميذ أفلاطون ومُعلّم الإسكندر الكَبير ، ويُسمّيه الفَلاَسفَة العَرب المُعلم الأوّل ، وكان أُستاذه يُسمّيه العَقل ، فَقد روىٰ الرّواة أنْ أفلاطون حِين يَجلس في حَلقة الدّرس لاَ يَشرع به ، فإذا أُستدعي لهُ قَال : حتّىٰ يَحضر العَقل ، فإذا جَاء أرسطو قَال

---

(١) أنظر ، مُختار الصّحاح لمُحَمَّد بن عَبدالقَادر : ١ / ٢٧٧ ، النّهاية في غَريب الحَديث : ٤ / ٢٤١ ، لسَان العَرب لاِبن مَنظور : ٢ / ٣٠ .

أفلاطون : حَضر العَقل[١] .

مَوضوع المَنطق :

الفِكر الإنساني أي العَمليات الفِكريَّة والقوَانين والشّروط الضّروريَّة للوصُول إلىٰ حُكم سَليم ، يَقبله كلّ مُفكر عَادي[٢] .

تَعريف المَنطق :

فنّ التّفكير أي يُعلمنا المَنطق كَيف يَنبغي أنْ نُفكّر لكي نُميز بَين خَطأ الفِكر وصوَابه[٣] .

غَاية المَنطق :

الإبتعاد عن سُوء الفَهم ، أو قُل : الوصُول إلىٰ الحَقيقة .

ومن كلّ ذَلكَ يتّضح لنَا أنّ المَنطق لَيس جزءاً من عِلم ، وإنّما هو مُستقل بقوَانينه ومَبادئه ، بل هو مِعيار ومَنهج لكلّ العُلوم ، تُقاس هي به ، ولاَ يُقاس هو بشيء مِنهَا ، ومن هُنا تَجب درَاسته قَبل الخوض في العُلوم حيث لاَ يسوغ درَاسة العِلم ومَنهجه في آنٍ واحد .

---

(١) لُقّب بالمُعلّم الأوّل لأنّه أوّل مَن وضَع المَنطق ، وهُو طَبيب مَشهور ، أخذ الحِكمة من أفلاطون اليُوناني ، فَاق جَميع تلاَمذته . سُمّيت مَدرسته بالمَدرسة المشّاوئيّة لأنّه كان يُعلّم وهو يَمشي وكَتب في المَنطق والطّبيعة والمِيتافيزيقيا والأخلاق والشّعر .

أُنظر ، عيُون الأنبَاء في طَبقات الأطباء ـ أبن أبي أُصيبعَة ـ : ٨٩ ، دَائرة المعَارف للبُستاني : ٣ / ٧٥ ، المَوسوعة الفَلسفيّة : ١ / ٩٨ ، دَائرة معَارف القرن العِشرين : ١ / ١٦٤ .

(٢) أُنظر ، الحِكمة المُتعالية في الأسفار العَقلية الأربعَة ، لصَدر الدّين مُحمّد الشّيرازي : ١ / ٤٢٢ من السّفر الرّابع ، رسَالة في مَوضوع عِلم المَنطق لحَفيد الشّهاب أحمد العطّار من أبنَاء القَرن الرّابع عَشر الهِجري .

(٣) أُنظر ، كَشف الظّنون ، حاجي خَليفَة : ١ / ٧ .

وعَامّة النّاس في حوَارهم وأحاديثهم اليَوميَّة ومَا يَدور بَينهم من نقَاش، ويَشرحون من آراء ومُعتقدات ـ يَسيرون علىٰ مُقتضىٰ المَنطق وعِلمه وقوَاعده مِن حَيث لاَ يَشعرون(١).

المَنطق الصّوري:

يَنقسم المَنطق إلىٰ نوعَين: صُوري وتَطبيقي، ونَتحدث عن التّطبيقي في الفقرة التّالية، والآنْ نَتكلّم عن الصّوري، وأيضاً يسمّىٰ بالمَنطق القَديم، وبالنّظري، والأُورسطي نسبَة إلىٰ واضعه أرسطُو. ويقوم الإستدلال والإستنباط في هذا المَنطق علىٰ آتّساق الفِكر وآنسجامه مع نَفسه بحيث تكون الفِكرة واضحة في ذَاتها والنّتيجة مُطابقة لمُقدّماتها شكلاً وظَاهراً بغض النّظر عن صلاَتها بواقع الحيَاة ومقُوماتها وعن أي شيء من الأَشيَاء الخَارجيَّة.

ومن أَقيسة هذَا المنطق: هذِه نَار، وكلّ نَار مُحرقة، فهَذه مُحرقة.

والصّفات العَامّة للمَنطق الصّوري ثلاَث:

١ ـ تَرتيب النّتيجة علىٰ المُقدّمات حَتماً وقَهراً.

٢ ـ لاَ تَصدق النّتيجة ولاَ تكذب إلاّ علىٰ آفتراض صدق المُقدّمات أو كذِبها.

٣ ـ لَيس في النّتيجة مَعرفة زائدة علىٰ مُقدّمتها.

وعَليه فلاَ يصحّ أنْ يُسمّىٰ المَنطق الصّوري إستدلاَلاً، إذ لاَ يَستنتج من المَعلوم شيء مَجهول.

ومن هُنا قَال كَثير من الفَلاَسفَة الجُدد: أنّ قِياس المَنطق الصّوري تَحصيل

---

(١) أنظر، أَبجَد العُلُوم الوَرشي المَرقُوم في بَيان أَحوال العُلُوم لصّديق بن حَسَن القنُوجي: ٢ / ٥٤١ نَشر دَار الكُتب العلمية بَيرُوت سَنَة ١٩٧٨م، تَحقِيق: عَبدالجَبّار زَكّار.

للحَاصل، وتَطويل بلاَ طَائل[١] تـمَاماً كـمَن « فسّـر (شـبّه) المَـاء بَـعد الجُـهد بالمَاء »[٢]!. هذا إِذا كان القِياس صَحيحاً كالمثَال السّابق « هَذه نَار... إلخ ».

أمّا إِذا كان كَاذباً كقِياس السّفسطائي الّذي رَأىٰ صُورة حصَان عـلىٰ حَـائط فقال: هذا حصَان، وكلّ حصَان صَاهل، فهذا صَاهل ـ فهو تَسطير كلاَم ولقـلَقة لسَان.

ثُمّ أنّ مبَاحث المَنطق الصّوري تَنقسم إِلىٰ ثلاَثة أقسَام:

١ ـ التّصورَات، ويُبحث فيها الأَلفاظ ودلاَلتها وأنوَاعها، والحدّ والرَّسم.

٢ ـ التّصدِيقات، ويُبحث فيها القَضايا وأنواعها وأحكَامها.

٣ ـ القِياس، ويُبحث فيه الحُجج والبرَاهين وأنوَاعها[٣].

المنطق التّطبيقي:

ولكي يتّضح الفَرق بين المَنطق التّطبيقي والصّوري نُـمهّد أوّلاً بـالإِشارة إِلىٰ أهم الفرُوق بَين الفَلسفَة القَديمة والحَديثة علىٰ وجه العمُوم.

---

(١) قسّموا الإِستدلاَل المَنطقي إِلىٰ ثلاَثة أنوَاع:

الأَوّل: الإِستدلاَل بالكلّي علىٰ الجُزئي، وهو الإِستنباط.

الثّاني: الإِستدلاَل بالجُزئي علىٰ الكُلّي، ويُسمّوه الإِستقراء.

الثّالث: الإِستدلاَل بالجُزئي علىٰ الجُزئي، وأطلقوا عَليه أسم التّمثيلي، ويَنحصر الحَديث هُـنا بالمَنطق الإِستنباطي فقطّ، وكلّ الإِعتراضات تَنصب عَليه وحده.

(٢) أنظر، تَاج العَروس للـزّبيدي: ١١ / ٣٣٧، الوَافـي بـالوَفيّات للـصّفدي: ٨ / ١٠٦ و: ٢٢ / ١٩٧، أَضواء البَيان للشّنقيطي: ٧ / ١٦١، تَفْسِير البَحر المُحيط، لمُحَمَّد بـن يُـوسُف الشّـهير بأَبـي حَـيّان الأَندلسيّ (ت ٧٤٥ هق): ٦ / ٤٢٤، تَحقيق: عَادل أَحمَد عَبد المَوجُود، طَبعة ـ بَيرُوت (١٤١٣ هـ)، طَبعَة السَّعادَة بمَصر.

(٣) أنظر، سِيَر أَعلاَم النُّبلاَء: ١٧ / ٢٤٥، شَرح أُصول الكَافي: ٤ / ١٦٧، عُمدة القَاري في شَرح صَحيح البُخَاريّ للعَيني: ١ / ١١٥، المواقف في عِلم الكَلام: ١ / ٦٤، التَّفسِير الكَبير للفَخر الرَّازي: ٢ / ٩٣.

في القَدِيم كانت الفَلسفَة تتألف من التّخمينات حَول الأَشيَاء والمشكلات وكفىٰ، ولم يكُن الفَيلسُوف يَعتمد علىٰ الخِبرَة والمُشاهدة، بل علىٰ التّفكير المُجرد والتّأمل البَاطني المَحض دون أنْ يَستند إلىٰ آلة ومُختبر حتّىٰ إذا ما تَخيَّل الحَقيقة فِيما يرىٰ، أخرجها للنّاس كأبعَد ما تكُون عن الشّبهة والنّقاش في رأيه. أمّا الفَلسفَة الحَديثة فإنّ الفِكرة تَلتحم فيها بالخِبرَة والمُشاهدة وبالعَين والأُذن. وبكَلمة أنّ الفَلسفَة القَديمة ذَاتية تمَاماً كالتّصوف، والفَلسفَة الحَديثة واقعيّة وعِلميّة.

والسّر لهذا الفَرق أنّ العَقل البَشري يتطور مع الزّمن وتَزيد مَقدرته، فقد كان صعُود الإنسَان إلىٰ القَمر فوق تَصور العَقل، وها هو الآنْ حَقيقة مَلمُوسة، ومِثله تمَاماً أنْ يَسمع الإنسَان صَوت مَن في القبُور، وأنْ يُحدّثه من في المَغرب وهو في المَشرق... إلىٰ غير ذَلكَ ممّا كان فوق قُدرة الإنسَان الأَوّل وعَقله، وكَذلك الإنسَان الآنْ فإنّه يَرىٰ بَعض الأَشيَاء من المُستحيلات، ولكنّها ستكُون عند إنسَان المُستقبل مألوفة تمَاماً كالسّيارة والطّائرة عندَنا.

وهذا الفَارق الجَوهري بين الفَلسفَة القَديمة والحَديثة، هو الحدّ الفاصل بين المَنطق الصّوري والتّطبيقي، يَنطلق الأَوّل من نشَاط الفِكر وتأمله وحده مُجرداً عن التّطبيق العِملي (أي الفِكر للفِكر) أمّا الثّاني فيُعتبر التّطبيق العِملي جُزءاً مُتمّماً لصحَة الفِكر والتّأمل (أي الفِكر للعَمل) وبهذا يكُون المَنطق التّطبيقي دَعوة أو نَظرة عِلميَّة مَوضوعيَّة، والمَنطق الصّوري نَظرة ذاتية ودَعوة صُوفية.

ونَختم الكلام بالمثَال الآتي زيَادة في التّوضِيح:

لنَفترض أنّ رجُلاً ألّف قيَاساً من أفكاره وخيَاله وقَال: رأيتُ هذا الرَّجل يُحاول الطّيران في الفضَاء، وكلّ مَن يُحاول ذَلكَ فهُو مَجنون، فهذا الرَّجل مَجنُون.

ومَا من شكّ أنّ هذا القِياس سَليم ومُستقيم في عقُول السّلف لعَجزهم وقصُور

عقُولهم عن إدراك هذا الطّيران وتصور وقوعه لأنّه بَعيد عن بيئتهم وما ألفوه في حيَاتهم، ولكن هذا القِياس هَزيل وعَليل في أفهامنا نحنُ، لأنّ كلّ فَرد منّا رأىٰ الإنسَان يَطير في الفضَاء، بل ويَمشي ويَنتقل فوق القَمر.

وبَعد فإنّ الفِكر إنعكاس عن الوَاقع وعَالم الشّؤون اليَومية، وثَبت بالخِبرَة والعِلم القَاطع أنّ هذا العَالَم مُجرد حوادث تَتحول وتَتطور بسُرعة، وكَذلكَ الفِكر ونَظرياته، ومعنىٰ هذا أنّ الفِكر من حيث هو لَيس بحجّة مُطلقة وبرهان شَامل حتّىٰ ولو آنسجمت قضَاياه، وتلاءَمت النّتائج مع المُقدّمات. وأيضاً معنىٰ هذا أنّ صحة الفِكرة نِسبية ومَرهونة بتَطبيقها العِملي علىٰ الوَاقع الّذي لاَ سَبيل إلىٰ إنكاره.

حَول الإِنسَان والحَيوَان

لكلّ نَفس هُدَاهَا :

من العُلوم الحَديثة عِلم سلُوك الحَيوان، وغَايته الكَشف عـن صـفَاته ونَـمط حيَاته وأوجه نَشاطه. ومن جُملة ما قرأتُ في هذا المَـوضوع لعُـلماء الحَـيوان وعنهُم، أنّ الكلاَب مُصابة بعَميٰ الألوان، فلاَ تُميز بين أسود وأبيض، وأنّ نوعاً من الأسماك يَحس بشوَاربـه، وأنّ الحـيوانـات تَسـتطيع التّـفاهم والتّـخاطب بالأصوات والحَركات، والّنمل بالتلاَمس، والنّـحل بـالرّقص، وأنّ للـحَشرات ثلاَثة أنواع من الأُغنيات: النّوع الأَوّل لجَذب الأُنثىٰ للـذَكـر، والنّـوع الثّـاني للحمَاس حين التّنافس علىٰ الأُنثىٰ بين ذَكرَين، والثّالث لمُجرد المُتعة والسّلوىٰ.

ولكلّ نوع من الحَشرات لُغته وأغَانيه الخَاصّة به ولاَ يَـفهمها إلاّ اَبـن النّـوع تمامَاً كاللّغة القَوميّة للإِنسَان[1].

وأعجَب ما قرأتُ في هذا البَاب أنّ العُلماء المُتخصصين، رَاقبوا سـنَة (١٩٥٥م) سَمكة كَبيرَة علىٰ عُمق عِشرين قَدماً، تتّجه نحو شَجرة كَـبيرَة مـن المَـرجـان، تتحصّن فيها الأَسماك الصّغار من الكِبار، ثُمّ وقَفت السّمكة الكَبيرَة عندَ الشّجرة، وفَتحت فاها الضّخم، فأسرعت نَحوها سمكة صَغيرة، ودَخلت في فم الكَبيرَة،

(١) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطبة (١٦٥)، شَرح نَهج البلاَغَة لمُحَمَّد عَبده: ٣/١٣٣.

فأقفَلت هَذِه فَمها ولكن تَركت فيه فَتحة صَغيرة، وبَعد فَترة فَغرت الكَبيرَة فَمها علىٰ سِعته، وخَرجت الصّغيرة، وتَبين للعُلماء المُلاحظين أنّ الصّغيرة قَامت بعَملية تَنظيف في فَم الكَبيرَة التّي كَانت قد التهمت شَيئاً وعَلقت بَعض الطُّفيليات بفَمها، وبذلك تَخلصت الكَبيرَة من الأَضرار، واْستفادت الصّغيرة غذاء من غَير اْحتسَاب[1].

وفي الجُزء الأَوّل من كتَاب الإمتاع والمُؤانسة لأبي حيَّان التّوحيدي وغَيره من كُتب الحيوَان ـ حكَايات عن تَداوي الحَشرات والطّيور والحيوَانات بالأَعشاب وغيرها إِذا مَرضت... وقبل أنْ يَكتشف ذَلكَ أهل الإِختصاص بقرُون، أشَار إلَيه سُبحانه بقَوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[2]، وأشَار إلىٰ لُغة الحَشرات بالخصُوص: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ﴾[3]، وإلىٰ لُغة الطّيور: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾[4]. «فقَال ـ أي الهُدْهُد ـ ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[5].

عَبقريّة العَقل:

بَعد الصّفحة الّتمهيديَّة نَعرض السّؤالَين التّاليّين مع الإجابة عَنهُما:

السّؤال الأوّل: إذا كان للحَيوان هذا الإدراك أو هَذه الهدَاية فكيف اْعتبر العُلماء العَقل حدّاً فاصلاً يُفرق بين الحَيوان والإنسَان، وكان الأَنسَب والأَصوَب

(١) مُقتطف من مقَال مطول بعنوَان لُغة الحَيوان، نَشرته مَجلة عَالم الفِكر الكُويتيّة في العَدد الثّاني من المُجلّد السّابع.

(٢) الأَنعَام: ٣٨.

(٣) النّمل: ١٨.

(٤) النّمل: ١٦.

(٥) النّمل: ٢٢. أنظر، كتاب الإمتاع والمُؤانسة لأبي حيَّان التّوحيدي الجُزء الأَوّل طَبعَة مَصر.

أنْ يُفرقوا بأنّ هذا يَمشي علىٰ رجلَين وذاكَ علىٰ أَربع مَثلاً ؟ .

الجوَاب :

المُراد بالعَقل الَّذي خصّ به الله الإِنسَان وكَرّمه بنِعمته هو الَّذي يُفكّر بهِ عن حرّية وٱختيار، ويُميز عن طَريقه بين الخَير والشّر والهُدىٰ والضّلال، ومن أجله شَرع سُبحانه الحلاَل والحرام، وبه يُحاسب ويُثيب ويُعاقب، وأيضاً به ٱكتَشف الإِنسَان أسرَار الطّبيعة وٱخترع وأبدع، وقَفز إلىٰ القَمر، وأنشأ الحضَارات، وأتىٰ بالمُعجزات... وهُنا يَكمن السّر في قَوله سُبحانه مُخاطباً العَقل : « ما خَلقتُ خَلقاً أحبّ إليَّ منكَ »[1].

وقَال أديب مُعاصر : كلّما ٱكتَشف العَقل أُفقاً بدت له آفاق، وهكذا دوالَيك. وقَال آخر : « إذا كان الكَون يُحيط بالإِنسان فإنّ في داخل الإِنسَان أعمق وأعظم من الكون... وإذا كان في الكَون شَمس وقَمر ونجُوم فإنّ في العَقل الإِنساني أفكاراً تَلمع وتبهر، وإذا كان في الأَكوان قوَانين دقيقة فإنّ العَقل أدق وأروع، وإذا كان عُلماء الفلك يرون في دقّته وحِكمته دليلاً علىٰ عَظمة الله فإنّ تكوين الإِنسَان أكبر دَليل علىٰ عَظمة الخَالق، وإذا كان النّظر إلىٰ السّماء يَجعل الإِنسَان يَشعر بضآلته فإنّ التّأمل في نَفسه يَجعله يَشعر بعَبقريته »[2].

---

(١) أُنظر، كَشف الخفَاء للعَجلوني : ١ / ٢٦٣ ح ٨٢٣، نَهج البلاَغة لابن أبي الحَديد : ١٨ / ١٨٥، المحاسن لأحمد بن مُحمّد بن خالد البَرقي : ١ / ١٩٢ ح ٨، فتوح الشّام للواقدي : ١ / ١٧٨، أعلاَم الدِّين وصفات المُؤمنِين للديلمي : ١٧٢.

(٢) وَعلىٰ حدّ ما قَال الإِمام أَمِير المؤمنينعليه السلام . أنّه يَسع كلّ شيء ولاَ يَسعه شيء... أنّه العَالم الأكبر الّذي أشار إليه الإمام عليّعليه السلام بقَوله :

وتَحسب أنّك جرمٌ صَغير — وفيك ٱنطوىٰ العَالم الأَكبر

فأين مكَانة الحَيوان وهدَايته إلىٰ طَريقه وحَاجته من هَذه الفضَائل والشّمائل ؟ أنّ الحيوان لاَ يُخطط ويُصمم، ولاَ يعرف للتّفكير وحرّيته ولاَ للإقناع والإيمان، من معنىٰ، وغَاية الأَمر أنّ الله سُبحانه أودع فيه قوّة وغَريزة تَقوده آلياً وتِلقائياً إلىٰ ما يضطر إلَيه في حيَاته وبقَائه تماماً كمَا خَلق جلّ وعلاَ الكَون وأودع فيه النّواميس التّي تَتحكم بهِ بمَشيئته الله تعَالىٰ، وتقُوده ذاتاً وتكُويناً إلىٰ الغَاية من وجُوده.

الصّدفَة:

أمّا السّؤال الثّاني فهو: لمَاذا لاَ نُرجع النّواميس المَوجودة في الكَون إلىٰ الإتّفاق والمُصادفة، كمَا يقول أصحَاب النّظرية المِيكانيكيّة ؟ فكَم للمُصادفات من حَسنات[1] ؟.

الجوَاب:

١ ـ مَا مِن أحد يَلجأ إلىٰ الصّدفة إلاّ لعَجزه وجَهله بعِلل الحوادث أو لعنَاده ومُكابرته.

٢ ـ أنّ معنىٰ الصّدفة هو وقُوع حادث أو حوَادث من

↔ يُنسب هذا البَيت إلىٰ أمِير المُؤمنين الإمام عَليّ ﷺ كمَا في الدّيوان المُرتَضوي: ١٤٥، فيض القَدير شَرح الجَامع الصّغير: ٥ / ٤٦٦، جواهر المطَالب في منَاقب الإمام عَليّ بن أبي طالب لابن الدّمشقي: ٢ / ٦٣٦.

وَقول الإمام عَليّ ﷺ و« أنّ الإنسان في بَعض حالاَته يُشارك السّبع الشّداد ».

أُنظر، شَرح رسَالة الحقُوق للإمام عليّ بن الحُسين (زين العَابدين) ﷺ: ٨٤.

(١) أُنظر، مَجمع الزّوائد ومَنبع الفوَائد للهيثمي الشّافعي: ٣ / ١١٦، حَاشيَة الدّسوقي عَلىٰ الشّرح الكَبير: ٤ / ٨٤، حَقيقة التّوحيد أو التّوحيد الحَقيقي، لبَديع الزّمان سَعيد النّورسي: ١ / ١٦٦، دَار النّشر، دَار سوزلر للطّباعة سنَة (١٩٨٨م) الطّبعة الثّانية.

غَير علّة مُحدّدة ومُطّردة[1] مِثل أنْ تَلد مِئة حامل مِئة ذَكر لاَ أُنثىٰ بَينهم، أو مِئة أُنثىٰ لاَ ذَكر بَينهن في سَاعة واحدة وبَلد واحد. ومِثل هذا مُمكن ذاتاً، ولكنّه نَادر وقُوعاً وقَد لاَ يَقع إطلاقاً. وعلىٰ الفَرضَين لاَ يسوغ بحال أنْ نُفسّر بـه مَـظهراً واحداً من مظَاهر الأَحكام والإِبداع، فكَيف بتَفسير الكَـون العَجيب بقوَانينه وأَسراره؟

٣ ـ إذا وجد هذا الكَون من باب الصّدفة فلمَاذا لاَ يكُون هذا الزّعم صَادراً عن مُدعيه صِدفة ومن غَير وعي وقَصد؟.

٤ ـ إذا سَـاغ أنْ يُـنسب النّـظام المَـعقول إلىٰ الصّـدفة اللّاَمَعقولة يسوغ أيضَاً أنْ يُنسب العِلم إلىٰ الجَهل والحقّ إلىٰ البَاطل، والعَدل إلىٰ الجَور. إلىٰ آخر هَذِه الحمَاقَات.

٥ ـ أنّ الصّدفة لاَ تَخلو من أحد فَرضَين: إمّا أنْ تكُون قَاعدة مُطّردة يُفسّر بها كلّ حادث وحَادثة. وهـذا خـلاَف الفَرض، ثَانياً لاَ قائل بذلك، وأمّا أنْ يُفسّر بها وجود حَادثة دون حَادثة، ومعنىٰ هذا أنّها لَيست بقَاعدة، وبالتالي فمَا هي من العِلم في شَيء.

٦ ـ يَسير الكون علىٰ قوَانين كَاملة ومُطّردة، ولولاَها لم يكُن لحي فيه مقرّ ولاَ ممرّ، ولم يَلتئم ويَنسجم شيء مع شيء

---

(١) الصّدفة عَلىٰ قسمَين: مُطلقة ونسبية، والأُولىٰ مُستحيلة عَقلاً بنَاء علىٰ المَنطق القَائل: لكلّ حَادث سَبب والمُمكن ما يَجب لم يُوجد. والثّانية مُستحيلة وقُوعاً لاَ عَقلاً، ومثَال المِئة الحَـامل مـن نَـوع الصّدفة النّسبية. وأخترنَاه لوضُوحه.

علىٰ الإطلاق... مُضافاً إلىٰ أنّ مَبدأ العِلِّية تَرتكز عليه جَميع العُلوم، ولاَ يُمكن بحَال أنْ تكون أيّة حادثة مَوضوعاً لأي عِلم إلاّ بعد التّسليم بحَتمية العُلاَقة بَين العِلّة والمَعلول، والنّتيجة والمُقدّمات. ومَا من شكّ أنّ خضوع الكَون لقوانِينه والمَعلول لعلّته يُبطل القول بالعَشوائيّة والمُصَادفة.

صِدق القَضية بالبَديهَة أو التّجربَة

القَبْليَة والبُعديَة:

قسّم عَدد من الفَلاَسفَة المَعرفة إلىٰ قَبْلية وبُعدية، وأرَادوا بـالقَبْلية المَـعرفة البَديهية الّتي هي من عَمل العَقل وحده مُستقلاً عن التّجربَة والمُشاهدة كالعِلم بأنّ الكلّ أكبَر من الجُزء، أمّا المَعرفة البُعدية فتَأتي بعد التّجربَة والمُشاهدة كـالعِلم بمُحتوىٰ هذا الكتَاب ومَضمونه.

وبكَلمة أنّ العِلم القبْلي في الإنسَان فِطرة وغَريزة أشبَه بإدّخار النّمل وإنتَاج النّحل للعَسل، أمّا العِلم البُعدي فاكتسَاب من الخَارج. وبَعض الفَـلاَسفَة أنكَـر القَبْلي من الأَسَاس[1].

القَضيَة تَحليليَة وتَركيبيَة:

وأيضاً تُسمّىٰ القَضية القَبْلية تَحليلية، لأَنّ المَحمول ـ كمَا هو الفَرض ـ ثَابت بالذات للمَحمول عليه، ولاَ ينفك عنه بحَال، ولذا إذا جزّأت القَضية، وذكـرت المَوضوع دون المَحمول أو المَحمول دون المَوضوع ـ دلّ أحدهُما علىٰ الآخـر

---

(١) أنظر، الحِكمة المُتعالية في الأَسفار العَقلية الأربعَة، لصَدر الدّين مُحمّد الشّيرازي: ١ / ٣٧٨ مِن السّفر الرّابع، إعانة الطّالبين لبكري الدّمياطي: ١ / ١٥٠، شَرح المقَاصد في عِلم الكَلام للتفتازاني: ١ / ٣٢٥.

فكَلمة أرملَة تَعني ٱمرأة مَات زوّجها، وكَلمة ٱمرأة مَات زوّجها تعني الأرملَة.

وتُسمّىٰ القَضية البُعدية تَركيبيَة، لأنّ المَحمول غير ثابت بالذات للمَوضوع، ولاَ نَعرف أنّه من صفَاته إلاَّ بَعد التّركيب ومُراجعة الواقع مِثل هذا الكتَاب مُفيد أو غَير مُفيد.

لاَ بَديهة عِند المَادّيِّين:

وقَال المَادّيون: لاَ حَقيقة إطلاَقاً إلاَّ في الأَرض ومن الأَرض، وكلّ ما يَدور في الرَّأس والعَقل فهو أوهَام وأحلاَم تمَاماً كتَخيُل جَبل من ذَهب ونَهر من عَسل إلاَّ أنْ يكُون مُستفاداً من حسّ ومُشاهدة.

أمّا مَا يسمّونه بـالمُعطيات العَـقلية الفِـطرية فـهو مـن مُـعطيات المُشـاهدة الخَارجيَّة دون العَقل... ومَا يقول القَائل العَاقل: (١ + ١ = ٢) والطّريق المُستقيم أقرب مسَافة من غير المُستقيم، والخَمسة أكبر من الأَربعة ـ إلاَّ بعد أنْ يَرىٰ ويُشاهد ذَلك في الخَارج بكلّ وضُوح، ومعنىٰ هذا أنْ لاَ مَعرفة قَبلية ولاَ حقيقة مُسبقة.

الجوَاب:

أنّ كلّ النّاس يُدركون بفطرتهم تَحريم القَتل من غير حقّ، وشَهادة الزّور، وأنّ الحُرِّية حقّ طبيعي لكلّ فَرد... إلىٰ غير ذَلك ممّا لاَ صلَة له بالحسّ والمُشاهدة من قَريب أو بَعيد. وأيضاً كلّنا يَعلم ويُؤمن آلياً وتِلقائياً بأنّ هذا الشّيء المُعين هُو هُو بذَاته لاَ غَيره وإلاّ يَستحيل أنْ نَعلم بوجُود شيء علىٰ الإطلاق... ويسـمّىٰ هذا المَبدأ بقَانون الذّاتية، ولاَ يُنكره عاقل علىٰ وجه الأَرض.

وإنْ قَال قَائل: أجل، لاَ أحد يشك في أنّ الشّيء المُعيَّن هُو هُو، ولكن هـذَا القَانون أو هذا القَول لاَ جدوىٰ من ورَائه، لأنّه تَـحصيل حـاصل تـمَاماً كـقَول القائل: المَاء هو المَاء. ومِثله لاَ يُبحث في العِلم وأبوَابه، وهل من عَاقل يَـطلب

العِلم بالمَعلُوم ؟

قُلنا في جوابه: أنّ أكثَر الوَاضحات أو الكَثير مِنها تَحصيل حاصل أو بِهِ أشبَه، ومَع هذا هي مَألوفة عندَ العُرف لسَبب أو لآخر، أمّا العُلماء فلاَ يَذكرونها ويبحثونها في دروسهم وأسفارهم كجُزء أو فصل من العِلم، بل يتّخذون منهجاً عامّاً يتوصلون به إلىٰ المَعرفة. وفرق كَبير بين العِلم والمَنهج المُتّبع في درَاسته.

ومن أخصّ خصَائص المَنهج أنْ يكون واضحاً كتَحصيل الحَاصل. حتّىٰ التّجربة تَعتمد علىٰ قضيَة مُسبقة، وتَنطلق من هذا المَبدأ القَبْلي القَائل: «أنّ القَضايا التّجريبيّة لاَ تَمت إلىٰ الصّدفة بسَبب» حيث لاَ إرتباط وعُلاَقة بَين الصّدفة وبَين وجود الحَادث كمَا هو الفَرض.

وأخيراً لولاَ القَضايا القَبلية والمُعطيات المُباشرة لإنسدَ باب العِلم بأصل الوجُود فضلاً عن العِلم بالقيَم والحقَائق.

القَضية التّحليلة إخبارية:

وتَسأل: هل تُوصف القضيّة التّحليليّة بأنّها إخبارية مع العِلم بأنّ صدقها ضَروري؟.

الجوَاب:

أجل، لأنّها حكَاية عن الواقع، ولَيست مُجرد إنشاء، فقَولنا: (١ + ١ = ٢) كقَولنا: النّحاس يُوصل الكَهرباء، والفَرق أنّ القَضية الأُولىٰ ضَرورية لاَ تَفتقر إلىٰ تَجربة وإمتحان علىٰ العَكس من الثّانيَة، قَال الفَيلسُوف الألماني كَانت:

« القضَايا الرّياضيَة ذات مَضمون خَبري تمَاماً كالقضَايا الطّبيعية مع العِلم بأنّ الأُولىٰ لاَ تَستدعي مُراجعة الواقع الخَارجي. ومعنىٰ ذٰلكَ أنّ القَضية التّحليلة هي

قَبْلية وخَبرية في آنٍ واحد، ولاَ تنَاقض بَين الوجهَين »[١].

والخُلاَصَة: أنّ الشّرط الأَساس للقضيَة الخَبرية أنْ تكون حكَاية عن شــيء واقع سواء أكانت القَضية ضَرورية الصّدق أم لَم تكُن، أمّا تعريف مَن عرّف الخَبر بأنّه يَحتمل الصّدق والكذب فهو تَعريف بالرّسم لاَ بالحدّ، والفَرق بَينهُما أنّ الحدّ تَعريف لنفس المَحدود بهويته الشّاملة لجَميع أفراده بـحيث يَـدور الحـدّ مـدار المَحدود وجوداً وعَدماً، وهذا مُتعذّر أو مُتعسّر، أمّا التّعريف بالرّسم فهو عبَارة عن ذِكر الشّيء بصفة من صفَاته كقَولك: هذا الكتَاب ألّفه فُلان أو نَشـرته الدّار الفُلانيَة.

(١) نَقلاً من كتَاب نَحو فَلسفة عِلمية للدّكتور زكي نَجيب.

حَول الجَمال

العِلم كلّي وجُزئي :

يُوصف العِلم علىٰ أساس مَوضوعه بالكلّي والجُزئي ، والمُـراد بـالجُزئي أنْ يكُون مَوضوعه أخصّ من موضوع العِلم الَّذي يَشمله ، كعِلم الإِقتصاد بـالنسبَة إلىٰ عِلم الإِجتماع ، فإنّه يَشمل أيضاً التّشريع والسّياسة ، وكعِلم الطّب بالنسبَة إلىٰ العِلم الطّبيعي . وبهذا يتّضح معنىٰ المُراد من العِلم الكُلّي .

قِيل للإِمام أمِير المُؤمنِين عليه السلام : صِفْ لَنَا العَاقل ؟ .

فَقَالَ عليه السلام : « هُو الَّذي يَضعُ الشَّيء مَواضعهُ .

فَقيلَ : فَصِفْ لَنَا الجَاهل ، فَقال : قَد فَعلتُ »[1] .

وعِلم الجَمال من العُلوم الجُزئية ، لأنّ مَوضوعه خاصّ ، وكَثير من الفَـلاَسفَة تَحدثوا عنهُ كبَاب من أبواب الفَلسفَة ومسَائلها ، وبَعضهم وضع فيه كُتباً خَاصّة .

وَعِلم الجَمال قَاعدي مِعياري ، نسبَة إلىٰ المِعيار والقَاعدة حيث يُقاس بقوَاعـده الحُكم علىٰ الإِنتاج الفنّي . والعُلوم المِعيارية ثلاَثة :

الأَوّل : عِلم الجَمال ، والثّاني والثّالث المَنطق والأخلاَق ، والقَاسم المُشـترك

---

(١) أُنظر ، نَهج البلاَغَة : الحِكمَة (٢٣٤) .

بَين الثّلاَثة هو الإنشَاء (أي أفعل هذَا، وأترك ذَاك)[١].

كَلمة الجَمَال:

كَلمة الجَمال عَامّة وغَامضة، يُفسّرها كلّ بمَا يرَاه ويَهواه، ومن هُنا قَال بَعض الفَلاَسفَة: أنّ الجمال فِكرة غَير قَابلة للتّعريف. وقَال (اناتول فرانس): أعتقد أنّنا لَن نَعرف بالضّبط أبداً لمَ كان الشّيء جَميلاً[٢].

أجل، أنّ تَعريف الجَمال تَعريفاً يَعم ويَشمل جَميع أنوَاعه لَيس بالأمر السّهل، وأقصىٰ مَا يُمكن أنْ يُقال: أنّ الجمَال يـتّصف بـه الشّكـل والـمحتوىٰ والفِكـر والمادّة، وأنّ كلّ قَلب يُلبيء نداء الجَمِيل. ولَكن إذا سَأل سَائل: لمَـاذا يكُـون الجَميل ـ علىٰ وَجه العمُوم والشّمول ـ جَميلاً؟

أغُلق دونه بَاب الإجابة التّي يُمكن قَبولها والرّكون إلَيها، أمّا إذا سَأل: لمَاذا كان هذا الشّيء الخاصّ المُعين جَميلاً، فتهُون الإجابة بوسِيلة أو بأُخرىٰ. ومَعنىٰ هذَا أنّ جمال الكَائنات الجُزئية يُمكن تَعريفه، أمّا تَعريف الماهيّة الجَميلة التّـي تُوجد بوجُود كلّ جَميل من أي نوع كَان، وتَنتفي بإنتفائه ـ فمُتعذّر أو مُتعسّر.

أينَ الجَمَال:

اختَلف الفَلاَسفَة في الجَمال: هل هُو شيء مَـوجود، لهُ عَـين وأثَـر خـارج الإنسَان ومَشاعره، أو أنّ الجَمال مُجرد شعور ذَاتي في أعـمَاق الإنسَـان نـحَو الشّيء الّذي يَرغب فيه لاَ لحُسنه وجَماله الطّبيعي. وبكلاَم ثَان: هل الجَمال من

---

(١) أنظر، المُعجم الوَسيط، لإبراهيم مُصطفىٰ، وأحمَد الزّيات، وحَامد عَبدالقَادر، ومُحمّد النّجار: ١/١٣٦، نَشر دَار الدّعوة، تحقِيق: مَجمع اللّغة العَربية، أُصُول البَحث للدكتُور عَبدالهَادي الفَضلي: ١٨.

(٢) أنظر، فَلسفة وشَخصيت اناتول فرانس.

عَالم الحقّ والوَاقع، أو من عَالم الوهم والإنفعالاَت النّفسيّة ؟.

ذَهب المَادّيون إلىٰ الرَّأي الثّاني وقَالوا: أنّ الإنسَان لاَ يَرىٰ الشّيء جَميلاً إلاَّ لرَغبة فيه أصِيلة تماَماً كالطّعام في نظر الجَائع، والمَرأة في عَين المُشتهي!.

ونحنُ مَع أهل العِلم والفِكر القَائلين بأنّ الجمال مَوضوعي وطَبيعي، يَكمن في الشّيء حقّاً ووَاقعاً تمَاماً كرَائحة المِسك في المِسك، وحلاَوة العَسل في العَسل. وشَاهدنا عَلىٰ ذَلك:

١ ـ يَعتقد المَادّيون أنّ الشّعور بأي شيء إنّما هو انعكاس عن الوَاقع الموضُوعي. وعلىٰ مَبدئهم هذا يكون الشّعور بالجمَال تَعبيراً عن الجمَال المَوجود فعلاً في الخَارج، وملاَذاً له، ولاَ يَنفك عنهُ بحَال حيث لاَ فرع بلاَ أصل، ومع ذَلكَ يُنكر المَادّيون أصل الجَمال، ويَعترفون بوجود فرعه (أي الشّعور بالجَمال) ومعنىٰ هذا أنّهم يَنقضون ما أبرَموا، ويُبرمون ما نَقضوا، ويُجمعون بين مُترقين، ويُفرقون بين مُجتمعين من حيث يَشعرون أو لاَ يَشعرون.

٢ ـ أنّ الفن يتّصف بالحُسن والجَمال حَقيقة لاَ مجَازاً باتّفاق الأطراف والفِئات، بل الجَمال هو الفن بالذَات، وعليه يكُون إنكار الجَمال إنكاراً للفَن من الأسَاس.

٣ ـ وضع النّاس في القَديم والحَديث أُلوف الأسفَار والمُؤلفات في الفن والأسماء اللاّمعة في مَيدانه، ولَو لم يكُن للجَمال من واقع لإختفت الفوَارق بَين جَميل وقَبيح، ولم يكُن للفن من تأريخ، بل ولاَ للإنسَان والإنسَانيّة جَمعاء!

وأي عَاقل تَستوي في إِداركه الفصَاحة والإِبهام، والعَبقرية والبلاَهة ؟.

٤ ـ كانت المَرأة ولاَ تزال مَصدراً من أغنىٰ مصَادر الوحي للشّعراء والأُدباء ولأهل الفَن من كلّ نوع. وأخيراً أصبَح للجَمال مَلكة تَشهد بأنّ وجود الجمَال أبيَن وأوضح من وجُود القَمر حيث يَتجسد في المَرأة أوّلاً، ثُم في القَمر، ثُمّ في أي شيء.

طَاغور والجمَال:

كلّ طَاغور شَاعراً وكَاتباً ورسّاماً ومُلحناً، وقد أعترف العَالَم كلُّه بتَفوقه وعَظمته، ومَذهبه في الفَلسفَة يَعرفه المثقفُون، ويقوم علىٰ أَساس أنّ «المَوجود الأَسمىٰ» قد حلّ في الإِنسَان، ومن أجل هذا يَجب تَقديس الإِنسَان الفَرد من أي نَوع كان.

وتَحدث طاغور عن الفن والجَمال، ومن جُملة ما قَال: الفَقِيه يفسّر النّصوص، ويَستخرج مِنهَا الأَوامر والنّواهي، والفَيلسُوف يَضع مَذهباً عَقلياً يَهتدي به إِلىٰ الحقَائق، والعَالَم يكتَشف قوَانين الطّبيعة، أمّا الفنان فإِنّه يكتَشف عن الجمَال الكَامن في الكَون، ويَملك القُدرة علىٰ التّعبير عَنها.

وقوله: «الجمَال الكَامن في الكَون» واضح الدّلالة علىٰ أنّ الجمال عُنصر مَوضوعي لاَ شعُوري، وأوضح من ذَلكَ وأبين قوله: الإِنسَان لاَ يتذوق الجَمال ويُدركه علىٰ حَقيقته إلاّ أنْ يَتجرد عن إِنفعاله الشّخصي ومَصلحته الذّاتية، ويَنصرف بكلّه إِلىٰ الواقع، لأَنّ للجمَال مادّة وأُصولاً وقواعد، أمّا هدف الفن

والجَمال فهو تَحقيق سعَادة الإنسَان وكمَاله[١] يُشير بـهذه الجُـملة الأَخـيرة إلىٰ فَلسفته ومَذهبه القَائل: «كلّ شيء لخَير الإنسَان».

الحَيوان وحَاسة الجَمَال:

ونُضيف إلىٰ الأَدلة السّابقة علىٰ وَاقعية الجَمال: أنّ المُهتمن بدرَاسة الحَيوان لاَحظوا أنّ بَعض الحَيوانات تُؤذيها النّغمة النّاشزة من أَلحَـان المُـوسيقىٰ، وأنّ النّمر إذا هَاج يَهدأ ويَرتاح لصَوت الكمَان، وأنّ بَعض أُناث الخَيل تَطلب الحصَان حِين تَسمع الأَلحان، وأنّ اللّقلق والغُراب وغيرهُما من الطّيور تَسـرق الأَشـيَاء اللاَّمعة كالحُلي والفضّة وتُخفِيها[٢].

ومُنذ سنوَات قرأتُ في الصّحف المَصرية أنّ أفعىٰ خَرجت من جُحرها لتَستمع إلىٰ أُمّ كلثُوم في إحدىٰ حفلاَتها الغنائيَّة، ولمّا انتهىٰ الغنَاء عَـادت إلىٰ مكَـانها. وفي الآيَة: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾[٣].

فبأي شيء نُفسّر هَذِه الظّواهر الغَريبة إذا لم تكُن تجَاوباً مع الجَـمال؟ فـهَل حدث ذَلكَ صِدفة وبلاَ سَبب مُوجب؟ ولمَاذا لم يحدث إلاّ في هَـذِه الحَـال؟. وأخيراً كمَا دلّت هَذِه الإستجابة من الحَيوان علىٰ واقعية الجَمال، فأيـضاً تـدل علىٰ أنّ مبدأ العِلّية (أي لكلّ حَادث سَبب)[٤] حقّ لاَ رَيب فيه.

---

(١) مَا ذكرناه من أقوال طَاغور نَقلناه من مقال مطول بعنوان طاغور الفنّان، نشرته مَجلّة عـالم الفِكـر الكويتيّة في العَدد الأَوّل من المُجلّد الثّامن.

(٢) أُنظر، كتَاب مباهج الفَلسفَة لـ «ول ديورانت» تَرجمة إبراهيم مَدكور طبعَة (١٩٥٧م): ١/ ٢٨٦.

(٣) الأَنبيَاء: ٧٩.

(٤) أُنظر، تَفسِير رُوح المعَاني للآلوسي: ٢٧/ ٧٦، دَرء تَعارض العَقل والنّقل لتقي الدِّيـن أحـمد بـن عَبدالسّلام بن عَبدالحَليم بن عَبدالسّلام بن تَيميّة، دَار النّشر الكُتب العِلميَّة بَيروت ١٤١٧هـ، تَحقيق: عَبد اللّطيف عَبدالرّحمن: ٩/ ١٤٨.



فَلسفَة الدّين

كَلمة الدّين:

الدّين في اللُّغة: العَادة[1]، والإِصطلاح: الإعتقاد بقِيَم يُقدّسها المُتدين، ويُقابله الزّنديق والمُنافق حيث يَبطن الكُفر، ويُظهر الإِيمان[2].

وتَشمل كَلمة الدّين بعمُومها أديَان أهل الأَرض بكَاملها، وهي علىٰ نَوعَين مُتضادين من حَيث المَصدر: أديَان إِلٰهية سمَاوية تَتلقىٰ الوحي من الله بوَاسطة رُسله، وأديَان وضعيَّة أرضيَّة تقوم علىٰ أفكَار الأَفراد وميُولهم.

والمَعروف أنّ الأَديان السّماويَّة ثلاَث: الإِسلام، والنّصرانيَّة، واليَهوديَّة. وقَد يُضاف إِلَيها ديَانة رَابعة، وهي الصّابئة حيث جَمع سُبحانه بَين الدّيانات الأَربع في آيَة واحدة، وهي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾[3].

وعَن الرَّاغب الإِصفهاني وغَيره أنّ الصّابىء هو الَّذي يَخرج من دِين إِلىٰ آخر، وأنّ الصّابئيَّة كانوا علىٰ دِين نُوح فَتركوه إِلىٰ سوَاه، فأَرسل الله سُبحانه إِليهم إِبرَاهيم الخَليل؈. ومن هُنا جَاءت التّسميَة[4].

---

(١) أُنظر، مُختار الصّحاح لمُحَمّد بن عَبدالقَادر: ١/ ٩١.

(٢) أُنظر، التَّفسِير الكَبير للفَخر الرَّازي: ٧/ ٢٢٢.

(٣) البَقرة: ٢٨٦.

(٤) أُنظر، النّهاية في غَريب الحَديث: ٣/ ٣، لسَان العَرب لإبن مَنظور: ١/ ١٠٨، تَاج العروس

الدّين بَين العِلم والفَلسفَة :

للدين عِلم وفَلسفَة، وتُطلق علىٰ الأَوّل كَلمة عِلم الدّين وعِلم الرَّبوبيَّة أو الأُلوهيَّة أو اللاَّهوت، والكَلمة الأَخيرة تَختص بالنّصارىٰ كمَا قِيل، ولكن رأيتُ بَعض فلاَسفَة اليَهود يَستعملون في كُتبهم كَلمة «اللاَّهوت». والمُهم أنّ المُراد من هَذه الكَلمات هو عَين ما أَرَاده المُفكرون المُسلمون من عِلم الكلاَم أو التّوحيد.

ويَبحث هذا العِلم في أُصول العَقيدة كوجُود الله سُبحانه وصفَاته وأفعَاله، ومَا يَجوز في حقّه أو يَستحيل، وفي النّبوّة والمُعجزة والعِصمة، وفي البَعث والحسَاب والجَزاء، كلّ ذَلكَ علىٰ أساس حُكم العَقل ومَنطقه.

أمّا فَلسفَة الدّين فهي جُزء لاَ يَتجزأ من الفَلسفَة العَامّة، ومُهمتها أنْ تَكشف عن جَوهر الدّين ومقَاصده وفوَائده بعد التّسليم به، وأنّه ما نَزل من السّماء إلاّ لإقامة العَدل، والحثّ علىٰ عمارة الأَرض، والتّعاون علىٰ حيَاة وَادعة آمنة.

وبكَلمة ثَانية أنّ الفرق بين الفَلسفَة الدّين وعِلمه هو أنّ هذا العِلم يذكر البرَاهين العَقلية[1] علىٰ أنّ الدِّين حقّ لاَ ريب فيه، أمّا فَلسفة الدّين فتَكشف عن العِلّة والحِكمة من الحَقيقة التّي يَقرّها الدّين. ولاَ يخفىٰ أنّ هذا تَفلسف لاَ فَلسفة. ولاَ مشاحة في الإِصطلاح والتّسمية.

ونَعرض في هذا الفصل أو هذا المُوجز، الحِكمة من بَعض المبَادىء الإِسلاميَّة، عسىٰ أنْ يَنتفع القَارىء بذَلك، ويكون عَوناً له علىٰ أنْ يَفهم الإِسلام ويَعرفه كمَا يجب أنْ يَفهم ويَعرف.

↔ للزّبيدي: ١ / ١٩١، مُعجم ألفاظ الفِقه الجَعفري للدكتور أحمَد فَتح الله: ٢٥١.

(١) يَصدق هذا علىٰ دين الإِسلام، أمّا رجال الكَنيسة فقد صرّح الكَثير منهُم أنّ الدّين فوق العَقل والعِلم، والشّاهد مذابح المُنتمين إلىٰ المَسيحيَّة في القَرن السّادس والسّابع عَشر.

التّوحِيد:

التّوحيد هو أصل الأُصُول والدّستور لدِين الإِسلام، ومَعناه فـي جَـوهره: لاَ رَأسماليَّة، ولاَ شيوعيَّة، ولاَ وجوديَّة، ولاَ برجماتيَّة، ولاَ أحد مُمتاز لهُ حـقُوق مُقدّسة، وآخر مَحروم، فالكلّ عَلىٰ مُستوىٰ واحد في الحقُوق والوَاجبات، ولاَ فَضل إلاّ بالتقوىٰ بمعناها الشّامل لصلاَح البَاطن والظّاهر.

ولاَ بُدّ من الإِشارة إِلىٰ أنّ عقيدة التّوحيد لَيست بشيء عندالله إلاّ إِذا دَفعت إِلىٰ العَمل الصّالح النّافع. جَاء في كتَاب أُصول الكَافي عن الإِمام جَعفر الصّادق عليه السلام: «الإِيمَان عَملٌ كُلّه»[1]. وفي روايَة أُخرىٰ: «الإِيمَان عَمَل كُلّه، والقَول بَـعض ذَلك العَمل»[2]. وَفي روَاية ثَالثة: «الإِيمَان عَمل كُلّه، وَلاَ إِيمَانَ بلاَ عَـملٍ»[3].

ومِن هُنا قَرن سُبحانه الإِيمان بالعَمل الصّالح في العَديد من الآيات:

مِنها: قَال سُبحانه وتَعَالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾[4].

وَمِنها: قَال سُبحانه وتَعَالىٰ: ﴿ٱلَّـذِينَ ءَامَـنُواْ وَكَـانُواْ يَـتَّقُونَ لَـهُمُ ٱلْـبُشْرَىٰ فِـى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾[5].

---

(١) أُنظر، الكَافي: ٢ / ٣٤ ح ١، دَعَائم الإِسلاَم: ١ / ٤، وَسَائل الشّـيعَة: ١١ / ١٢٤ ح ١. العَـمل أَثَـر للإِيمَان، وَمُسبب عَنهُ، فَإِطلاَق العَمل عَلَيه فيه ضَرب من التّجوز، وَلَستُ أَتصور بحَال أَنَّ مَن لاَ يَعمل يَكُون مُؤمناً، وإِن خُيّل إليه، وإِلَى الفُقهَاء، بأَنّه مُؤمن مُتهَاون.

(٢) أُنظر، الكَافي: ٢ / ٣٤ ح ١ و ٧، دَعَائم الإِسلاَم: ١ / ٤، وَسَائل الشّيعة: ١١ / ١٢٤ ح ١.

(٣) أُنظر، الكَافِي: ٢ / ٣٤ ح ١ و ٧، دَعَائم الإِسلاَم: ١ / ٤، وَسَائل الشّـيعة: ١١ / ١٢٤ ح ١، مَـجمع الزّوَائد: ١ / ٣٥، الجَامع الصَّغير: ٢ / ٧٥٨ ح ٩٩٨٠، كَنز العُمّال: ١ / ٦٨ ح ٢٦٠، فَيض القَدير شَرح الجَامع الصَّغير: ٦ / ٥٨٦ ح ٩٩٨٠.

(٤) الرَّعد: ٢٩.

(٥) يُونُس: ٦٤.

النّبوّة:

الأَصل الثّاني لعَقيدة الإِسلام النّبوّة، وهي السّبيل الوَحيد للمَعرفة اليَقينيَّة بدِين الله وشَريعته. ومن أخصّ خصائص النّبيﷺ الكَمال جِسماً وعَقلاً وخَلقاً، وأوضح بُرهان علىٰ ثبُوت النّبوّة لمُدّعيها أنْ تَظهر علىٰ يَده حادثة لاَ يُمكن تَعليلها وردها إِلىٰ أيّة قَاعدة أو أي سَبب من أسباب الطّبيعة وقوَاعدها، وبهذا تَقوم الحجّة الكافيَة علىٰ من جَحد وعَاند.

وبهَذه المُناسبة نُشير إِلىٰ أنّ عُلماء الطّبيعة فرّقوا بين القَانون العَقلي والقَانون الطّبيعي، وقَالوا: القَانون العَقلي يطّرد حَتماً، ولاَ يُمكن خَرقه ونَقضه بحال في عالم الجوَاز والإِمكان وبالأَولىٰ في عالم التّطبيق والوقُوع، مِثل نصف الأَربعَة آثنان حَيث يَستحيل عقلاً أنْ يكون النّصف هُنا دون ذَلكَ أو يَزيد.

أمّا القَانون الطّبيعي فلاَ ضَرورة مَنطقية تُحتم آطّراده علىٰ كلّ حَال، بل يُمكن خَرقه ونَقضه بحكُم العَقل، غَاية ما في الأَمر أنّ هذا النّقض لم يَحدث. ومن أمثلته: الحَديد يَتمدد بالحرَارة، والصّبي لاَ يَتكلم سَاعة ولاَدته، والعَصا لاَ تتحول إِلىٰ حيّة تَسعىٰ، والميّت لاَ يعود إِلىٰ الحيَاة مرّة أُخرىٰ، والمَاء لاَ يَقف كالجبَال من غير سدّ وحَاجز.

كلّ ذَلكَ ومَا شَابه صَحيح بحكُم العَادة وفي عَالم الوقُوع والتّطبيق، ولكن وقُوعه غَير مُستحيل عقلاً، وآطّراده لَيس بواجب تكويناً. وكَثيراً ما يَحدث الخَلط والإِشتبَاه بين القَانون العَقلي والقَانون الطّبيعي، فيَعدون المُعجزات في النّواميس الطّبيعيَّة والخوارق فيها من نَوع القَانون العَقلي، وما هي منهُ في شيء، بل هي من صُلب القانون الطّبيعي الّذي يَجوز نَقضه، ولاَ يَجب آطّراده بحكُم العَقل وبَديهة المَنطق. وعلىٰ أَسَاس هذا الخَلط والخَطأ مَن أنكر المُعجزات علىٰ

أيَدي الأَنبياء، قَاصر أو مُكابر.

العِصمَة:

وتَجب العِصمَة لكلّ نبيّ فيَما يُبلِّغ عن الله سُبحانه بالأدلة التاليَة:

١ ـ أنّ الوحي مَعصوم... والخَطأ في تَبليغه يُخرجه عن العِصمَة إلىٰ التّحريف تمَاماً كمَن يَتلو آية من الذِّكر الحَكيم علىٰ غَير وجهها.

٢ ـ أنّ الأَحكام الوضعيَة تَصدر عن بَشر أمثَالنا، وعَليه يُمكن العِلم بها مُباشرة أو عن طَريق التّواتر أو شهَادة الثّقات. أمّا الأَحكام الإلهية فتَثبت عند النّبيّ بالحسّ واليَقين، ولاَ تَثبت عندنَا بأيّة وسيلَة علىٰ الإطلاق إلاّ بمَبدأ العِصمَة بحَيث يكون النّبيّ لسَان الله وَبَيانه.

٣ ـ وهذَا الدّليل خاصّ بنبُوّة مُحمَّد وعِصمَته ﷺ وخُلاَصته: أنَّ شَريعة القُرآن، تَصلح لكلّ زمَان ومكَان لأَنّها تَهدف إلىٰ الخَير الأَقصىٰ لكلّ فَرد ومِن كلّ جِهة، وقد شَهد بفضلها وسَبقها مُفكرون مُنصفون في الشّرق والغَرب، ونقلتُ العَديد من أقوالهم في (كتَاب النّبوة والعَقل، وكتَاب فَلسفة التّوحيد والولاَية، والتّفسير الكَاشف) وغير ذلك ممّا كَتبتُ وألّفتُ.

وآخر مَا قرأتُ في هذا المَوضوع مقَال مُطول بعنوان عُلوم العَرب القَديمة، وفيه يقُول الكَاتب ما مَعناه:

(صَدر كتَاب أسمه تُراث الإسلام، عن جَامعة أكسفورد بإشراف توماس

آرنولد، والفَرد غليوم، ومن جُملة ما جَاء فيه: «أنّ الشّريعة الإسلاميَّة تَحتوي علىٰ مَبدأ المُعاونة المُشتركة الّتي تَعني المُساواة بين الجَميع، وعلىٰ أصل الإباحة الَّذي خَفف من القيود القَانونيّة الّتي عَرفتها اليهوديَّة والمَسيحيَّة. كمَا شجعت هَذِه الشّريعَة النّشاطات العِلميَّة في مجَال الزّراعة، والصّناعة، والتّجارة، ومَنعت الإستغلال، وحثّت الإنسَان أنْ يَعيش من عَمله، وحرّمت التّبذير، وتَبديد الثّروة، وأعتبرت المَصلحة العَامّة هي الأَساس، ومن هُنا كانت عَامّة ومَرنة... وفَرّقت بَين حقّ الله وحقّ النّاس، وهو مَا يُعرف في الغَرب بالقَانون العامّ والقَانون الخاصّ. وهكذا أرتفع مُستوىٰ الأَخلاق في القَانون الإسلامي، وكان لهُ أبلغ الأَثر علىٰ التّشريعات الأُوروبيَّة الحَديثة من غَير شكّ»[1].

وهَذا إعتراف صَريح من عُلماء الغَرب أنفسهم بأنّ القوَانين الغَربية مَدينة للشَّريعة الإسلاميَّة. فمن أين جَاءت عَظمة هذا التّشريع لُمحَمَّد؟ من فَهمه ووَعيه أم من إنطباعاته الإجتماعيَّة والثّقافيَّة؟ كلاً، كلّ ذَلكَ مُستحيل أنْ يَحدث لو لَم يكُن مُحَمَّد نبيَّاً يَتلقىٰ الوحي من ربّ العَالمِين.

البَعْث:

مَن يَكفر بالبَعث والجَزاء بعد المَوت فهو سَفيه ومُراهن مُخاطر، لأنّه لاَ يخلو من أحدِ فَرضَين ولَيس هُناك فَرض ثَالث:

أمّا أنْ لاَ يَربح شيئاً علىٰ الإطلاق، وذَلك إنْ لم تَكن هُناك آخرة وحسَاب، وأمّا أنْ يَخسر كُلّ شيء، ويُعذّب عذَاباً مَهيناً إنْ كان هُناك بَعث وحسَاب.

أمّا مَن يُؤمن باليَوم الآخر وجَزائه فهو مُراهن عَاقل وآمن، يَنظر لنَفسه،

---

(١) أُنظر، مجلّة عَالم الفِكر الكويتيّة في العَدد الأوّل من المُجلّد الثّامن.

ويَبتعد عَن مَظان الهَلكة وشرّ العوَاقب، لأنّه لاَ يَخسر شيئاً إنْ لَم يكُن شيء، ويَربح كلّ شيء إنْ يَك نَشر وثوَاب.

ويُروىٰ أنَّ السّيد جمَال الدّين الأَفغاني أبحَر في سَفره إلىٰ بَعض البلاَد، فهبّت رِيح عَاصف، فَرغب إلَيه المُسافرون أنْ يَكتب ورقة ويُلقيها في البَحر عَسىٰ أنْ يَسكن المَوج ويَهدأ، فأستجَاب بلاَ تَردد، ولمّا سُئل عن ذَلكَ قَال: إنْ غَرقت السّفينَة بمَن فِيها لَم أخسَر شيئاً حيث لاَ يبقىٰ مَن يُخبر النّاس بمَا فَعلت، وإنْ سَلمت ونَجت قَال المُسافرون: نَجونا ببَركة الأَفغاني، وهَذه صَفقة رَابحة[1]. هذَا إلىٰ أنّه يدخل في مَفهوم اليوم الآخر المُثل الإنسانيّة التالية:

١ - أنّ الإنسَان يُقاس في ذَلك اليَوم بأعمَاله لاَ بأموَاله، وبَنيّته وسلاَمة قَلبه لاَ بجَاهه ونَسبه، قَال سُبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾[2].

وقَال تَعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾[3].

٢ - لاَ يَفلت المُسيء من العقَاب في مَحكمة الله سُبحانه حيث لاَ يَستوي في عَدله مَصير الصّالح ومَصير الخَبيث، والبَار والفَاجر، قَال سُبحانه: ﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[4].

---

(١) أُنظر، خَاطرات جمَال الدِّين الأفغَاني، مُحَمَّد بَاشَا الخوَارزميّ.
(٢) الشّعراء: ٨٩.
(٣) آل عِمران: ٣٠.
(٤) الأنعام: ١٦٠.

٣ ـ مَن يُؤمن بالخلُود والمُكافأة يَتزود بعَمل الخَير لآخرته، ويَشعر بالمَسؤولية في جَميع تَصرفاته، ويَتوخىٰ مَرضاة ربّه وضَميره، أمّا مَن يُنكر ذٰلك فيرىٰ الدّنيا فَريسة الشّاطر وفُرصته الوَحيدة أنْ يَنطلق مع الأَهواء ـ في العَادة والغَالب ـ بلاَ رَادع من دين أو ضَمير، ولاَ يَعف عن أيّة جَريمة ورَذيلة ما دَام آمناً عَلىٰ مَصيره.

وبهذَا يَتبين لنا أنّ الإِيمان باليوم الآخر لصَالح الفَرد والجَماعَة حَيث يُوجد في كلّ نَفس رَقيب وشُرطي مِنها عَليها، قَال أَرسطو: رَدع النّفس للنّفس هو علاَج النّفس»[1].

وإنْ قَال قَائل: لَقد رأينا العَديد من المُؤمِنين بالله واليوم الآخر يَرتكبون أكبر الجَرائم وأقبَح المَآثم فَأين الرّدع والزّجر الّذي زَعمت ـ **قُلنا في جوَابه:** هَؤلاء مُزيفون لاَ مُؤمنون، فَليس المُسلم السّليم مَن طَالت لحيَته وأسودت مَسبحته، بل مَن تَنزّه دِينه وعِلمه، ويَده وفَمه عن الآثَام وإِتيان الحرَام.

وأعجب العجب أنْ يَدّعي العَديد منّا الإِيمان بالله ورسُوله واليَوم الآخر، ويَرفعوا شعَائر الدّين والخَير، ويُنكروا علىٰ الجِيل التّهتك والتّفسخ باسم الحُرّية، وعلىٰ السّاسة الطّغاة هَدر الدّماء والحقُوق باسم الدّيمُقراطيّة، ثُمّ يَنسوا أو يَتناسوا ما يَفعلونه من الكبَائر باسم الإِسلام وشَريعة القُرآن.

الحُرّية:

مِن الشّروط الأَساسيّة والطّبيعيّة لكلّ تَكليف إِلٰهياً كان أم وَضعيّاً ـ العَقل

---

(١) أُنظر، أعيَان الشّيعة السّيّد مُحسن الأمين: ٣/ ١٦٣.

والحُرّية والقُدرة، فبالعَقل يُميز بَين الهُدىٰ والضّلال، وبالحُرّية يَختار، وبالقُدرة يَفعل، ومن هُنا أوجب الإِسلام النّظر وإِعمال العَقل، وآعتبر عَدم البَحث والنّظر جَريمة يَستحق الإِنسَان عليها العَذاب يَوم يَلقىٰ ربّه، قَال، عزّ مَن قَائل، حكايَة عن أهل النّار: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[1].

وهَذا النّص قَطعي الدّلالة علىٰ أنّ إِهمال العَقل من أكبَر الكبَائر، ونَعطف عَليه سَائر الآيات التّي حرّمت التّقليد، وقدّست العَقل والعُقلاء والعِلم والعُلماء، وقَد تتّبع أحد البَاحثين لفظ العَقل والعِلم ومُشتقاتهما ومُترادفاتهما، فـوجد ذَلك قـد تَكرر (٩٦٠) مرّة.

ومن المَعلوم بالبَديهة أنّ لاَ عَقل أو لاَ جدوىٰ منهُ بلا حـرّية، إذ كـيف يـتبع الإِنسَان الهُدىٰ ويَدع الضّلال من غير حرّية وآختيار؟ ومن أجـل هـذا أسـقط الإِسلام التّكليف عن المجنُون والعَاقل المُكره، وآعتبرهُما بمَنزلة سواء من هَذِه الجِهة. قَال الرَّسول الأعظمﷺ: «رُفع عَن أُمّتي تِسعة: «الخَطأ، وَالنّسيان، ومَا أُكرهُوا عَلَيه، وَمَا لاَ يَعلمُون، وَمَا لاَ يُـطيقُون، وَمَـا آضـطرُوا إِليـه، وَالحَسَـد، وَالطِّيرة، وَالتّفكير فِي الوَسوسَة في الخَلق مَا لَم يَنطق بشفَه»[2]. وَقَـال الإِمَـام الصّادقﷺ: «إنّ الله آحتَج عَلىٰ النَّاس بـمَا آتَـاهُم وعـرَّفهُم[3]... وَقَـد آتَـاهُم

---

(١) الملك: ١١.

(٢) أنظر، الكَافي: ٢ / ٦٣ح ٢، تُحف العقول: ٥٠، مَن لاَ يَحضره الفَقِيه: ١ / ٣٦٥، وَسَـائل الشّـيعة: ١٥ / ٣٦٩ح ١، مَجمع الفَائدة: ٥ / ٦٠، الإِختصَاص للشّيخ المُفيد: ٣١، الخصَال للشّيخ الصّدوق: ٢ / ٤١٧ح ٩، التّوحيد للصّدوق: ٣٥٣ح ٢٤.

(٣) أنظر، الكَافي: ١ / ١٦٣ح ١، التّوحيد للشّيخ الصّدوق: ٤١٠ح ٢ و ٣، الإِعتقَادات للشّيخ المُفيد: ٣٧، الوَافي: ١ / ٥٥١ح ١.

القُدرة، وَعرَّفهم مَا أَراد عَلَىٰ لسَان رُسله، وَجعل لمُراده منهُم حَدّاً، وَجعل عَلَىٰ مَن اعتَدىٰ وَتَعدىٰ ذَلِكَ الحَدّ حَدّاً»[1].

ومِن مبَادىء الإِسلام وشَريعته: «الضّرورات تُبيح المحظورات»[2]، «العقُود تَتبع القصُود»[3]، «لاَ يَحل مَال امرىء إِلاَّ عَن طِيب نَفسه»[4]، «لاَ يُنسب لسَاكت قول»[5]، «النَّاس مُسَلطُون عَلَىٰ أَموَالهم»[6]، «المُعَاملاَت طَلق ـ الأَصل الإِبَاحَة ـ حَتَّىٰ يَرد النَّهي»[7]. (أي الحُرِّية) بل الحُرِّية هي الأَصل والإِباحة فَرع. وبهَذا يَتبين لنَا:

١ ـ أنّ الإِسلام لاَ يُفرق بين العَقل والحُرِّيَّة، وإِنّه يَرفض

---

(١) أُنظر، الكَافي: ١ / ٥٩ ح ٢ و: ٧ / ١٧٦ ح ٧ و ١٢، مَن لا يَحضره الفَقيه: ٤ / ٢٥، التَّهذيب: ١٠ / ٣ ح ٥، مسَالك الأَفهام: ١٤ / ٣٩٨، المَحَاسن: ١ / ٢٧٤ ح ٣٨٢، وَسَائل الشّيعة: ١٨ / ٣٠٩ ح ١، دَعَائم الإِسلاَم: ٢ / ٤٤٤ ح ١٥٥٠، المُهذب البَارع: ٥ / ٢١٢.

(٢) أُنظر، العهُود المُحمّديَّة: ١٥٤، فَيض القَدير: ١ / ٧٢، كَشف القنَاع: ٢ / ٣٥ ح ١٦٤٠، الحَدَائق النَّاضرة: ٨ / ٣٤٣، رِيَاض المسَائل: ١ / ١٥٢.

(٣) أُنظر، جوَاهر الكلاَم في شَرح شرَائع الإِسلام للشّيخ مُحَمَّد حَسن الجوَاهري النّجفي: ٢٣ / ١١٠، المكَاسب للشّيخ الأَنصاري: ٣ / ٤٤.

(٤) أُنظر، مُسنَد أَحمَد: ٥ / ٧٢، كَشف الخَفَاء: ٢ / ٣٧٠ ح ٣١٠١، الإِصَابَة: ٢ / ١٢١ ح ١٨٧٧.

(٥) أُنظر، إعانة الطَّالبين لبكري الدّمياطي: ٤ / ٢١٥، فَتح البَاري شَرح صَحيحُ الإِمام البُخاريّ، لأَحمَد ابن عليّ بن مُحمَّد بن حَجر العسقلاَني: ٥ / ٢٢٠، تَفسِير رُوح المعَاني للآلوسي: ٥ / ١٠٠.

(٦) أُنظر، المَبسُوط للطُّوسي: ٣ / ٢٧٢، نهَايَة الأَحكَام: ٢ / ٥٢١، المَجمُوع لمُحيي الدِّين النَّووي: ١٣ / ٣٥، الفِقه عَلَىٰ المَذَاهب الأَربعَة: ٣ / ١٩٢، عَون المَعبُود شَرح سُنَن أَبي دَاود: ٩ / ٢٣٠، تُحفة الأَحوَذي بشَرح جَامع التّرمذي لعَبد الرّحيم المُبَاركفُوري الهندي: ٤ / ٤٥٢، نَيلُ الأَوطَار للشّوكَانيّ: ٥ / ٣٣٥، الخلاَف للشّيخ الطُّوسي: ٣ / ١٧٦، مُختلف الشّيعَة: ٥ / ٢٢٤ و: ٦ / ٢٧٨ و: ٧ / ٢٤ و ص: ١٦١ و: ٨ / ١١٤، تَذكرةُ الفُقهَاء للعَلاَّمَة الحليّ: ١ / ٤٨٩ و: ٢ / ١٨٩.

(٧) أُنظر، الإِستذكَار لابن عَبدالبرّ: ٨ / ٣٥٦ رَقم «١٧١٩»، فرَائد الأُصُول، الشّيخ الأَعظَم مُرتَضىٰ الأَنصَاري: ٢ / ٥٢ إعدَاد لُجنَة تَحقيق: وَنَشر تُرَاث الشّيخ الأَعظَم.

الجَهل والعُنف معاً، ولاَ يَفرض علىٰ أي إنسَان شَيئاً يَرفضه ويَأباه، وإنّما يَحثّه علىٰ التّقوىٰ والإستقامة بالحِكمة والمَوعظة الحَسنة.

٢ ـ أنّ الحُرّية حقّ لكلّ إنسَان، ولاَ يحدّها شيء إلاّ حرّيّة مثلها لإنسان آخر أو مَا حرّمه الله بالنّص الثّابت، لأنّ الحُرّية بلاَ حدُود تَعني القضَاء علىٰ الحُرّيّة من الأساس.

٣ ـ أنّ دين الإسلام هو دين الحُرّيّة يَصوغ نظَامه وأحكامه علىٰ أسَاسها، ابتداءً من العَقيدة التّي يعتنقها الإنسَان إلىٰ جَميع أقوَاله وأفعَاله، لأنّ الله سُبحانه لاَ يَتعامل مع عبَاده ـ في تَصرفاتهم ـ بإرادته التّكوينيّة (أي بقَاعدة ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ كَلاَّ، أنّ الإسلام مُجرد وحي وبَيان، وتَشريع ونظَام، وآدَاب وأحكَام: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾[1].

---

(١) المُدّثر: ٥٥.

المَنهج العِلمي في الإِسلاَم

هَذا الفَصل جُزء من الفَصل السّابق ومُتمم لهُ، وذكرنَاه علىٰ حدَة لأَهمّيته.

العِلم والمَعرفَة:

كَان العِلم عندَ القُدامىٰ مُرادفاً للمَعرفة أيّاً كان نوعها وسَببها، ثُمّ بدَأ لفِئة من الجُدد أنْ يُقسموا المَعرفة إِلىٰ مَعرفة عِلمية، لاَ تأتي إلاَّ عن طريق الحوَاس. ومَعرفة أدبية، تَأتي عن طريق الفِكر والتّأمل فَقط، واْستخدموا كَلمة العِلم في المَعرفة العِلميَّة دون الأَدبيَة، وشاع هذا التّقسيم الثّنائي للمَعرفة حتَّىٰ في المعَاهد والجَامعات حَيث يُقال: القِسم العِلمي والقِسم الأَدبي.

ونحنُ لاَ نُفرق بين كَلمة العِلم وكَلمة المَعرفة لأَسباب أهمّها:

أوّلاً: أنّ الخِبرَة الحسيَّة لَيست بأقوىٰ من المَعرفة العَقليَة، فكَم من مَرّة خَدعتنا الحواس، فتَركناها إِلىٰ حُكم العَقل، كالسّراب تَراه العَين مَاء، و ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[1].

ثَانياً: أنّ الخِبرتَين: الحِسيَّة والعَقلية مُتكاملتان حيث لاَ غنىٰ للحسّ عن

---

(١) النّمل: ٨٨. جَاء في النّظرية النّسبيّة لآينشتاين: أنّ الأَشياء المَحسوسة بكاملها مُجرد حوادث سَريعة الحَركة والتّتابع تَحت تأثير عَامل خَفي.

العَقل، ولاَ للعَقل عن الحسّ، وعَليه يكُون الفَصل بَينهما خَطأ وبلاَ سَبب مُوجب.

ثَالثاً: أنّ العُلماء لم يَكتفوا بمُلاحظة الحوَادث ومُشاهدة الظّواهر الطّبيعيّة، بل حَاولوا ٱكتشاف العِلاَقات بَين بَعضها البَعض مع العِلم بأنّ هَذِه العِلاَقات لاَ يُمكن إدراكها بالحسّ. ولاَ يُحتمل إثباتها بالتّجربة، وإنّما توصلوا إلَيها عن مُحاولة مَعرفتها بمُجرد الفرض، فإذا صَدق ٱنقلب الفَرض عندهُم إلىٰ قَانون عِلمي تتّضح به حَقيقة الحَادثة والظّاهرة الكَونية، شَأنه في ذَلك شأنْ جَميع القوَانين الطّبيعيّة، ومَعنىٰ هذا أنّهم ٱستخدموا لَفظ العِلم فيما لاَ يَقع تحت الحسّ، ونَقضوا هُنا ما كَانوا قد أبرمُوه من قَبل، وهم لاَ يَشعرون.

ضَرورة الفَرض:

ولعلّ من المُفيد أنْ نَتحدث قليلاً حول الفَرض بعد أنْ أشرنا إلَيه في الأَسطر المُتقدّمة. ومَا من شكّ أنّ الفَرض طَريق للعِلم والمَعرفة، وضروري لكلّ عَالم وفَيلسوف، ومَعناه التّفسير المُؤقت للظواهر الّتي هي موضُوع الدّراسة، وذَلكَ أنْ يَرىٰ الباحث ظَاهرة، ويَخفىٰ عليه سَببها، فيَضع لها تَفسِيراً مُؤقتاً من عِنده، ثُمّ يَنظر ويَختبر هذا الفَرض والتّفسير، فإنْ ٱنسجم والتأم مع الظّاهرة تمَاماً كحَال العِلّة مع المَعلول فهو مَطلوب وإلاّ ٱفترض تَفسِيراً آخر أنسَب وأَقرب... وهَكذا حتّىٰ يَطمئن البَاحث ويَقتنع بصحة الفَرض مُعززاً بالحوَادث المُشاهدة من الأَشباه والنّظائر، وبَعدم ٱصطدامه مع المَبادىء المُسلم بها، وعندئذٍ يَنقلب الفَرض إلىٰ قانون أو نَظريّة.

وبقصد التّوضيح نَعرض هذا المِثال: ظهر مَرض في بَعض البُلدان، وعمّ جَميع سكّانه، فعَلىٰ الطّبيب أنْ يَفترض لذلك العَديد من الأَسباب كتَناول الجَميع لطعَام وَاحد وفَاسد، أو مُرور غَريب يَحمل مَرضاً مُعدياً، أو لإشتراك المواطنين في

شُرب واحد، فإذا ثَبت الأَخير أَخذ به، وألغىٰ الأوّل والثّاني.

ويَعترف المَاديّون بالفَرضيات وأنّه لاَ بُدّ مِنها لتَفسير الظّواهـر الطّـبيعيَّة، ولاَ فرق عندهُم بين التّجربَة وصحة الفَرض من حيث أنّهما من مصَادر المَعرفة. فإنّ هُناك أَشيَاء مَوجودة بالفِعل، ولاَ طريق إلىٰ مَعرفتها إلاَّ بالفَرض السّليم، ولكـن المَاديِّين أنكروا صحَة الفرض إذا تجَاوز الطّبيعة إلىٰ مَا بعدها، لاَ لشيء إلاَّ لأَنّها تُؤدي حتماً إلىٰ وجُوب الإعتراف بالله وعَظَمته!.

الجوَاب:

١ ـ أنّ موضوع الفَرض هو الشّيء المَـوجود بـالفِعل، ولكن لاَ يُمكن إدراكه بالحسّ، ومتىٰ تَحقق هذا الوصف حَكـم العَقل باللّجوء إلىٰ الفَرض سواء أكَان المَوضوع طَبيعيًّا أم غير طَبيعي، ومن المَعلوم أنّ حُكم العَقل لاَ يَقبل التّقليد بـحَال، وأي عَاقل يقُول: المُربع غير المُدور إلاَّ إذا كان من نُحاس؟.

٢ ـ نسأَل الماديِّين: لَقد رأيتُم بالحسّ قوانين رَاسـخة مُحكمة في الكَون، وأيضاً رَأيتم الحيَاة في بَـعض أشـيائها دُون بَعض، ولم تروا بالحسّ أي سَـبب يُـوجب ذَلكَ، كـمَا تَاهت عقولكُم عن إدراكه، فالتجأتُم إلىٰ وضـع الفُـروض. وهذَا هُو المألوف والمَعروف بين العُلماء والعُقلاء، مَـا فـي ذَلكَ رَيب، ولكن آرتضيتُم فَرضاً للتفسِير يأبَاه العِلم والعَقل، وهو مَا أطلقتُم عليه آسم التّوحيد الذّاتـي أو المِـيكانيكي، وأردتُم بذلك أنّ في الطّبيعة قوّة غَامضة تولدت مِنها قسـرَاً وآلياً هَذِه القوَانين الرَّاسخة وتِلك الحيَاة وزِينتها ورَوعتها.

كلاًّ، أنّ هذا الفَرض لاَ يُفسر ويُعبّر إلاّ عن الجَهل والوهم، لأنّـه يَـتنافىٰ مـع القوَانين العِلميَّة والمَعلومات المُسلّم بصحتها... أنّ الطّـبيعة لاَ وعـي فـيها ولاَ شعور، فمن أين جَاءها هذا التّدبير والتّقدير والتّنسيق والتّرتيب؟ فَهل نظمت هي نَفسها بنَفسها، ووضعت كلّ شيء في مَـوضعه، وٱسـتمرت عـلىٰ هـذا النّـظام والإِحكام ملاَيين السّنين؟... أبداً مَا من شيء مُتقن ومُحكم من أصغر صَغير إلىٰ أكبَر كَبير إلاّ وراءه عِلم وتَدبير، وحِكمة وتَقدير.

وأخيراً فكلّ مَا قِيل أو يُمكن أنْ يُقال في هـذا البَـاب فـقد لخـصّه وجَـمعه (فولتر) في هَذِه اليَقظة الفِطرية: «أنّ وجود الله فَـرض ضَـروري، لأَنّ الفِكـرة المُضادة حمَاقات»[1].

موَارد الفَرض:

لَقد بَداً وَاضحاً ممّا تَقدم أنّ الحوَاس تُدرك الظّواهر مـن المَـوجودات، وأنّ عدَاها يُدرك بالعَقل مُباشرة، أو بوَاسطة الفَرض. وقَال أحد أقطَاب الفَلسفَة: أنّ الحقَائق التّي يَجب الإِعتقاد بصحتها عن طَريق الفَرض ـ ستّة أنوَاع، ونُـلخصها فيما يلي بشَيء من التّصرف في الشّكل لاَ فِي الُمحتوىٰ، بقَصد التّوضيح:

١ ـ الإِعتقَاد بوجود أشـيَاء كَـثيرة بَـعيدة عـن حَـيزنا وتَــصورنا، وهــي عَـلىٰ نَـوعَين: بَـعضها يُـمكن إدراكـه

(١) أنظر، تَراجم عُلماء طرَابلس: ١٣٢، مجلّة المُجمع العِـلمي: ٩/٤١٤ و: ١٠/٤٩٢، مُسـتدركات أعيَان الشّيعة للسّيِّد حَسن الأَمِين: ٢/٣١. تَجد تَرجمَة «فولتير».

وأُنظر، P. DydDrink Water,Theotline of Liter Ture 290

Story of Philospphy, Will Durant.p.220

أُنظر، الرّوض الأَزهر في تَأريخ بُطرس الأكبر لفولتير.

بالحوَاس، وبَعضها فوق ذَلك، ولكنّه يُعرف بآثَاره.

٢ ـ الإعتقَاد بوجُود العَقل في الكَثير من البَشر دون أنْ نَرىٰ لعقُولهم أي أثَر مَلموس.

٣ ـ الإعتقَاد بأنّ العَقل لَيس من نَوع المادّة، وإنّه مُتفوق إلىٰ أقصىٰ الحدُود.

٤ ـ الإعتقَاد بأنّ في الكَون قوّة مَحدودة وثَابتة لاَ تزيد ولاَ تنقص، لأنّها لو لَم تَكن كَذلكَ لمَا وجدت الجَاذبية، وأصبح الكَون فوضىٰ، وأنحلّ الهَيكل النّظامي فيه، وعندئذٍ يَستحيل ضَبط وقيَاس أي شيء، وبهذا تَمتنع كلّ المعَارف والعُلوم الطّبيعيَّة، ويَعتقد المُؤمنون بالله أنّ هَذِه القوّة هي عنَاية إلٰهية، أمّا المَاديّون فيقُولون: هي غَامضة ومُبهمة، أو أنّها تَولدت من الطّبيعة بالذات، كمَا سَبقت الإشَارة.

٥ ـ الإعتقاد بأنّ في المادّة قوّتي جَذب ودَفع، وأنّ تَعليل هَذه الحَقيقة وتَفسِيرها فَوق الإدراك لمكان إجتماع النّقيضين في شيء واحد في آنٍ واحد.

٦ ـ الإعتقاد بمَبدأ السَّببيَّة حَيث نُساق تِلقائياً إلىٰ اليَقين بأنّ كلّ حَادث لاَ بُدّ له من سَبب دون أنْ نَرىٰ حَقيقة السَّببيَّة والعِلاَقة بَين الأَثر والمُؤثر، وكلّ مَا رَأيناه أنّ حَادثة لاَحقة وقعَت إثر حَادثة سَابقة، أو أنّ الحَادثتَين وقعَتا معاً وبلاَ فَاصل[1].

(١) مِن كتَاب مُلقىٰ السّبيل لإسماعيل مُظهر: ٦٣ ومَا بَعدها.

المَنهج العِلمي :

المَنهج في اللُّغة : الطّريق الوَاضح[1] ، وفي الإصطلاح : الطّريقة التّي يتّبعها البَاحث في أي مَوضوع للكَشف عن حَقيقة مَجهولة ، أو لدَعم حَقيقة مَعلومة من باب ليَطمئن قَلبي ، والعِلمي هو المَنسوب إلىٰ العِلم ، ومن شَأنه أنْ لاَ يقرّ شيئاً إلاّ بَعد قيَام الحجّة الكَافية الوَافية[2] .

ويَختلف مَنهج الإسلام في إثبات الحقّ تَبعاً لطَبيعة المَوضوع المَأمور بـه أو المَنهي عنهُ تمَاماً كالقَاضي يَنظر أوّلاً إلىٰ نوع الدّعوىٰ وصيَاغتها ، وفي ضَوء ذَلك يُقرّر وجهَة السّير فِيها ، ونوع الوسيلَة التّي يَعتمدها في النّفي أو الإثبَات . وفِيما يَلي البَيان .

الإيمان بالله :

١ ـ الإيمان بـالله ، ويَـنحصر الطّـريق إلَـيه بـالإستقراء والإستنتاج ، بالحسّ والعَـقل ، ويَـتم الإسـتقراء بـالنّظر إلىٰ الكَون وعَظمته بمَا فيه ومَن فيه كمُقدّمة صَـادقة لإسـتنتاج نَتيجة صَادقة في نَظر العَقل . وهذا هو بالذّات المَنهج العِلمي الّذي يتّبعه الإسلام في الدّعوة إلىٰ الإيمان بالله .

وقَد أرشدنا سُبحانه إلىٰ هـذا المَـنهج فـي العَـديد مـن الآيات ، وعلىٰ سَبيل المثَال نَذكر هَذه الآيَة : ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى

(١) أُنظر ، مُختار الصّحاح لمُحَمّد بن عَبدالقَادر : ١ / ٢٨٤ .

(٢) أُنظر ، الفُروق اللّغويّة لإبي هلاَل العَسكري : ٢٩٨ ، نَظرات في الكُتب الخَالدة ، الدّكتور حَامد حَفني دَاود : ٢٨ ومَا بَعدها .

مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾[١] وكَلمة ﴿مِن شَـىْءٍ﴾ هُنا تُشير إِلىٰ الّنملة الصّغيرة فمَا دونـها كـعَينها ورِجلها، وأنّها هي وكلّ مَا فيها مُعجزة تَدل علىٰ باريها فضلاً عن الكَون ونظَامه وهَندسته وأحكامه.

والمَعنىٰ تَأمّلوا وتَدبروا هذا الّذي تَرونه ﴿مِن شَىْءٍ﴾، مِن أين أَتىٰ؟ وكَيف حَدث؟ ومـن الّـذي صَـمّم وصَـنع؟. ولاَ تَذهبوا بَعيداً في البَـحث عـن الجـوَاب، ٱسـتفتوا أنـفسكُم بالذات، وٱسألوا عقولكُم عمّا رأت أعـينكُم: ﴿إِنَّ فِـى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٢] وإنْ لم يكُن لكُم قُلوب صَافية ولاَ عقُول وَاعية فاسألوا عَالماً كَبيراً أو طِفلاً صَغيراً.

الّذين عَبدوا الأحجَار:

ومَا أكثر مَا كتبتُ وقـرأتُ فـي هـذا البَـاب، ولديّ مـن مَـصادره عَشـرات المُؤلّفات، ومِنها القصَار والطّوال، ومِنها ما بَين ذَلك وغَير ذَلك مـن قُـصاصات الجَرائد، وقد جَاء في واحدة مِنها ما نصّه بالحَرف:

«الَّذين عَبدوا الأَحجار مِن أُلوف السّنين لم يكُونوا مُخطئين، فإنّ عقُولهم ـ القَاصرة ـ لاَ تَقوىٰ علىٰ أكثَر من ذَلك. أنّ عقُولهم تُحاول أنْ تَعرف، وهذا أقصىٰ مَا وصلت إِلَيه من المَعرفة... لقَد نَظروا إِلىٰ السّماء وقَالوا: أنّها جَميلة وجَليلة، فَهل من خَالق غَير الله؟». ﴿هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ

---

(١) الأعراف: ١٨٥.

(٢) سُورَة قٓ: ٣٧.

ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١].

الإيمان بالنبوة :

٢ ـ الإيمان بنبوّة مُحَمَّدﷺ يأتي عن طَريق الإستقراء بالمُشاهدة والإستنتاج بمَنطق العَقل كمَا جَاء في هَذه الآيَة :
﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٢].

والمَعنىٰ قُل يَا مُحَمَّد للَّذين جَحدوا برسَالتك مـن أهـل مكَّة : لبثتُ بَينكُم أربَـعين عـامَاً مـن قَـبل أنْ يُـوحىٰ إليّ، وبَلوتمُوني طِفلاً وشبَاباً وكَهلاً، وسَاعَة عُسـري ويُسـري، ورضَاي وغَضبي، ومَا رَأيتُم مـنّي إلاَّ الخَـير والإستقامة، والصّدق والأَمانة حتَّىٰ اشتهرت عندكُم بـالصَّادق الأَمـين، فمَا عَدا ممّا بَدا؟ ولمَاذا لاَ تَربطون الحَاضر بـالمَاضي؟... حقّاً إنّ هذا التّناقض الظّاهر منكُم لدَليل قَاطع عَلىٰ أنَّكُم أنتُم الكَاذبُون والمُفترون[٣].

وهَذا المَنهج الَّذي انطوت عَليه الآيَة الكَريمة هو مَـنهج

---

(١) لُقمان: ١١.

(٢) يُونُس: ١٦.

(٣) أُنظر، السّيرة النّبويّة لابن كَثير: ١ /٢٠١، الدرّ المَنثور للسّيوطي: ٣ /٣٠٢، المَجمُوع لمُحيي الدِّين النَّوويّ: ١٨ /١٠٥، المُغني لابن قُدامة: ١١ /٣٠٣، تَفسير الكشّـاف للـزَمخشري: ٢ /٢٩، تَفسير مُقاتل بن سُليمان البَلخي الأزديّ الخرَاسَاني: ٢ /٨٦، جَامع البَيان عن تَأويل القُـرآن، أبـي جَعفر مُحَمَّد ابن جرير الطَّبري: ١١ /١٢٥، مَعاني القُرءان للنّحاس: ٣ /٢٨٣، تَفسير السَّـمرقندي لأبي اللَّيث السَّمرقندي: ٢ /١٠٨.

عِلمي بالمَعنىٰ الحَديث، لأنّه يقُوم علىٰ الحسّ والتّجربَة.

الإيمَان باليَوم الآخر:

٣ ـ الإيمَان باليَوم الآخر، ومَن يدّعي الحيَاة والبَعث بعد المَوت في المُستقبل البَعيد أو القَريب ـ فَعليه أوّلاً وقَبل كلّ شيء أنْ يُثبت أنّ ذَلكَ مُمّكن الوقوع حيث لاَ نَقش بلاَ عَرش. وزَعم بَعض أهل الجَهل والجَاهلية أنّ البَعث مُمتنع ذَاتاً ومُستحيل عَقلاً، فقد روىٰ الرّواة أنّ أحد المُشركين جَاء إلىٰ النّبيّ ﷺ بعَظمَة بَالية، وفَتّها في يَده، ونَثرها في الهَواء، ثُمّ سَأل النّبيّ ﷺ سَاخراً: مَن يُحيي العِظام وهي رَميم؟، فَنزلت الآيَة: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[1]. ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2].

يَقول، عَظُمت كَلمته: أنّ الكَون مَوجود بالعَيان

---

(١) يٓس: ٧٧ ـ ٧٨.

(٢) يٓس: ٨١.

أنظر، زَاد المَسير في عِلم التَّفسير لابن الجَوزي: ٦ / ٢٨٣، حققهُ وكتب هوامشه مُحَمَّد بن عبدالرَّحمن بن عبدالله، أُستاذ بكُلّيَة الدّراسات الإسلاَميَّة بالأزهر، خَرّج أحاديثه أبُو هاجر السَّعيد بن بسيُوني زغلُول، البدَاية والنّهاية لابن كثير: ٣ / ١١٢، السّيرة النَّبوّية لابن كَثير: ٢ / ٥٥، تخريج الأحاديث والآثار للزّيلعي: ٣ / ١٦٧، تَفسِير أبن أَبي حَاتم: ١٠ / ٣٢٠٢، تَفسير العزّ بن عبدالسَّلام: ٤٦، تَفسير أبن كَثير: ٥ / ٢٦٩، تَفسِير رُوح المعَاني للآلوسي: ٢٣ / ٥٣، تَفسير السَّمرقندي لأبي اللَّيث السَّمرقندي: ٢ / ٢٦٦.

والوجدَان، ووجود الشّيء يَدل علىٰ إمكان وقُوعه بـدلاَلة أقوىٰ من أيّة دلاَلة، لأَنّ الشّيء لو لَم يُمكن لَم يَقع، وعَـليه نَسأل مَن يرىٰ البَعث مُستحيلاً: لَقد خُلقتَ ولم تَك من قَبلُ شَيئاً، فالذي أَوجدك من العَدم وأحياك ثُمّ أمَاتك وأبـلاَك، هو الَّذي يُعيدك تَارة أُخرىٰ. والتّفرقة في الحُكم بين الإنشَاء والإعادة مع إتّحاد السّبب المُوجب ـ تـهَافت وأضـطراب. وفي فَقرة النّبوّة من الفصل السّابق «فَلسفَة الدّيـن» ذكَـرنا الفَرق بَين القَانون العَقلي والقَـانون الطّـبيعي، فأرجـع إلَـيه عَسىٰ أنْ تَجد مَا يُلقي بَعض الأَضـواء عـلىٰ مسأَلة البَـعث والنّشر.

والخُلاَصة: أنّ مَنهج الإسلام في إثبات عَقيدته وأُصولها، هو عِلمي مَحض، يَرتكز علىٰ رُؤية الحسّ وحُكم العَقل: العَين تُرىٰ وعلىٰ أسَاسها يَستنبط العَقل ويَحكم، فأين هو الغَيب؟ وأي عَاقل يَستدل بالغَيب علىٰ الغَيب؟.

أنّ كَلمة «غَيب» بحرُوفها وتكوّينها اللّفظي تَطلب الدّليل علىٰ صدق الغَائب عن التّصور، ولَن يكون هذا الدّليل إلاَّ العَقل وحده أو بمعُونة الحسّ.

أبَداً يَستحيل أنْ يَثبت الوحي من الله سُبحانه بـمَعزل عـن العَـقل، ولذَا قَـال الرّسول الأَعظمﷺ: «أَصل دِيني العَقل»[1]، وعَليه فمَن نَسب إلىٰ الإسلام مَـا يَرفضه العَقل والعِلم فهو من جَهل الجَاهلين أو وَضع الوضّاعِين، ولَـيس هُـناك فَرض ثَالث.

(١) أنظر، مُستدرك الوسَائل: ١١ / ١٧٣ ح ٨، عـوالي اللآلي: ٤ / ١٢٥ ح ١، الشّـفا بـتَعريف حـقُوق المُصطفىٰ: ١ / ١٤٦.

ومَعنىٰ هذا أنّ كلّ مَا يقرّه العَقل والعِلم فهو من الإِسلام في الصّميم، وكلّ مـا يَرفضه العِلم والعَقل فهو مَفسدة وزَندقة. ومن هُنا قَال فُقهاء الشّيعة الإِمـاميَّة: «كلّ مَا حَكم بِهِ العَقل يَحكم به الشّرع»[1]. وفي رسَائل الأَنصاري: «العَقل بَيان من الدّاخل، والشّرع بَيان من الخَارج»[2]. وإِذا تعارض ظاهر النّقل مـع العَـقل وجب تَأوّيل النّقل بمَا يتّفق مع حُكم العَقل[3]. طَبعاً تَجري عَملية التّأوّيـل مـع مُراعاة الأُصُول اللُّغويَّة.

وأخذَ الشّيعة هذَا الأَصل عن آل الرَّسولﷺ الَّذين هُم أعرف النّاس بمَا نَزل عَلىٰ قَلب جدّهم.

وأَخِيراً، فمَن قَال: «أَصل دِيني العَقل»[4] لاَ يُطلب منهُ الدّليل علىٰ صِدق هَذِه الفِكرة من حَيث هي، لأَنّ صِدقها في صُلب تكوّينها، وإِنّما يُطلب منهُ الشّـاهد علىٰ أَنّه يُدين بهذا المَثل الأعلىٰ الَّذي يَسعىٰ إِلىٰ بلُوغه كلّ النّاس. وقَد أوردنا بَعض الشّواهد علىٰ التّطبيق من كتَاب الله الَّـذي هـو المَـصدر الأَسـاس لدِيـن الإِسلام.

---

(١) أُنظر، أُصُول الفِقه للشَّيخ مُحَمَّد رضَا المُظَفَّر: ٢ / ٢٦٤، هدَاية المُسترشدِين: ٢١٠.

(٢) أُنظر، فَرائد الأُصُول، الشَّيخ الأَعظم مُرتضىٰ الأَنصاري، إِعداد لُجنة تَحقيق ونَشر تُراث الشَّيخ الأَعظم.

(٣) أُنظر، دَرء تَعارض العَقل والنَّقل لتقي الدِّين أحمد بن عَبدالسّلام بن عَبدالحَليم بن عَبدالسّـلام بـن تَيميّة، دَار النّشر الكُتب العِلميّة بَيروت ١٤١٧ هـ، تَحقيق: عَبد اللّطيف عَبدالرّحمن: ٩ / ١٤٨، فرَائد الأُصُول، الشَّيخ الأَعظَم مُرتَضىٰ الأَنصَاري: ١ / ٥٦ إِعدَاد لُجنَة تَحقيق: وَنَشر تُرَاث الشَّيخ الأَعظَم.

(٤) تَقدَّمت تَخريجَاته.

نَافذَة عَلىٰ النّظريّة النّسبيّة

آينشتين :

البرت آينشتين يَهودي ألمَاني، وُلد سنَة (١٨٧٩ م) وكَان في صِغره بَطيء الفَهم، ومَا تكلّم في السّن التّي إعتاد الأَطفال أنْ يتكلّموا فيها، وفُجأة أصبَح نَابغة بالنّسبة إِلىٰ أمثَاله ونظَائره. فَقد أعطَاه والده « بُوصلَة » ليَلهو بها، وأخذتهُ الدّهشة من أُبرتها التّي تَرجع دَوماً إِلىٰ إِتّجاه ثَابت ومُحدّد، وقَال في نَفسه : لاَ بُدّ وأنْ يكُون في الطّبيعة قوَانين قَاهرة تَتحكم في أشيَائها، وكان قَد بلغ آنذاك الخَامسَة من عُمره.

ثُمّ مَضىٰ في التّفكير والتّساؤل : لمَاذا لاَ يَقع القَمر علينا ؟ ومَا هو السّبب المُوجب لوجُود مادّة حيّة وأُخرىٰ لاَ حيَاة فيها ؟ وفي سنّ الثّانية عَشرة عَرف جَيداً الفَرق بين العُلوم الرّياضيّة والعُلوم الطّبيعيّة، ولَم يَبلغ السّادسة والعِشرين حتَّىٰ أشتَهر ولمعَ أسمه في الشّرق والغَرب. وهَكذا أنتقل من مَعرفة إِلىٰ مَعرفة حتَّىٰ إنتهىٰ إِلىٰ النّظريّة النّسبيّة التّي هزّت الأَفكار هزّاً عَنيفاً، ونَسخت العَديد من المَبادىء والمَذاهب، وأثرت تأثِيراً عَميقاً في حيَاة الإِنسَان المَادّية والإِجتماعيّة والثّقافيّة. وقد كَتب العُلماء والفَلاَسفَة عن آينشتين، وهو حي، (٤٥٠٠ كتَاب).

« يقول العَالَم الفَرنسي لويس دوبروي : سَيظل آينشتين في نَظر التّأريخ مُبدع

نَظريَّة علميَّة من أعمق النَّظريات، وبَاعث حركة وفَلسفيَّة بَعيدة الآفاق. ويَجب أنْ لاَ يَغرب عن بال أحد في الأَجيال إنّ الفِيزياء النّووية ونَظرية الطّاقة الذّرية مَبنيتان علىٰ مَبدأ آينشتين في تكَافؤ المَادّة والطّاقة»[1].

آينشتين والإيمان بالله:

لَقد أضَافت العُلوم الجَديدة أدلّة جَديدَة علىٰ وجُود الله سُبحانه، وشَهدت شَهادة عيَان وإيقان علىٰ صِدق القَول المَأثور والمَشهُور: «فَإِنَّ لله فِي كُلّ شَيء آيَة تَدل عَلىٰ أنّه وَاحد»[2].

وَفِي كُلّ شَيء لَهُ آيَةٌ   تَدلُ عَلىٰ أَنَّه وَاحِد

ويكَاد يَقرب منهُ قول مَن قَال: «القَليل مِن العِلم يؤدّي إلىٰ الزّندقَة ـ بل والشّعوذَة ـ والكَثير منهُ يؤدّي إلىٰ الإيمَان». وصَدق الله العليّ العَظيم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[3].

وإذن فلاَ غرَابة أنْ يُؤمن (آينشتين) بالله، ويقُول مَدفوعاً بوَحي من العِلم: «هذا التّناسق بَين قوَانين الطّبيعة، ومَا يخفي ورَاءه من عَقل جبّار لو اجتمعت كلّ أفكار البَشر إلىٰ جَانبه لمَا كوّنت غير شعَاع ضئيل أقرب إلىٰ القَول فيه: أنّه لاَ شيء».

---

(١) أُنظر، المُجلّد الأوّل من دَائرة المعَارف اللّبنانيّة: ٤٨٤.

(٢) نُسب هَذَا البَيت لأبي العتَاهية كمَا جَاء في ديوَانه: ٦٢ طَبعَة دَار الكُتب العلمية، وَسُبل الهُدَىٰ وَالرّشاد: ٣/ ٢٧، البدَاية وَالنّهاية: ١٣/ ٣٧٥، تَأريخ بَغدَاد: ٦/ ٢٥١، تَأريخ دمشق: ١٣/ ٤٥٣، تَفسير القُرطُبي: ٤/ ٣١٣، تَفسير أبن كَثير: ١/ ٢٦ و ٦٢ و: ٣/ ٤٥، تَفسِير الثّعالبي: ٢/ ١٤٩، شَرح نَهج البَلاَغة لابن أَبي الحَديد: ٦/ ٤١٢، المجَازَات النّبويّة للشّريف الرّضيّ: ٢٢١، شَرح أصول الكَافي: ٣/ ١٤٧.

(٣) فَاطر: ٢٨.

وعلّق توفيق الحكيم على هذه العبارة بقوله: «أنّ إحساس آينشتين نحو الله والكون هو عين إحساس مُحَمّدﷺ يوم كان يتحنث في غار حِرَاء[1]... ولـم

(١) لمّا قربت أيّام الوحي حبب إليه الخلوة فكان يختلي في غار حِرَاء ـ بكسر الحاء ـ جبل من جبال مكّة المكرّمة ـ يتعبد فيه. قيلَ: بالذكر، وقيل: بالفِكر.

وقال الشّيخ مُحي الدّين أنّ تعبده قبل نُبوّته كان بشريعة إبراهيم الخليلﷺ، وقيل: غير ذلك، وكان لا يَرىٰ رُؤيا إلاّ جاءت مثل فَلق الصُّبح فكانت تلك المنامات الصّادقة مُقدّمات للوحي قيل: مُدَّتها ستّة أشهُر؛ وثبت أنّه لمّا دنا زمن الوحي كثُر رَجم الشّياطين بالنُّجوم مع إصابتها لهُم، وأنقطع بالمرّة أستراق السّمع من حِينه، وما روىٰ من رجمهم بها لَيلة مُولده وقبلها في أزمنه الرُّسل فعلىٰ ثبُوته كان قليلاً، وتارة يُصيب، وتارة لاَ يُصيب. وَأمّا في زمنِ قُرب الوَحي إليهﷺ فكان يُصيب ولاَ بُدّ من الكثرة.

أُنظر، تأريخ ابن خلدُون: ١/١٠١، تُحفة الأحوذي بشرح جامع التّرمذي لعبد الرّحيم المُباركفوري الهندي المُتوفّىٰ سَنَة «١٣٥٣ هـ»: ٩/١٧١، شَرح مُسلم للنّووي: ٤/١٦٨.

ولمّا تمّ لهُ أربعُون سَنَة قيل: وأربعُون يوماً وعشرة أيّام، وقيل: شهران يوم الاثنين لسّبع عشرة ليلة خَلت من شهر رمضَان، وقيل: لسّبع، وقيل: لأربع وعشرين أيّام، وقيل: شهران يَوم الإثنين لسّبع عشرة ليلة خَلت من شَهر رمضَان، وقيل: لسّبع، وقيل: لأربع وعشرين ليلة.

أُنظر، مُسند أحمد: ٣/٢٤٠ ح ١٣٥٤٣، مُسند أبي يعلىٰ: ٦/٣١٩ ح ٣٦٤٣، فَتح الباري: ٧/١٦٤ ح ٣٦٣٨، تُحفة الأحوذي بشَرح جامع التّرمذي لعبد الرّحيم المُباركفوري الهندي المُتوفّىٰ سَنَة «١٣٥٣ هـ»: ١٠/٦٧، التّمهيد لابن عبد البرّ: ٣/١٣، شَرح النّووي علىٰ صَحيح مُسلم: ١٥/٩٩، حلية الأولياء: ٣/٢٦٢، صَفوة الصّفوة: ١/١٥٢، تأريخ الطّبريّ: ١/٥٢٦، مُستدرك الحَاكم: ٢/٦٢٢، تأريخ ابن كثير: ٣/١٢٢.

جَاء جبريل بالنُّبوّة وهو في غار حِرَاء فقَال لهُ: أقرأ.

فقَال: ما أنا بقاريء فضمّه حتّىٰ بلغ منه الجَهد، ثُمّ أطلقه.

فقالَ لهُ: أقرأ.

فقَال: ما أنا بقاريء فضمّه كَذلكَ ثُمّ أطلقه.

فقالَ لهُ: أقرأ.

فقَال: ما أنا بقاريء فضمّه كَذلكَ، ثُمّ أطلقه.

يَظهر نبيّ حقّ ولاَ عَالم حقّ شَعر بغير ذَلك... أنّ الدّين الحقّ لاَ يَتعارض مع العِلم الحقّ، لأنّ المَصدر واحد والغَاية وَاحدة»[١].

ولآينشتين عبَارة ثَانية أوضح من هَذِه، كتبها لبرتراندرسل، يُحذّره من الخوف المشؤوم من الغَيب الّذي أصبح مَرض التّفلسف التّجريبي المُعاصر... ويؤكّد باصرار أنّ وراء البحوث العِلميَّة والعَقلية قوّة عاقلة قائمة بذاتها، لاَ تدرك بالحس والتّجربة مُباشرة، بل بالفِكر البَحت[٢]. وأيضاً يُؤمن آينشتين ـ خلاَفاً للدّهريّين ـ بأنّ العَالَم مُتناه إستناداً إلىٰ آعتبارات رياضيَّة وإلىٰ النّظريَّة

<> فقَال لهُ: آقرأ.

فقَال: ما أنا بقاريء، فضمَّه كَذلكَ ثُم أطلقه.

فقَال له: ﴿ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. العَلق: ١ ـ ٥. وأنظر، صَحيح البُخاري: ١/ ٣، مُسند أحمد: ٦/ ٢٣٣، فَتح البـاري: ١/ ٢٢، الدِّيباج علىٰ صَحيح مُسلم: ١/ ١٨٣، المُصنَّف لعبدالرَّزاق الصَّنعاني: ٥/ ٣٣٥، الذُّرية الطَّاهرة النَّبويّة: ٣٤.

ثُمَّ نزل به من الجليل إلىٰ الأرض فضربها برجله فنبعت عَين ماء فتوضأ وأمر النَّبيّ ﷺ أن يفعل كفعله، ثُمَّ صَلّىٰ به رُكعتين، وقَال الصَّلاة هكذا، وغاب عنه. فانطلق ﷺ إلىٰ خديجة يرجف فُؤاده، وأخبرها الخبر. وَقَال: خشيت عليَّ.

فقالت لهُ: كلاَّ أُبشر فوالله لاَ يُخزيك الله أبداً إنَّك لتصل الرّحم، وتصدُق الحدِيث، وتحمل الكلّ، وتُقري الضَّيف، وتُعين علىٰ نوائب الحقّ.

أُنظر، الرَّوض الأُنف: ٢/ ١٦٨، شَرح الأزهَار: ١/ ١٢٠، تَلخِيص الحَبِير لابن حَجر: ٧/ ٣، المُحلىٰ لابن حَزم: ٥/ ١٠٥، تَفسير أبن كَثير: ٢/ ١٣٨، صَحيح مُسلم: ٥/ ١٨١، كتَاب الهوَاتف لابن أبي الدُّنيا: ١٦، صَحيح أبن حِبَّان: ١٤/ ٥١٧، شَرح النَّووي علىٰ صَحيح مُسلم: ١٢/ ١٥٥، الرَّوض الأُنف: ٢/ ١٦٨، شَرح الأزهار: ١/ ١٢٠.

(١) أنظر، تَعليق تَوفيق الحَكيم علىٰ هذِه العبَارة في كتَابه تَحت «شَمس الفِكر»: ٣٧ ومَا بَعدها.

(٢) مِن مقَال بعنوان مَاخ وآينشتين والبَحث عن الحَقيقة، نَشرته مجلّة عالم الفِكر الكويتيَّة في العَدد الثّاني من المُجلّد الثّاني.

النّسبيّة[١].

وبَعد، فإنّي أعتقد أنّه لو آجتمع أقطاب العِلم بالتّشريع والإجتماع وبالرّياضة والطّبيعَة والفَلسفَة وألّفوا كتَاباً ضَخماً في صدق الإسلام وعَظمته ـ لمَا أتوا بـمَا أتىٰ الحَديث الشّريف: « أَصل دِيني العَقل »[٢]، وهَذه الآية الكَريمَة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَٰؤُاْ﴾[٣]؛ لأَنّ الدّين القَائم علىٰ العِلم يُستدل به علىٰ غَيره، ولاَ يُستدل بغَيره عَليه.

آينشتين ضد الدّولة اليهودية:

جَاء في الجُزء الأَوّل من دَائرة المَعارف كَان آينشتين يَكـره الظّـلم، ويَـنشد السّلم في العِلم، وقَد هَاله أنْ يتوصّل النّازيون إلىٰ القُنبلة الذّرية، وكَتب من جُملة مَا كَتب: أفضل أنْ أرىٰ آتّفاقاً معقُولاً بين العُرف واليهود علىٰ أساس التّـعايش السّلمي من أنْ أرىٰ نشأة دولة يَهوديّة[٤].

النّسبية والغمُوض:

لَيس من اليَسير علىٰ أزهري أو نَجفي مِثلي أنْ يَكتب عن النّـظريّة النّسـبيّة مَهما قَرأ عنهَا وطَـالع، وذَلكَ أنّـها وثـيقة الصّـلة بـمَيادِين الرّيـاضة والطّـبيعة والفَلسفَة، وأنّها أتت بدُنيا جَديدة لاَ عَهد للعِلم والعُلماء بمِثلها، ومن هُنا شَغلت

(١) أُنظر، كتَاب النّظريّة النّسبيّة لآينشتين، وأُنظر كتَاب النّظريّة المادّية في المَعرفة لجارودي، تَرجمة إبراهيم قَريط: ٢٩١ ومَا بَعدها.

(٢) أُنظر، مُستدرك الوسَائل: ١١ / ١٧٣ ح ٨، عـوالي اللآلي: ٤ / ١٢٥ ح ١، الشّـفا بـتَعريف حـقُوق المُصطفىٰ: ١ / ١٤٦.

(٣) فَاطر: ٢٩.

(٤) أُنظر، الجُزء الأَوّل من دَائرة المَعارف اللُّبنانيّة: ٤٨٤.

عقُول الأَقطاب حِيناً من الدّهر، وهَاجمها العَديد منهُم حتَّىٰ أطلق عليها بعضهُم كَلمة المَسخ.

وقَال آينشتين لهؤلاء: أنّكم مَعذورون، فإنّ النّسبيَّة صَعبة ومُعقدة، والأَيّام هي الكَفلية بتَفسيرها وتَوضيحها، لاَ أنا ولاَ أنتُم. وصَدقت هذِه النّبوءة حَيث دلّت التّجارب أنّها حقّ وصِدق في مَيدان الكَون وأشيائه دُون اَستثناء.

وأرجع إلىٰ « النّجفي » والنّظريَّة النّسبيَّة، وهي التّي قَرأتُ عَنها وطَالعتُ الكَثير من الكُتب والمقَالات، لأَنّ عَصرنا هو عَصر « النّسبيَّة ». ونقصٌ فيمن أفنىٰ عُمره في الدّرس والتّدريس والتّنقيب والتّأليف ـ أنْ يَجهل حَقيقة عِلمية تَعم وتَشمل حيَاة الإِنسَان في كلّ مَيدان، ولاَ يلم منهَا ولو بطَرف ضَئيل. وأحسب أنّي علىٰ قَدر معلوم من هذِه الحَقيقة.

وسأدلي بهذا المَيسور، وأعرضهُ في هَذِه الصّفحات وأنَا أعرف حُدودي، وأنّ هَذِه المهمّة شَاقة وعَسيرة، والدّافع الأَوّل أنْ يكُون هذا العَرض نَافذة علىٰ نظرية النّسبيَّة، عسىٰ أنْ تُمهد الطّريق للقَارىء إِلىٰ الإِلمَام بها ولو بصُورة إِجمالية، وتُشجعه علىٰ المُضي في مُطالعة هذا المَوضوع المُهم ومُراجعته.

الطّبيعة بَين القَدِيم والحَدِيث:

كَان القُدامىٰ يفسّرون الطّبيعة في غيَابها وبمَعزل عنها، ويَصفونها بما يَتخيلُون ويَتصورون دون أنْ يَعتمدوا علىٰ حسّ وتَجربة، ومن ذَلكَ ـ عَلىٰ سَبيل المثال ـ قول اليونانيِّين: المَادّة بشتّىٰ أنواعها تتكون من أربعَة عناَصر: (النّار، والمَاء، والتّراب، والهوَاء). وعلىٰ أساس هَذِه الفِكرة الخَاطئة أرسلوا أحكَاماً مُطلقة علىٰ الطّبيعة وأشيائها، لأَنّ هَذِه الأَشيَاء الأَربعة ـ في زَعمهم ـ لاَ يطرأ عَليها زوال أو تَغيير ولاَ تَقليم أو تَطعيم.

وفي هذا القول ثلاَثة أخطَاء:

أوَّلاً: من شَرط العُنصر أنْ يكون بَسيطاً لاَ مُركباً، والمَاء مُركب من عُنصرين، وربّما غيره من الثّلاَثه.

الخَطأ الثّاني: اكتَشف العُلماء حتَّىٰ الآن أكثَر من مِئة عُنصر تتألف مِنها المادّة.

الخَطأ الثّالث: أنّ العناصر يَطرأ عليها التّغيير والتّحويل، وتَأتي الإشارة.

وبمرُور الزّمن اتّفقت كَلمة العُلماء والفَلاَسفَة علىٰ أنّ الطّريق الوحيد لمَعرفة الطّبيعة وكنُوزها هو الحسّ والتّجربة، ولَيس الحدس والأوهام. وبهذا سَيطر الإنسَان علىٰ قوىٰ الطّبيعة، واستخدمها لتحقِيق أغراضه، وتوالت فتُوحات العِلم في شتّىٰ جوانب الحيَاة حتَّىٰ استحال علىٰ الإنسَان أنْ يُحقق أي شيء بدون عِلم.

وفوق ذَلكَ أصبح العِلم شمشون العَصر الحَديث بقُنبلته التّي ألقاها فوق هورشيما وناجازاكي... ولولاَ توازن القوىٰ لكان الأقدر و«الأقذر» بطُغيانه وعدوانه وهو الحاكم بأمره، والمُسيطر علىٰ كلّ ما في الطّبيعة من أقوات وكلّ من في شَرق الأرض وغَربها من بشر ومَخلوقات. وصَدق الله العليّ العَظيم: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[1].

المادّة والنّسبيّة:

هُناك قَضيتان عامّتان ومَحتومتان بمَنطق عِلم الطّبيعة، وهُما من أخص خصَائص المادّة وخطُوطها الكُبرىٰ.

القضيَة الأُولىٰ: أنّ المادّة في حَركة دَائبة ومُستمرة لاَ تَستقر علىٰ حال واحدة

---

(١) العَلق: ٦.

أيّاً كان نَوعها .

القَضية الثّانيَة : أنّ كلّ الأحكام التّي تُطلق علىٰ شيء مادّي يَجب أنْ تكـون نسبيَّة بدون اَستثناء ، وهَذِه القَضية فرع عن الأُولىٰ تماماً كالنّتيجة بـالقِياس إلىٰ مُقدماتها ، ويتّضح ذَلكَ في رَقم (٢) وإلَيك البَيان .

المَادّة والذّرة :

١ ـ أثبتت البحُوث والتّجارب أنّ العَالَم المَادّي بشتىٰ أنوَاعه وأجزَائه مكُوّن من عنَاصر بَسيطة ، لأنّ أجزاء المُركب لاَ بُدّ أنْ تَنتهي إلىٰ البسَاطة كالأُوكسيجِين والهَدروجين ، وإلاّ فلاَ أجزاء علىٰ الإطلاق ... والجهُود الآنْ مُستمرة لإكتشاف عنَاصر أُخرىٰ ... وكلّ عُنصر من عنَاصر المـادّة يُـمكن تَـقسيمه وتَـجزئته إلىٰ الجُزء الأَخير الّذي لو أمكن تَجزئته بطريق أو بآخر لإنتقل وتَحوّل من عُـنصره وطَبيعته إلىٰ طَبيعة ثَانية . وهذا الجُزء هو المُسمّىٰ بالذّرة .

ومَعنىٰ هذا أنّ تكوّين المَادّة يَبدأ أوّل مَا يَبدأ بالذّرة ، وهي أعجب العـجب ، فَقد شَغلت الأذهان ، وأثَارت الجدال ، وملأت القُلوب رهبَة وخَوفاً علىٰ حـيَاة الإنسانيَّة جَمعاء ، لأنَّ تَحطيمها وتَحويلها إلىٰ طَاقة يُحوّل مَدينة كَبيرَة إلىٰ هبَاء ويَباب ... وللذّرة عِلم خاصّ ، وعُلماء مُبدعون ومُـلهمون ، ولكـن أكـثرهُم لاَ يَصغون إلىٰ صوت الضّمير ! . قَال كاتب مُعاصر : « سلم آينشتين مـفَاتيح جـهنّم للعُلماء ، وللسّاسة المجَانين ، وللمجَانين من هُواة الحَرب » .

عُلماء الذّرة :

وقَال عُلماء الذّرة : أنّها مكوّنة من جُزءين : أحدهُما مُوجب وهو البروتون ، وآخر سَالب وهو الأَلكترون ، يَدور حول قُطبه كمَا يدور الكَوكب حول الشّمس ،

وأنّه يقطع في دورانه مسَافة تبلغ (٣٠٠) ألف كيلومتر في الثّانية بإعتبار فلكه.

وفي كتَاب الألكترون وأثره في حيَاتنا مَا نصّه بالحَرف: « بَلغ الألكترون من الصّغر بحَيث لَم يَره إنسَان قطّ حتّىٰ بإستعمال أعظم المُكبرات قوّة، ونَستطيع أنْ نتصور أنّ البلاّيين منهُ قد لاَ تَصل إلىٰ وزن أخف رِيشة. وكلّ شيء في الكون مَهما بدا مُختلفاً عن غَيره من الأشيَاء يَستحيل أنْ يَخلو من الأكترون »[1].

وإذا كانت كلّ مادّة لاَ تخلو من الألكترون الدّائب السّريع في مَسيره، فمَعنىٰ هذَا أنّه لاَ شيء من الطّبيعة بساكن جَامد، وإنْ بَدا كَذلكَ للعَيان.

قَال روجية جارودي مَا نصّه بالحَرف الواحد: « لقَد أكتمل المَفهوم الحَديث للطبَيعة بخطُوطه الكُبرىٰ، فصَار مَنْحلاًّ كلّ ما كان صُلباً، ومُتحركاً كلّ ما كان ثَابتاً، وفَانياً كلّ ما كان أَزليا، وثبت أنّ الطّبيعة تَتحرك في سيالة ودَائرة أبديتَين »[2].

وهذِه العبارة أو النّظريّة الحَديثة هي التّفسير الصّحيح الصّريح لقَوله تَعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[3].

فَهل هذا الّذي أكتشفه العِلم الحَديث وقَالته النّظرية النّسبيّة ـ من فِطرة مُحَمَّدﷺ وفَهمه، أو من وحي بِيئته وثقَافته، أو من التّوراة والإنجيل وبُحيرىٰ الرّاهب؟... كلاّ وألف كلاّ. أنّه من خالق الجبَال والطّبيعة بمَن فيها ومَا فيها مِن الكنُوز والعنَاصر التّي كلّما بَلغ العِلم مِنها أُفقا غابت عنهُ آفاق وآفاق في كون لاَ

(١) أنظر، كتَاب الألكترون وأثَره في حيَاتنا تأليف جين بندك ترجمة أحمد أبو العبّاس: ٩.

(٢) أنظر، روجية جارودي في كتَاب النّظرة المادّية في المَعرفة تَرجمة إبراهِيم قريط: ٦٤.

(٣) النّمل: ٨٨.

حصر لهُ ولاَ حـدّ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾[١].

وكلّ من قرأتُ لهُ في هذا المَوضوع يذكر هَذِه الجُملة: «كلّ ذرّة هي مَجموعَة شَمسيَّة، أي هي كالشّمس تَدور حولها كوَاكب سيّارة. وفي مجلّة المجلّة مقَال لُمحَمّد مَحمُود غالي بعنوَان الذّرة، جَاء فيهِ أنّ الكَاتب قَرأ كتَاباً صَدر في أمريكَا تأليف جون ني، ذكر المُؤلف أنّ عليّ بن أبي طَالب أشَار إلىٰ الذّرة بقَوله: «إذا فتحت الذّرة تَجد فيها شمسَاً»[٢].

وفي ذَات يوم تكلّم الإمامعليه السلام ما يَشبه ذَلك.

«يَا أَحنفُ، كَأنّي به وقَد سَارَ بالجَيش الّذي لاَ يَكُونُ لَهُ غُبارٌ، ولاَ لَجَبٌ، وَلاَ قَعقعةُ لُجُم، وَلاَ حَمحمةُ خَيلٍ. يُثيرُونَ الأَرْض بأقدامهم كَأنّها أقدامُ النَّعام.

فَقالَ لهُ بَعضُ أَصحَابه: لَقَد أُعطيت يا أَمِير المُؤْمِنِين عِلم الغَيب! فَـضَحِك٧، وقَال للرَّجُل، وكَان كَلبيّاً:

يَا أَخَا كَلبٍ، لَيسَ هُوَ بعِلم غَيبٍ، وَإنّما هُو تَعلُّمٌ مِن ذي عِلم. وَإنّما عِلمُ الغَيب عِلمُ السَّاعَة، وَمَا عَدَّدهُ اللهُ سُبحانَه بقَوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾[٣]، فيعلَمُ اللهُ سُبحَانهُ ما في الأَرحَام مِن ذكرٍ، أَو أُنثىٰ، وَقَبيح، أَو جَميلٍ، وَسَخيّ، أَو بَخيلٍ، وَشَقيّ، أَو سَعيدٍ، وَمن يَكُـونُ فـي النّـار حَطَباً، أَو في الجِنان للنَّبيِّين مُرَافقاً. فَهذا عِلمُ الغَيب الّذي لاَ يَعلَمهُ أَحدٌ إلاّ اللهُ،

(١) الحَاقة: ٤٠.

(٢) أُنظر، مجلّة المجلّة المَصرية السّنة التّاسعة العَدد (٩٩) مقَال لمُحَمّد مَحمُود غالي.

(٣) لُقمان: ٣٤.

وَمَا سوَىٰ ذَلك فَعلمٌ عَلَّمهُ اللهُ نَبيَّهﷺ فَـعَلَّمَنيه، وَدَعَـا لي بِـأَن يَـعِيه صَـدري، وَتَضطَمَّ عَليه جَوَانِحِي »[1].

النِّسبيّة العَامّة :

٢ ـ تَنقسم النِّسبيَّة إِلىٰ نسبيَّة مَحدودة وهي التّي تَـختص بـموضُوع مُـعين كنسبيَّة الزّمان التّي نُشير إِلَيها بعد قَليل، ونسبيَّة عَامّة تَشـمل جَـميع الحـقَائق الطَّبيعيَّة بلاَ إِستثناء، لأَنّ المادّة في حَركة سَريعة ودَائبة، ومن المَعلوم أنّ الحَركة تغيير وأنّ المُتغيِّر يتَحوّل من حالٍ إِلىٰ حال، والمُتحول لاَ قياس لهُ، ولاَ يُـحكم عَليه إلاَّ مُقيّداً ومَنسوباً إِلىٰ شيء آخر.

وفَوق ذَلكَ تَتحول المادّة إِلىٰ طَاقة كإبادة (هـيروشيما) التّـي كَـانت نَـتيجة لإبادة مقدار صَغير من المادّة، حوّلها العُلماء إِلىٰ طَاقة، وهَذِه بـدورها حـوّلت المَدينة إِلىٰ أنقَاض، وأيضاً تَتحول الطّاقة نَفسها إِلىٰ طَاقة من نوع آخر، كمَا يقول العُلماء، أمّا تَحويل الطّاقة إِلىٰ مادّة فهو من المُسلمات الأُوليـة، وعـلىٰ سَـبيل المثَال: أشعة الشّمس تَمتصها الأَشجار فتنمُو وتَصبح كُتلة لها ثقلها ووزنـها... وقَد توصل العُلماء إِلىٰ تَخزين هَذِه الأَشعة في بطّاريات، تَدفع بالعَجلات، وتَسد الكَثير من الحَاجَات.

هذي هي المادّة في وَاقعها، علىٰ الضّد تمَاماً ممّا تَبدو أمام أعـيُننا، ونَـعرفه عَنها... حتَّىٰ الظّاهر مِنها للعَيان يَختلف من شخصٍ لآخـر ـ مـثلاً ـ إِذا وقـعت حصَاة من يَد رَاكب في قطَار يَسير علىٰ خطّ مُستقيم ـ فإِنّه يَرىٰ مَسير الحصاة أيضَاً عَلىٰ خطّ عامودي ومُستقيم، أمّا الواقف علىٰ الأَرض فَيرىٰ مَسيرها مُنحنياً،

(١) أُنظر، نَهج البَلاَغة: الخُطبَة (١٢٨).

ومعنىٰ هذا أنّ مَسرىٰ الحصَاة بالنّسبة إلىٰ المُسافر غَيره بالنّسبة إلىٰ الوَاقف.

وهَكذا تَختلف صُور الأشيَاء المَرئية تَبعاً لحَال الرَّائي والشّيء الَّذي يَراه، وإذن فمحَال علىٰ شخصين أنْ يتّفقا علىٰ رؤية ظَاهرة واحدة آتّفاقاً كاملاً ومن كلّ وَجه، بل مُحال أنْ تتّفق رؤيتان لشيء واحد من شخصٍ واحد مع آختلاف أحواله وظُروفه، بل ذات الكَثير من النّاس تتقلب تَبعاً للظّروف، فكم رَأينا رجالاً أتقياء أُمناء في حال، تَحولوا إلىٰ خَونة أشقيَاء في حال أرفع وأمنَع... حتّىٰ الفُولاذ يَصير بُخاراً إذاكان في بيئَة مُلائمة.

وبكلاَم أجمع وأمنع أنّ كلّ أَشيَاء الطّبيعة الصّلب مِنها والمَائع والنّامي والجَامد، إنْ هي في واقعها المُستقل عن مَعرفتنا إلاّ ذرّات أو واحدات أو شرَارت، قُل مَا شِئت،[1] لاَ وزن لها ولاَ طول ولاَ عرض ولاَ عمق، أي تَستعصي علىٰ المُلاحظة والقِياس، وهي تدور في فلكها الوَاسع بإستمرار وبلاَ قرار... ومَا دَامت هَذِه هي حال المادّة في واقعها فكَيف نحكُم عليها بأحكام مُطلقة وثَابتة إلىٰ الأَبد.

أجل، هي في ظَاهرها صُلبة وجَامدة، فإذا أردنا الحُكم عليها بموجب هذا الظّاهر وجب تقيّيد الحُكم منسُوباً إلىٰ حوَاسنا المَحدُودة، وإنْ أردنا التّعبير عَنها بمَا هي عَليه من حَركات وجَذب ودفع وتفَاعل، قيّدنا التّعبير بصفَاتها الحَالية مع مُلاحظة الزّمان والمكَان... والمُهم أنْ تَعكس أقوالنا عن المادّة الإعتراف بوجُودها الواقعي المُستقل بذاته، وأنّها تتغير وتَتحوّل، وقد يَطرأ عليها الزّوال

---

(١) آختلفت كلمات العُلماء والفَلاَسفَة في هَذِه الوحدات، فمنهُم من عبّر عنها بحوَادث سريعة مُتتابعة، وآخر بالتّموجات والإشعاعات، وثالث بالأشباح الشّبيهة بالتي يَتحدث عنها الرّوحانيّون. والمُراد واحد، وهو أنّ أي شيء مادّي من الذّرة إلىٰ المجرّة ينطوي علىٰ العَالَم الأكبر. وقَديماً قيل: كلّ شيء فيهِ جُزء من كلّ شيء.

والأُفول، وأنّها في حالاَتها وصفاتها لاَ يتعلق وجودها بإِدراكنا ومَعرفتنا.

وعندئذٍ نكون في أقوالنا مَوضوعيّين ومُلتزمين بالنّسبية الطّبيعيّة الآينشتائيّة.

الزّمان ـ المكّان:

قَد يَسأل مُتسائل: هَل هُناك شيء وَاقعي مُستقل بذَاته اسمه زمان، وآخر كذَلك اسمه مكّان، تَتحرك فيهما الأجسام، وتَحدث الأحداث تمَاماً كَاناءَين تَملأهُما ـ مثلاً ـ بمَا أردت مِن شيء، وأنّ الزّمان لاَ عَين له ولاَ أثر، وإِنّما هو مُجرد تَسمية واصطلاح لحالات تَمر كاللّيل والنّهار وفَصل الصّيف والشّتاء، وكذَلك كَلمة المكَان تُطلق علىٰ جِسم يُمكن أنْ يَحوي شيئاً آخر؟.

الجوَاب:

كَان من قَبل في مَفهوم النّاس أنّ كلاً من الزّمان والمكَان نوع من الأشيَاء الفَارغة يوضع بها أشيَاء أُخر حتّىٰ جَاءت النّظرية النّسبيّة فنَفت الزّمان من الأَساس، واعتبرته مُلتحماً بالمكَان يُؤلّفان معاً حَركة وَاحدة ونَسيجاً وَاحداً كمَا سنُوضّح، وأيضاً نَفت المكَان المُطلق الثّابت الّذي لاَ يَتغير ولاَ يتبدل، وأثبَتت المكَان المُقيد والمُحدد بحَال مُعينة، لأنّه في حَركة دَائمة دَائبة ـ مثلاً ـ إِذا أردت أنْ تُحدّد جَبلاً أو بَلداً في نُقطة مُعنية تَعذّر عَليك أنْ تُحدده بقول مُطلق دون قَيد، لأَنّ الأَرض تَدور حول الشّمس، وعَليه يكُون البَلد أو الجَبل مُحاذياً لكَوكب مُعين في هَذِه اللّحظة الخَاصّة ـ علىٰ فَرض ثبُوته ـ وفي اللّحظة الثّانيَة يكُون مُحاذياً لكَوكب آخر... وهكذا إِلىٰ غَير نهَاية، وإِذا تَعذّر التّحديد المُطلق يَتعين التّحديد النّسبي المُقيد، فتقول ـ مثلاً ـ كان البَلد المُسمىٰ بغدَاد في الدّقيقة الأُولىٰ من السّاعة كذَا مُحاذياً لعطَارد. وهذا مَعنىٰ نسبيَّة المكَان.

أمّا الزّمان فلاَ وجود لهُ إِطلاقاً كما أشرنا، غَاية ما في الأَمر أنّ الإِنسَان أرَاد أنْ

يُرتب أعماله ويَضبط السّابق مِنها واللاّحق، فَلم يجد قيَاساً لذلك أسهل وأفضل من دوران الأرض حيث تدور حول نفسها في اليوم دورة كاملة، فَجزّأ الإنسَان هذِه الدّورة إلىٰ (٢٤) جُزءاً، وآخترع السّاعة كَرمز إلىٰ دَورة الأرض بالثّواني والدّقائق والسّاعات المُشار إلَيها بإنتقال العَقرب من رَقم إلىٰ رَقم، ثُمّ أطلق علىٰ هذِه العَملية آسم الزّمان، ومعنىٰ هذا في جوهره أنّ الزّمان هو دورة الأرض أو السّاعة، بل عَقربها، ولاَ شيء وراء ذَلك.

وهذَا عَين ما أرَاد آينشتين بقوله: (الزّمان ـ المكَان).

وبَعد، فقَد عَكفتُ علىٰ قرَاءة ما كُتب عن الزّمان عِند آينشتين عشرَات الصّفحات، وبذَلتُ في ذَلكَ جُهداً مُضنياً أمداً غَير قَصير، وما آنتفعتُ بشيء ممّا قرأتُ كما آستفدت بهذه العبارة الجَامعة المَانعة علىٰ إيجازها: «مَا السّنون والفصُول والأيّام إلاّ مقايّيس لمكَان الأرض من الشّمس والنّجوم».

وحيّا الله كلّ من سَهّل العَسير علىٰ عِباد الله وعِياله، وأرَاحهم من العنَاء والبلاَء.

البُعد الرّابع:

البُعد في اللُّغة: ضدّ القُرب، والمُراد به هُنا مَا يُقاس طولاً وعَرضاً وعُمقاً، وهَذه الأبعاد من أخصّ خصائص المكَان حيث لاَ قياس ولاَ هَندسة من غير مكَان. وحَصر الأوّلون أبعاد الجِسم بطُوله وعَرضه وآرتفاعه. ولكن آينشتين أضَاف إلَيها بُعداً رَابعاً، وهو الزّمان، لأَنّ كلّ ظَاهرة طَبيعيَّة لاَ بُدّ أنْ تَجري في المكَان والزّمان معاً، ولاَ سَبيل إلىٰ فصل أحدهُما عن الآخر. كَيف وهل من المُمكن أنْ يَجري ويَحدث شيء بلاَ حيّز وآن؟.

وعَليه فإذا أردت أنْ تَقيس أي جِسم فيَلزمك أنْ تَذكر مُقدار طُوله وعَرضه وعُمقه والزّمان الّذي جَرىٰ فيه القِياس والتّحديد، لأَنّ المادّة كلّ لَحظة هي في

شأن، فقد تَنتَقل من عُنصر إلىٰ ضدّه، وقد تَنموا أو تذبل... إلىٰ غَير ذَلك من الطّوارىء، وإذن فلاَ يُمكن الحُكم علىٰ أي شيء من أشيَاء المادّة حُكماً مُطلقاً بلاَ أي قَيد، بل يجب أنْ تكُون كلّ أحكامنا نِسبية ومُقيدة بزمَان المحكوم عَليه حين الحُكم مع مُلاحظة مقُوماته وخصَائصه. وهذا هو بالذات مَا تَعنيه النّظرية النّسبيّة.

ومُجمل القول أنّ النّظريّة النّسبيّة ترىٰ كلّ أشيَاء الطّبيعة وقَائع وحوادث من الذّرات إلىٰ المجرات... ومن أقوَال آينشتين: أنّ الذّرة الصّغيرة هي صُورة عن عَالَم الأفلاك الكَبير، ومُنسجمة مع قوَانين الطّبيعة ونوَاميسها... لَيس العَالَم سوىٰ مَادّة مُتحركة ومُتغيرة.

وعَليه فكلّ الأَحكام علىٰ الطّبيعة وأشيَائها يجب أنْ تكُون نسبيَّة وآنيَّة لاَ مُطلقة ونهَائيَّة.

وهُناك جوانب كَثيرة للنسبيَّة، تَركتُ الحَديث عن بَعضها، لأَنّي غير مُؤهل لمَعرفته، وبَعضها الآخر يَتطلب فَهمه وإدراكه جُهداً مُضنياً من أمثالي... وحَسبي من النّظرية النّسبيَّة مَا عَرضتُ وأبديتُ... ومع هذا أخشىٰ أنْ يكون بَعيداً عن دقّة العِلم... ولكنّه شيء قَد يُقرّب القارىء إلىٰ هَذِه النّظريَّة العَالمية الحَاسمة... حتّىٰ آينشتين قَال بصراحة وبلاَ توَاضع: أنّ عِلمي نُقطة من بَحر. وهو سُبحانه المَسؤول أنْ يَزيدنا فَهما وعِلماً.

أنظر، أَهم المَصَادر لهَذَا الفَصل:

١ ـ تكوين العَقل الحَديث تَأليف جون هارمان تَرجمة جورج طُعمة ج ٢.

٢ ـ النّظريّة المَاديّة في المَعرفة تأليف جارودي تَرجمة إبراهيم قريط.

٣ ـ منَاهج الفَلسفَة تأليف ول ديوارنت تَرجمة إبراهيم بيومي ج ١.

٤ ـ الفَلسفَة بنَظرة عِلمية تأليف راسل تَرجمة زكي نَجيب مَحمُود.

٥ ـ نَحو فَلسفَة عِلمية تَأليف زَكي نَجيب مَحمُود.

٦ ـ الألكترون وأثرهُ في حيَاتنا تَأليف جين بندك تَرجمة أحمَد أبو العبّاس.

٧ ـ المُجلّد الأوّل من دائرَة المَعارف اللُّبنانيَّة.

حَول كونفوشيوس وفلسفَته

فِئات الفَلاَسفَة :

مَن أَلمَّ بالفَلسفَةِ وتأريخها يُلاحظ أنّ الفَلاَسفَة فِئات ثلاَث :

١ ـ فِئة تَدعم الأَوضاع القَائمة أيّاً كـان نَـوعها ، ويُـقال لهؤلاء رَجعيُون ، ومنهُم أفلاطون وأرسطو حَيث أكـداً مَـعاً بأنّ الشُّرفاء الأَحرار لاَ يُـمارسون أي عَـمل بأيـديهِم ، بـل يَنصرفون إلىٰ التّأمل العَقلي المَحض ، وكَانت النّتيجة لهَـذه النّظرة تَقسيم النّاس إلىٰ صُنّاع ، وعمّال مُـنحطين ، وسَـادة وأربَاب عَمل مُمتَازين .

ولاَ أعرف فَيلسوفاً أكثر رَجعية من هيجل ـ علىٰ الرَّغم مـن نَـظريته الدّيـالكتيكيّة التّـي جَـعلته الصّـدر الأَعـظم لاِتّجاهات الفَلسفَة المُعاصرة ـ لأَنّه أعتبر الفـوارق العِـرقية والاِجتماعيَّة أمرَاً مَحتوماً لاَ مفرّ منهُ ، وأنّ كـلّ رَغـبة فـي إزالتها مآلها الفَشل والإِخفاق لاَ محَالة لأَنّها تَهرب من وضع تأريخي ضَروري بزَعمه[1] .

---

(١) خصّصت مجلّة الفِكر المُعاصر المَصريَّة العَدد (٦٧) للحَديث عن ـ فَلسفة هيجل ، وأشترك فيه (١٦)

٢ ـ تَهدف الفِئة الثّانيَة إِلىٰ قَلب الفَاسد من الأَوضاع القَائمة، وتَتطلع إِلىٰ مَا هو أحسن وأفضل. ويُقال لهؤلاَء تَقدميُون، ومنهُم الفَيلسُوف الإِنجلِيزي جون لوك الَّذي قَال: «الأَخلاق تُوجد القَانون، ولَيس القَانون يُوجد الأَخلاق».

٣ ـ تَرفض الفِئة فَلسفة الفِئتين، وتَرىٰ أنّ مهمّة الفَيلسُوف أنْ يُدرك الوضع الحَاضر ويَفهمه لاَ أنْ يقرّه أو يُغيره، لأَنّ غَاية الفَلسفَة نظرية لاَ عِلمية تَطبيقية تمامًا كمَا يُقال: الفَنّ للفنّ، والفَهم للفهَم، ويُطلق علىٰ هؤلاء كَلمة مُحايدين، وقَال الفَيلسُوف الإِنجلِيزي رُسل: أنَا مِن هؤلاء[1].

ولاَ صلة لهَذه التّقسيم والتّنويع بالعَصر والزّمان، فَقد يَجتمع التّقدمي والرَّجعي والُمحايد في عَهد واحد، أو يَسبق التّقدمي عَصره بمئات السّنين، فقَد عاش كونفوشيوس في القَرن السّادس قَبل المِيلاد، ومع ذَلك ثَار علىٰ تقَاليد قَومه وأوضاع عَصره، وفِيما يَلي نَعرض طَرفاً من تعَاليمه.

الإنسَان أخو الإِنسَان:

قَال كونفوشيوس: «كلّ النّاس أُخوة، فلاَ تَميِّيز عُنصري ولاَ مكَانة إجتماعيَّة، فكلّ إِنسَان هو الإِنسَان، ولاَ واحد منهُم حَيوان وآخر إِله».

⇔ كَاتباً منهُم فؤاد مَرسي، وعنوان كَلمته الدّولة عند هيجل، ومِنها ما ذكرناه عنهُ.

(١) أُنظر، كتَاب رُسل يَتحدث عن مشكلاَت العَصر: ١٥٧.

وهَذا الحُكم طَبيعي وبَديهي مَا دَام الكلّ من مَعدن ومَعمل واحد، وفي طَبيعة ومَاهية واحدة، وإلىٰ هذا أشَار سُبحانه بقَوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[1]. وقوله: ﴿مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ يُشير إلىٰ أنَّ النّاس كلّهم أُخوة لأُمّ وأَب، وكَلمة ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ تُومىء إلىٰ أنَّ الإختلاف في البلاَد والأنساب والألوان لَيس جَوهرياً وفَارقاً أساسيّاً، وإنّما الهَدف منهُ التّأليف والتّكاتف علىٰ مَصلحة الجَميع. ومَعنىٰ الآية بجُملتها أنّ كلّ إنسَان هو مُواطن عَالمي شَرقيّاًكان أَم غربيّاً، وأنّ أيّة حكُومة لاَ تكون ولَن تكون حكُومة حقّاً وصِدقاً في دين الله والإنسانيّة إلاّ إذا كانت عَالمية في مقَاصدها وأهدَافها، تُحبّ لغَيرها مَا تُحب لنَفسها.

ويُؤكّد هذا المعنىٰ الحَديث الشّريف: «النّاس كُلّهم أحرَار، كُلّهم سوَاء تَمَاماً كأسنَان المُشط»[2]. «فلاَ فضَل لعَربِي علىٰ أَعجمي، ولاَ لقُرشي، ولاَ لصحَابِي إلاّ بِالتّقْوَىٰ»[3]، «النّاس كُلكُم مِن آدَمَ وآدَمَ مِن تُرَاب»[4]. ومَا دَام كلّ النّاس من

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) أُنظر، الفِردَوس بمأثور الخطَاب: ٢/ ٢٩٨، طَبعة بَيروت، و: ٤/ ٣٠٠ح ٦٨٨٢ و ٦٨٨٣، مِيزان الإعتِدَال فِي نَقد الرِّجَال: ٣/ ٣٠٧، تُحف العُقُول: ٣٦٨، لسَان المِيزان: ٢/ ٤٢ح ١٥٣و: ٣/ ٩٨، صَفوة الصّفوة: ١/ ٢٠٤، علل آبن أبي حَاتم: ٢/ ١١١ح ١٨٢٩، نُزهة النّاظر وتنبِيه الخَاطر: ٣٩ح ١٢٠، كَنز العُمّال: ٩/ ٣٨ح ٢٤٨٢٢، تَفسير الثّعالبي: ٣/ ٤٢٢، الشّفا بتعريف حقوق المُصطفىٰ: ١/ ٧٨، سُبل الهُدَىٰ والرّشاد: ٢/ ٩٥، كَشف الخفَاء: ٢/ ٤٣٣٣ح ٢٨٤٧، سُبل السّلام: ٣/ ١٢٨.

(٣) أُنظر، تَأريخ اليَعقوبي: ٢/ ٩١، نَيل الأوطار: ٥/ ١٦٤، حلية الأولياء: ٣/ ١٠٠، فَتح البَاري: ٦/ ٥٢٧، التّرغيب والتّرهيب: ٣/ ٣٧٥ح ٤٤٩٤، شُعب الإيمَان: ٤/ ٢٨٩ح ٥١٣٧، مُسنَد أحمد: ٥/ ٤١١ح ٢٣٥٣٦، المُعجَم الأوسط: ٥/ ٨٦ح ٤٧٤٩، سُنن البَيهَقيّ: ٩/ ١١٨، سُبل الهُدَىٰ والرَّشاد: ٥/ ٢٤٢، بحَار الأنوَار: ٧٣/ ٣٥٠ح ١٣، العقد الفَريد: ٢/ ١٨٥.

(٤) أُنظر، سُنن البَيهقي: ٩/ ١١٨، سُبل الهُدَىٰ والرّشاد: ٥/ ٢٤٢، شَرح نَهج البَلاَغة لابن أبِي الحَديد:

تُراب وإلىٰ تُراب يُداسون بالأقدام، فعلاَم يَعلو ويَفخر بعضهُم علىٰ بَعض؟.

ومِن هذَا البَاب قَوله تَعَالىٰ: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسَا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[(١)].

وبالمُناسبة يَعتقد اليَهود أنّ مَن قَتل يَهودياً فَقد قَتل النّاس جَميعاً، أمّا اليَهودي فلهُ أنْ يَقتل مَن يشَاء ولاَ إثم عَليه، لأنّ اليَهود هُم شَعب الله المُختار دون العَالمِين جَميعَاً.

الحكُومَة وثقَة الشّعب:

وقَال كونفوشيوس: «يَستحيل أنْ يَستمر وجُود الشّعب إلاّ بوجُود حكُومة يَثق بها». يُريد بإستمرار الشّعب في وجُوده قوّته وآزدهاره، ويُريد بثقَة الشّعب أنْ يكُون من الأُمّة وللأُمّة.

وهَذه الحِكمة من جوَامع الكَلمة، وأغلىٰ مَا فيها أنّها أُمنية كلّ وَاع ومُخلص، وهي الأَصل والبَاعث علىٰ لقَائنا مع كونفوشيوس في هذا الفَصل... لَقد تكلّم العُلماء والفَلاَسفَة عن الدّولة المثَالية وأطالوا، وبَعضهم وضع فيها كُتباً خَاصّة، فلأفلاطون جُمهوريته، وللفَارابي مَدينته الفَاضلة، وللعقّاد كتابه القَيم «فلاَسفَة الحُكم في العَصر الحَديث» وللفَيلسوف الشّاعر إقبال، والشّيخ مُحمَّد عَبده آراء سَديدة في الدّولة ورَئيسها.

والآن (سنَة ١٩٧٧ م) ونَار الحرب اللّبنانيّة الأهليّة التّي أضرمتها الصّهيونيّة وأذنَابها ـ لَم تَهدأ بالكَامل ـ يدور جدَال عَقيم وسَقيم حول الدّولة الأصلَح للُبنان: العِلمانيّة أم الدّينيّة؟.

↩ ١٧ / ٢٨١، بحَار الأنوَار: ٣١ / ٣٥.

(١) المَائدَة: ٣٢.

وعلىٰ ضَوء الأَوضاع الحَاضرة وبوحي من المَصلحة العَامّة، نقول مع الحَكيم القَديم: لاَ حول ولاَ قوّة للشّعب إلاَّ بحكُومة يثق بهَا... ومن البَديهة بمكَان أنّها لَن تنَال ثقة الشّعب إلاَّ أنْ تكُون كفؤاً وأهلاً لمُمارسة السّلطة والقِيام بأعبائها عَلىٰ أسَاس الحقّ والعَدل والمُساواة بين جَميع الموَاطنين. وبكَلمة أنْ تكون حكُومة بالمَضمون حقّاً وحَقيقة، أمّا الشّكل فلاَ يَهم، لأَنّ الحكُومة وسيلَة لاَ غَاية، وأدَاة لإِحقاق الحقّ لاَ مُجرد زعَامّة وريَاسة، وبهذا نَجد التّفسير السّليم لقول الإِمـام أمِير المُؤمنِينعليه السلام: «وَالله لأُسلمَنَّ مَا سَلمَت أُمُورُ المُسلمِين، وَلم يَكُن فيها جَورٌ اِلاَّ عَلَيَّ خَاصَّة، اِلتمَاساً لأَجرِ ذلك وفَضله، وَزُهداً فيما تَنَافستُمُوهُ من زُخرُفه، وَزِبرِجه»[١].

لاَ فَضيلة بلاَ عَدل في التَوزِيع:

وقَال كونفوشيوس: «الفَضيلة اَستخدام المَوَارد الطّبيعيَّة في تَحسين مَعيشة الشّعوب»[٢] يُشير بالموَارد الطّبيعيَّة إلىٰ الإِنتاج بشتّىٰ أنوَاعه، ويُريد بـتَحسين مَعيشة الشّعوب تَوزيع الإِنتاج بالعَدل، وتَنظيمه تَنظيماً مُـخططاً تَـبعاً لمَـصلحة الجَمِيع بحَيث لاَ يكون هُناك إنسَان واحد بلاَ مأوىٰ وغذَاء ولاَ علاَج وكسَاء.

وقَد اَستقرأتُ أقوَال الفَلاَسفَة وعُلماء الأَخلاق حـين اَلّـفت كـتَاب فَـلسفَة الأَخلاق في الإِسلام، ومَا رأيتُ أحداً أدخل في تَعريف الخَير ومفهُوم الفَـضيلة الإِنتاج والتّوزيع مع العِلم بأنّ العَوز والفَقر يُـؤديان إلىٰ أُمّـهات الرَّذائـل بـنصّ الحَديث الشّريف: «كَاد الفَقر أَنْ يَكُون كُفرَاً»[٣]. وَ«الفَقرُ المَوتُ الأَكبَرُ»[٤] كمَا

(١) أنظر، نَهج البَلاَغة: الخُطبة (٧٤).

(٢) أُنظر، مجلّة الدّراسات الأَدبية التّي تَصدر عن الجَامعة اللّبنانيّة، مجمُوعة السّنة الرّابعة: ١٩٤.

(٣) أُنظر، مُسنَد الشّهَاب لمُحمّد بن سَلاَمَة بـن جَـعفَر القُـضَاعيّ، حَـقّقهُ وَخـرّج أَحَـادِيثهُ، حَـمْدِي

قَالَ الإِمَام، وَالوصف بِالأَكبَر يُومىء إِلىٰ أَنَّ أَقسىٰ، وَأَشَدّ من المَوت المُعتاد.

الإحتكَار والفَقر:

ورُبّ مُتسائل عن السّبب المُوجب للفَقر وجرَائمه ؟.

الجوَاب:

قَال كونفوشيوس ـ وكأنّه يُجيب عن هذا السّؤال ـ مَا مَعناه أنَّ السّبب المُوجب للفَقر ولكَثير من المَساوىء هو آحتكار الُمحتكرين الطّغاة وشُغلهم الشّاعل بما لهُم من آمتيازات... ولولاَ هؤلاء ومَن يقف وراءهم من حكّام وسمَاسرة لمَا كان هُناك مُجرمون، ولترك النّاس أبوَابهم مَفتوحة ليلاً ونهَاراً[(٥)].

قَال كونفوشيوس هذا يوم لاَ شركات مُساهمة، تَحتكر يَنابيع الذّهب الأَسود الَّذي يَتدفق أبحراً في شرقي الأَرض وغَربها، وتَمتلك منَاجم الصّلب والمعَادن بشتّىٰ أنوَاعها، وتَفرض إرادتها علىٰ كلّ شَعب مُستضعف بما تشَاء وتَهوىٰ... قَال هَذا حَيث لاَ ماركس ولينين ولاَ إنجلز وستَالين. وإذن فَمن أين آستقىٰ كونفوشيوس هذا الوحي المُشرق ؟ هل نزل عَليه من السّماء ؟. كلاًّ، أنّه لَيس نبيّاً ولاَ آدعىٰ النّبوة لنَفسه، ثُمّ هل من الضّروري أنْ لاَ تصدق الفِكرة والنّبوءة إلاَّ إِذا

↩ عَبدالمَجيد السُّلَفيّ: ١/ ٣٤٢ح ٥٨١، فَيض القَدير شَرح الجَامع الصَّغير: ٤/ ٥٤٢ و: ٥/ ٤٥٨، مِيزَان الإِعتدَال للذَّهبي: ٢/ ٢٠٤ح ٢٠٤ح ١٧٤٦ و: ٧/ ٢٣١ح ٩٦٦٩، العِلَل المُتنَاهيّة في الأَحَاديث الوَاهيّة لاِبن الجَوزي: ٢/ ٨٠٥ح ١٣٤٦، تُحفَة الأَحوَذي بشَرح جَامع التّرمذي لعَبد الرَّحيم المُبَاركفوري الهِندي: ٧/ ١٧ و: ١٠/ ٤٥، كَشف الخَفَاء للعَجلُوني: ٢/ ١٤١ح ١٩١٩، الكَافي: ٢/ ٣٠٧ح ٤، الخِصَال للشّيخ الصَّدُوق: ١٢ح ٤٠، الجَامع الصَّغير: ٢/ ٢٦٦ح ٦١٩٩، كَنزُ العُمَّال للمُتَّقي الهِنديّ: ٦/ ٤٩٢ح ١٦٦٨٢.

(٤) أُنظر، نَهج البَلاَغة: الحكمَة (١٦٢).

(٥) أُنظر، مجلّة الدّراسات الأدبيّة التّي تَصدر عن الجَامعة اللُّبنانيّة، مجمُوعة السّنة الرَّابعة: ١٩٤.

كانت من السّماء ؟ وإذن بأي شيء نُثبت أنّ السّماء تَتكلّم وتُوحي بالحقّ والصّدق ؟ ولو عَقل العاقل لإستوىٰ الإنسَان والحَيوان.

أنّ هذا الوحي من نتَاج العَقل الخَالص والقَلب السّليم، وثَمرة يَانعة لفطرة الله التّي فَطر النّاس عليها، جَميع النّاس، وكلّ عَاقل يَتجرد عن التّقاليد والأَهواء يُدرك الكَثير من الحقائق تِلقائياً بلاَ تَعلّم ومُعلّم، بل يَصبح هو مُعلّماً ومَصدراً للحِكمة البَالغة، يُزجِيها إلىٰ النّاس في كلّمات أخّاذة نفّاذة تماماً كمَا فَعل كونفوشيوس.

قَاعدة العَمل الصّالح :

وقَال لهُ أحد تلاَميذه : هَل من كَلمة وَاحدة تكون قَاعدة لعَمل الإنسَان طيلَة حيَاته ؟.

قَال كونفوشيوس : أجل، لاَ تَصنع بالآخرين ما لاَ تُريد أنْ يَصنعوا بك... لاَ تَتصور نفسك كَبيراً كيلاَ يَصبح النّاس عِندك صغَاراً... لاَ فَضيلة أسمىٰ من أنْ تحبّ جَميع النّاس علىٰ السّواء... ولاَ هدف لحكُومة الحقّ إلاّ أنْ تَعمل الخَير للجَميع... أنّ الإنسَان هو أهم مَا يجب أنْ يَهتم بهِ الإنسَان.

وهَذي هي بالذَات رسَالة السّماء، وعَليها يجب أنْ تقوم وتَرتكز كلّ الأَديَان والعُلوم والشّرائع، وأي شيء يَبقىٰ للدّين والعِلم والأَخلاق والحضَارة لو أَهدرنا قِيمة الإنسَان وكرَامته ؟.

وبَعد، فإنّ كونفوشيوس لم يَتخرج من جَامعة أو يَحضر حَلقات الدّروس أو يَحمل أيّة شهَادة، وأيضاً لم يَخترع شَيئاً، أو يَعتل عَرشاً، أو يُنظم شعراً، بل كَان موَاطناً عاديّاً، ومع هذا جَعلوه إلها، وأقاموا لهُ مَعبداً، ونَصبوا لهُ تمثَالاً من دون العَديد من العُلماء والشّعراء والملوك والمُخترعين... ولمَاذا ؟... لاَ لشيء إلاّ

لأنَّه إنسَان بالمَعنىٰ الصّحيح، يَهون عَليه المَوت، ولاَ يَهون عَليه أنْ يتنَازل عن إنسانيته.

وهَكذا النّاس حتَّىٰ شيَاطين الإنس يَعبدون الإنسانيَّة والإستقامة والنّزاهة والأَمانة ولو من وجهة نَظرية. ويَلعنون اللّؤم والنّفاق والشّعوذة والغُش والخيَانة. وفي مجلّة العَربي الكُويتيَّة أنّ عَدد الكونفوشيوسيين في الصّين (٤٠٠) مليُون[١].

(١) أُنظر، مجلّة العَربي الكُويتيَّة عَدد أغسطس آب سنَة (١٩٧٣م).

الإتحاد الدّولي للجَميعَات الفَلسفيَّة

المُؤتمر الخَامس عَشَر للفَلسفَة :

لَيس العَالَم مُجرد حَافظ للأُصُول والقَواعد ، ولاَ المُثقف مُجرد سَرد للـوقَائع والحوَادث ، ولاَ الفَيلسُوف مُجرد مُحلل ومُعلل ، فعَلىٰ كـلّ وَاحـد مـن هَـؤلاء واجبَات غَير الحِفظ والسّرد ، ومن أهمّها أنْ يُحاول تغيير الوَاقع إلىٰ الأَفضل ولَو بإيقاظ الوعـي والقَـضَاء عـلىٰ الخـرَافـة ، وأنْ يُشـارك المُسـتضعفِين آلامـهم وأحلاَمهم ، ولاَ يَدع فُرصة تَمر إلاّ آغتنمها للعَمل من أجلِهم... فكَم قرأتُ عن هَيئات تَألّفت ، ومُؤتمرات عُقدت لهذا الهَدف النّبيل في غَير بلاَدنا .

ومن ذَلك كَلمة مُطولة بعنوان « العِلم ـ التّكـنولوجيَا ـ الإنسَـان »[1] تَـحدّث كَاتبها الدّكتور مُراد وهبة عن الإتّـحاد الدّولي للـجَمعيات الفَـلسفيَّة ومُـؤتمره الخَامس عَشر المُنعقد في « فارنا ـ بلغاريا » سنَة ١٩٧٢ م ، وبَلغ عَدد المُشتركين فيه (١٨٧٧) فيلسوفاً من شتّىٰ بلاَد العَالَم ، وتَدارسوا مَوضُوعات كَثيرة ومهمّة جدّاً ، لأَنّها من القضَايا الرَّئيسيَّة وصَميم الحيَاة الإجتماعيَّة ، وكلّ مَوضوع مِـنهَا

---

(١) المُراد بالتّكنولوجيا تَطبيق العِلم علىٰ العَمل . وهذا المَـعنىٰ آسـتوحينَاه مـن سـيَاق الكـلاَم الَّـذي آستعملت فيه هَذِه الكَلمة ، وقَد يكون مُخالفاً لمَا جَاء في بَعض المَعاجم الفَلسفيَّة .

يَتّسع لكتَاب مُستقل[١].

وعَقدتُ هذا الفَصل لأَعرض الأَهم والأَكثر نَفعاً من تِلك القضَايا التّي طَرحها فلاَسفَة المُؤتمر وما قَالوه حولها. ثُمّ أُدلي بما أرىٰ مُؤيداً أو مُفنداً.

بَين العِلم والفَلسفَة:

وأبتدأ المُؤتمر بالبَحث حول قَضية الصّلة بين العِلم والفَلسفَة، فقَال بَعض الفَلاَسفَة مَا معنَاه أنّ الفَلسفَة إذا لم تَرجع إلىٰ العِلم بمعنَاه الحَديث الضّيق، فمَا هي بشيء، وكلّنا يَعلم أنّ كَلمة العِلم تُطلق علىٰ ما يتّصل بالإنتاج كمّاً أو كَيفاً، فإنْ أدّت الفَلسفَة هَذه المُهمّة فمَرحباً بها حَيث تكُون، وهذي هي الحَال، وإنْ لم تؤدها فهَي مَرفُوضة، لأَنّها وهميَة بَحت.

فأعترض عليه آخر بمَا مَعناه أنّ هذا الرَّأي يَحصر المَعرفة الإنسانيّة بالعلُوم الطّبيعيّة، ويَرفض كلّ مَا يَدور في عَقل الإنسَان، ولاَ يَفسح المجَال لِعلم الأَخلاَق وعِلم النّفس ولاَ للفنّ والآدَاب والفَلسفَة!. وهذَا هو أفيُون الشّعوب بالذَات[٢].

ونَحنُ مع هذا الفَيلسُوف المُعترض، وقَد سَبق لنا الحَديث عن ذَلك، وأقمنا الدّليل عَليه في فَصل «المَنهج العِلمي في الإسلام» من هذَا الكتَاب، وفي فَلسفَة الأَخلاق وغَيره ممّا كَتبنا وألّفنا.

ونَعطف علىٰ ما سَبق: أنّ الفَلسفَة تَرفض كلّ تَقليد وإعتقاد تَعسفي، وتُصغي لكلّ نَاقد، وتَستَرشد بكلّ خِبرَة، وتَدعم كلّ شيء وعِلم نَافع، وتُحدد مَنهجه الخَاصّ به، ومَعنىٰ أنّ الفَلسفَة مُتّصلة بالحَياة اتّصالاً مُباشراً، بل هي من صَميمها تمَاماً كالمَعرفة العِلميّة، وإنكار ذَلكَ تَعسف ومُكابرَة.

---

(١) أنظر، مجلّة الطّليعة المَصريّة في عَدد ديسمبر كانُون الأوّل سنَة ١٩٧٣م.

(٢) أنظر، كِتَاب أفيُون الشُعُوب للعقّاد، وسُبل الهُدَىٰ والرَّشاد: ١ / ٣١.

بَين الأخلاَق والعِلم :

ثُمّ تَحدث فلاَسفَة المُؤتمر عن الصّلة بين العِلم والأَخلاق، وآحتدم النّقاش، وتَعددت الاِجتهادَات، فبعضهم آستبعد وجُود العلاَقة بين العِلم والقِيم الرَّوحية، وقَال : أنّ مَيدان العِلم هو الكَشف عن قوىٰ الطّبيعة والتّغلب عَـليها ليَستخدمها الإنسَان في مَصلحته وسدّ حَاجاته، ولاَ شأن للعِلم بالقِيم الأَخلاقيَّة والأَمـاني البَشريَّة، أمّا الأَخلاق فمَيدانها الحيَاة الإجتماعيَّة والقِيم الرَّوحيَّة وتَحديد الخَير والفَضيلة والشّر والرَّذيلة، ولاَ شأن لهَا إطلاَقاً بالكشُوف والُمخترعات.

ونَحنُ مع الَّذي ردّ علىٰ هذا الفَيلسُوف وقَال مَا مَعناه أنّ الإنسَان هو الهَـدف الأَسمىٰ والقِيمة العُظمىٰ، وكلّ شيء يَنبغي أنْ يكُون لخَـيره وخِـدمته بـخاصّة العِلم، فَإنّه من صُنع الإنسَان وعِمله، ومَعنىٰ هذا أنّ العِلم والأَخلاق يَلتقيان علىٰ صَعيد وَاحد، وهو خِدمة الإنسَان وتَحقيق أمَانية ورغبَاته. وبكلاَم آخر أنّ العِلم يَدور في فلك المادّة، وتدور الأَخلاق في فَـلك الرّوح، والإنسَـان مـن جسـمٍ ورُوح، فالعِلم لمُتطلبات الأَوّل، والأَخلاق لمُتطلبات الثّاني.

وقَال ثَالث مَا مَضمُونه أنّ العِلم قد أتىٰ بأسلحة جَهنمية تُهدد بإزالة العَالَم من الأَساس، وعلىٰ الفَلاَسفَة أنْ يقُوموا بدورهم في هَذِه السّـبيل، ويُـطالبوا الدّول الكُبرىٰ بالكفّ عن إبتكار الأَسلحة الأَشد فتكاً والأَكثر تَدميراً... وهذا هو الحدّ الأَدنىٰ من الأَخلاق الَّذي يَجب أنْ يتّفق عَليه جَميع الأَطرَاف.

وهذَا الفَيلسُوف الَّذي نصحَ الجَمعيات الفَلسفيَّة أنْ تقُوم بدورها ضدّ حـزب الشّيطان، هو أَمريكي، وآسمه «ارشي باهم» ولاَ أدري لأَي حزب يَـنتمي، أو بأي دِين يُدين، ولكنّي أعِلم عِلم اليَقين أنّه إنسَان بكلّ مَا في هَذه الكَـلمة مـن مَعنىٰ الطّيبة والصّفاء، فَقد رأىٰ الإنسَان يَسعىٰ لتَدمير الإنسانيَّة جَمعَاء، فآغتنم

فُرصة وجُودة في مُؤتمر لاَ يمت إلىٰ السّياسة والحَرب بصلة ، ودعَا دعوة الحقّ بدافع من ضَميره ووجدَانه ، ونَاشد الجَمعيات الفَلسفيَّة أنْ تَحتج وتَرفع صـوتها ضدّ الأَسلحة التّي تَتحدىٰ كلّ حيّ علىٰ وجه الأَرض .

وكَم من مُؤتمر عُقد بأسم الدّيانة الإسلاميَّة ، والدّيانة المَسيحيَّة . وفي حُزيران من هَذِه السّنة سنَة (١٩٧٧ م) عُقد مُؤتمر في « قُرطبة ـ أسبانيا » ضمَّ رجالاً من الدّيانَتين ، وتَكلموا من جُملة ما تَكلموا حول العدَاوات بَين المُسلمين والمَسيحيِّين وعن أفتراءات بَعض المُبشرين علىٰ نبيّ الإسلام ﷺ . ودَعوا إلىٰ المَحبّة .

وهذا جَيد جدّاً ، ولكن بشَرط واحد وهو أنْ لاَ يكُون تَمهيداً وتَخطيطاً مُدبراً للإعتراف بدسَائس الصّهيونيَّة وعـدوان إسـرَائِـيل ... ومـن قَـبل ، وفـي سـنَة (١٩٦٥ م) بالضّبط برّأ بَابا رُوما اليَهود من تَبعة صَلب السّيد المَسيح عليه السلام .

وبَيت القَصيد في حَديثنا هذا أنْ نتسَاءل : لمَـاذا تـجَاهلت كـلّ المُـؤتمرات الدّينيَّة حتَّىٰ الُمختلطة ـ أسلحة الدّمار والإبادة بالجُملة ؟ وما هُو السّر للسكُوت علىٰ هذا المُنكر ؟ ألَم يقُل النّبي ﷺ بوحي من السّماء : « السّـاكت عـن الحـقّ شَيطان أخرَس ؟ »[1] . وَ « أَفضَل الجِهَاد كَلمَة عَدلٍ عندَ إمام جَـائر »[2] . وَأَيـضاً رَوىٰ الإمَام الحُسَين عليه السلام عَن جَدّه : « مَن رَأىٰ سُلطَاناً جَائراً ، مُستَحلاً لحَرَام الله ، نَاكثاً لعَهد الله ، مُخَالفاً لسُنَّة رَسُول الله ، يَعمل في عبَاد الله بِالإِثم وَالعُدوَان ، فَـلَم يُغَيّر مَا عَليه بفعل وَلاَ قَول كَان حَقّاً عَلىٰ الله أَنْ يُدخله مُدخله »[3] .

---

(١) أُنظر ، فِقه السُنَّة للشَّيخ سيّد سَابق : ٦١١.

(٢) أُنظر ، سُنن التِّرمذي : ٣/٣١٨ ح ٢٢٦٥ ، المُـصَنَّف لعَـبدالرَّزاق : ١١/٣٤٧ ح ٢٠٧٢٠ ، المُـعجَم الكَبِير : ١٧/٤٩ ، كَنز العُمَّال : ٣/٦٤ ح ٥٥١٢ ، فَيض القَدير : ٢/٤٠ ح ١٢٤٦.

(٣) أُنظر ، أَعيَان الشِّيعَة للسَّيِّد مُحسن الأَمين : ٤/٢٢٨ طَبعَة (١٣٦٧ هـ) ، وَتَأريخ الطَّبري : ٣/٣٠٧ ، و : ٤/٣٠٤ ـ ٣٠٥ ، وَالكَامل في التَّأريخ : ٣/٢٨٠.

وأخيراً، فأي مُؤتمر أو إنسَان يَتجاهل هَذِه الأَسلحة الجَهنميَّة ومَن هي فِي يَده ـ فَإِنَّه يَفقد أهمّيته وإِنسانيّته فضلاً عن دِينه وضَميره.

الإنسَان في الولاَيات المُتحدة:

وقَال الدّكتور وهبه في كَلمته التّي أشرنا إِلَيها في أوّل هذا الفَصل: «وثمّة بَحث طَريف تقدّم به هيوارد بارسنز الأَميركي عنوَانه (أزمة تَدمير الإِنسَان في الولاَيات الأَمريكيَّة)، يُقرّر فيه أنّ أزمَة الُمجتمع الأَمريكي تكمُن في تَدمير الإِنسَان، لأَنّ إِقتصاده محكُوم بفئَة قَليلة، ومُوجهة إِلىٰ غَايات غَير إِنسانيَّة، ومن شوَاهد هَذِه الأَزمة إِنتشار الفَقر والمجَاعة بنسبَة (٤٠ ٪و ٥٠) مليُونا من الأَطفال يُعانون من اَضطرابات عَقلية، و (١٨) مليُوناً يُدمنون شُرب الخَمر، و (٨) ملاَيِّين يَتعاطون الُمخدرات، وَ (٢٠) مليُوناً من الأُميِّين غَير المُؤهلين للوظائف، بالإِضافة إِلىٰ تزَايد الجرَائم وفسَاد البُوليس ورجال القَانون... وهَذِه كلّها شوَاهد علىٰ إِنهيار مُنظم للمُجتمع الأَمريكي».

ولاَ عَجب فإِلىٰ هذا مآل كلّ مُجتمع لاَ همّ واَهتمام ولاَ قَصد وهدف لحُكّامه ونظَامه ولزُعمائه وتجَارته وعُلمائه وكلّ مَن لهُ حَول وقوّة إلاَّ اَمتصاص ثَروات الشّعوب ودمَائها، وإِلىٰ هَذِه الغَاية وحدها يُوجّهون كلّ ما في الوطن الأَمريكي من طَاقات مَادّية وأدبيَّة.

وفَوق هذا أنّ الثّروات المُغتصبة من شَرق الأَرض وغَربها، لاَ يُنفق مِنهَا أي شيْء في تأمِيم العلاَج الطّبي أو مُجانية التّعليم ـ مثلاً ـ وإِنّما تَذهب تواً إِلىٰ جيُوب الُمحتركين الطّغاة وسمَاسرتهم، وتَتكدس في بنوكهم ومصارفهم، أمّا بنَاء السّفن الفضَائية والأَقمار الصّناعية وإِنتاج الأَسلحة الجَهنميَّة، فكلّ ذَلكَ ومَا إِلَيه فهو من أموال دَافعي الضّرائب وكَدح الموَاطنين والمُستهلكين.

أبَعد هذا يَجهل جَاهل أو يَسأل سَائل: لمَاذا تقف الولاَيات المُتحدة بكلّ ما لَديها من قوّة إلىٰ جَانب الصّهيونيّة وإسرائيل، وتُهلل وتُكبر لكلّ خَائن وعَميل؟ وهَل من عَاقل يَسأل: لمَاذا يُسمع الإنسَان بأُذنيه، ويَنظر بعَينيه، ويَمشي علىٰ رِجليه؟. إنّ أعجب العجب أنْ لاَ تُبارك الولاَيات المُتحدة، وهذا وضعها ونظَامها ودِيدنها ودَيدنتها، كلّ عدوان وطُغيان، بل وتَحث عَليه، بل وتَشترك فيه بكلّها وثَقلها[1]. ولاَ أجد مَظهراً لهذة الآية الكَريمَة: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[2] أطغىٰ وأجلَىٰ من الولاَيات المُتحدة، ومن شكّ في هذا فَليقرأ تأريخها في حَرب الشّرق الأَقصىٰ وفي اليَابان وفيتنَام.

ومَعذرة أيّها القَارىء، فإنّي أكتبُ هَذِه الكَلمات في صَيف سنَة (١٩٧٧م) وأهل بَلدي ودِيني ومَذهبي يُشردون من جنُوب لُبنان نسَاءً وأطفالاً بمئَات الأُلوف هرباً من النّار وبَعد هلاَك الأَموال وخَراب الدّيار، والسّبب الأَوّل الصّهيونيّة والولاَيات المُتحدة. وقَديما قِيل[3]:

أصَابك النّفر بمَا ابتدعوا ... ومَا المُسبب لَو لَم يَنجح السّبب

نَحنُ والرّأسماليّة والشّيوعيّة:

وعَلىٰ أيّة حَال، فنَحنُ ضدّ الرّأسماليّة الطّاغيَة البشّعة، وضدّ كلّ نظَام يقُوم

---

(١) توَالت غَارات إسرَائيل العدوّانية علىٰ جنُوب لُبنان، فشكت الحكُومة اللّبنانيّة إلىٰ مجلس الأَمن سنَة (١٩٧٢م)، فقدّمت بَعض الدّول قرَاراً لاَ عقُوبة فيه لإسرائيل ولاَ إدانة لها، وإنّما هو مُجرد رجاء وطَلب أنْ تُوقف غاراتها الإنتقامية، فاستعملت الولاَيات المُتحدة الفيتو ضدّ هذا القرَار.

وقَالت لإسرائيل بلسَان الحَال: زيدي من العدوّان أضعَافاً مُضاعفَة.

(٢) العَلق: ٧.

(٣) يُنسب هذا الشّعر إلىٰ الحاج هاشم حردان الكَعبي الدّورقي توفّي سنَة (١٢٢١م)، كمَا جَاء في أعيَان الشّيعة السّيّد مُحسن الأمين: ١٠/ ٢٤٧.

علىٰ تنَازع البقاء وبقَاء الأَقدر الأَقذر أو فيهِ شَائبة من ظُلم وإِستغلال... وأيضاً نَرفض الشّيوعيَّة لاَ لأَنّها مُلحدة وكَفىٰ، بل لأَنّها تُوغل في المادّية، وتُنكر الرّوح نُكراناً تامّاً، وتَنظر إلىٰ الإنسَان علىٰ أنّه مُجرد آلة يَجب أنْ يَعمل ليَعيش، وتَجعل الإِنتاج الإقتصادي هو الأَصل للأَديان والأَخلاق، وتَمنح السّلطة لفِـئة خَـاصّة وهم العمّال، وتَسلطهم علىٰ حيَاة النّاس بشتّىٰ جوَانبها، ولاَ تَسمح أي مواطن أنْ يَقول لها «لاَ» وإنْ كان مُحقّاً.

أقول هذا عَن عِلم وبَعد أنْ قرأتُ في هذا البَاب عَشرات الكُتب والمقالاَت، وإِختار للقَارىء من مُطالعاتي في هذا المَوضوع هَذِه الجُملة القَصيرة للدّكتور طَه حُسين، جَاءت في كتَابه الفِتنة الكُبرىٰ (عُثمان) وهَذا نصّها:

«قَد ضَمنت الرَّأسماليَّة للنّاس شَيئاً من الحُرِّية، وقليلاً مـن المُسـاواة أمَـام القَانون، ولكنّها لَم تَضمن لهُم من العَدل الإِجتماعي شَيئاً، والشّيوعيَّة قد ضَمنت للنّاس قليلاً أو كَثيراً من العَدل الإِجتماعي، فألغت ما بَينهم من فرُوق، وأتَاحت للعَاملِين منهُم أنْ يَعملوا ويَنتفعوا بثَمرة عَملهم، وأتَـاحت للـعَاجزين مـنهُم أنْ يَعيشوا غير معرضين لذلّة أو ضَعة أو هـوان، ولكـنّها ضـحّت فـي سَـبيل ذَلك بحرّيتهم كلّها فلَم تَدع لهُم مِنها شَيئاً، والفَاشية قد ضحّت بالحرّية والعَدل جَميعاً».

أبداً لاَ يَجد الإِنسَان ولَن يَجد ضماناً لحقُوقه الطّبيعيَّة إلاَّ الإِسلام الَّذي حدّد رسَالته بهَذه الكَلمات الثّلاَث: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[1]. و ﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ تَـعم المَـال الحلاَل الَّذي لاَ يكُون علىٰ حسَاب الآخرين قَال سُبحانه: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا

(١) الأَعرَاف: ١٥٧.

مَا سَعَىٰ﴾[١]. وَ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ تَشمل المَال الحرَام ومنهُ الإحتكار والإستغلال.

أمّا وضع الأثقال والأغلال فإنّه إشارة إلىٰ حرّية الإنسَان وقداستها قَال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[٢]. والكَرامة تُرادف الحُرِّية حَيث لاَ كَرَامة ولاَ إنسانيَّة بلاَ حرّية.

وأيضاً قَال: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾[٣]. والمَعنىٰ لاَ سُلطان عَليه ولاَ قَائد لهُ إلاّ نَفسه وعَقله وضَميره.

وبَعد، لقَد كرّم الإسلام الطّبيعة البَشرية علىٰ العمُوم والشّمول بلاَ تميِّز في عُنصر ولَون وجِنس، ووضع الجَميع في مُستوىٰ واحد في الحقُوق والواجبَات، واَعتبر الإنسَان من حَيث هو إنسَان القِيمة العُليا، وجَعل كلّ شيء لخِدمته حَيث قَال عزّ من قَائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[٤] ولَكن الولاَيات المُتحدة جَاءت بجَديد هو أسمىٰ وأعلىٰ وأجدىٰ للإنسانيَّة وأبقىٰ، جَاءت بقُنبلة «النّيوتريون» التّي تَقتل كلّ النّاس الّذين تَقع عَليهم، ولاَ تَمس بأي سُوء وأذىٰ المُؤسّسات والمبَاني والمُمتلكات. وهَكذا ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٥] ليُدمّر الإنسانيَّة في غَير الولاَيات، ويُبقي لهَا كلّ أملاَكها وأموَالها!!.

---

(١) النّجم: ٣٩.

(٢) الإسرَاء: ٧٠.

(٣) القيَامة: ١٤.

(٤) البَقرة: ٢٩.

(٥) العَلق: ٤ ـ ٥.

حَوافز التّقدُّم

مَع الفَيلسُوف زَكي نَجيب مَحمُود :

أنصرف الدّكتور زَكي مَحمُود إلىٰ الفَلسفَة تَدريسَاً وتَرجمةً وتَأليفاً ومقَالاَت، كمَا يَبدو من آثاره، وقرَأتهُ في أكثرهَا أو الكَثير مِنها، وكَان من قَبل يُدين بتيَّار من فَلسفَة ضَالة خَاطئة، وبَقي عَليها سنوَات طوالاً، وأنتقدته في بَعض ما ألّفت، ثُمّ أهتدىٰ إلىٰ الحقّ، فأعترف بخَطئه صرَاحة في مُقدِّمة تَجديد الفِكـر العَـربي وفي مَقال بعنوَان «عَصرنا من فَلسفته» المَنشور في مجلّة العَربي العَدد (٢٢٢)، ودأبَه في مقَالاَته، بخاصّة الأُسبوعيَّة مِنها التّي تَنشرها الأَهرام في كلّ خَميس، إنْ يَسوق أمثلة من تَجربة الحيَاة كَان قَد قرأها في الكُتب أو الصّحف العَـربيّة أو الأَجنبيَّة، ويَنتهي من هَذِه الأَمثلة إلىٰ أوضَاع العَرب والمُسلمين، ويُوضّح أمَام أعينُهم رؤية الأَخطاء علىٰ ضَوء تِلك التّجارب، لتكُون دَليل عَمل وإنطلاَق إلىٰ مَا هو أفضل وأكمَل.

ومِن ذَلكَ مقَال بعنوان حوَافز التّقدم، نَشرته جَريدة الأَهرام وإنّه لمُفيد جداً في تَوجيهاته، ويُغني عن قرَاءة أكثر من كتَاب في مَوضوعه وفِـيما يـلي أعـرض خُلاَصة هذا المقال بَعد تَجزئته، وتَنسيقه في فقرات، وأضع الخلاَصة أو النّـص بَين قَوسَين (...) ومَا عدَاه فهو من كلاَمي.

عامل التّقدُّم:

قَال الدّكتور زَكي: قرأتُ بحثاً يَستوقف النّظر بطرَافة مَنهجه ونتَائجه لأُستاذ بجَامعة «هارفارد» وقَد بدَأه بهذا السّؤال: (مَا هو العَامل الرَّئيسي لتَقدّم الفَرد أو الأُمّة علىٰ طَريق الحضَارة؟)[1].

الجوَاب:

(ذَهب النّاس في الإجابة عن ذَلك إلىٰ مذَاهب شتّىٰ، فقَالت فِئة منهُم: أنّ العَامل هو البِيئة!. ولَيس هذا بجوَاب، فكَثيراً ما تكُون عوامل البِيئة واحدة بَين فَردين أو شَعبين ومع ذَلكَ يَتقدّم أحدهُما ويَتخلف الآخر).

أمّا التّفاوت بَين فَردين من بِيئة أو مَدينة أو قَرية واحدة أو في بَيت واحد ـ فهو أظهر من أنْ يُذكر، وبالأَولىٰ أنْ يَحدث ذَلكَ بَين قَوميتَين أو أُمّتين يَعيشان في بِيئة وَاحدة، ولاَ أدري هل القَوميات في الهند الآنْ والصّين القَيصريَّة من قَبل وأمريكَا وأُوربا كلّها علىٰ مُستوىٰ واحد تقدّماً وحضَارة أو تَقهقراً وجهَالة؟.

(وقَالت فِئة ثَانية: أنّ العامل الرَّئيسي للتقدُّم أو التّخلف هو التّفاوت في عنَاصر الطّبيعة البَشريَّة، فمِنها العَاجز عن التّقدُّم، ومِنها القَادر عَليه!. وهذَا خطَأ واشتباه حَيث نَجد في جِنس البشريَّة الواحد جمَاعة تقدَّمت وأُخرىٰ تَخلفت، بل رَأينا الجَماعَة الوَاحدة تتقدَّم حِيناً، وتَتأخر في حِين).

والشّاهد علىٰ ذَلك تَقدّم العَرب علىٰ الغَرب أيّام زمَان، وتَخلفهم عنهُ في هذا الزّمان... ومن جُملة ما قرأتُ أنّ إحدىٰ الجَامعَات في إنجلترا كَانت تَشترط أنْ يكُون دَارس الطّب أو الهَندسة مُلمّاً باللُّغة العَربية تمَاماً كمَا تَشترط جامعَات اليَوم أنْ يكُون مُلمّاً بلغة أجنبيّة. ومَعنىٰ هذا أنّ التّقدم أو التّخلف لاَ يَرتبط بعُنصر

---

(١) أنظر، مقَال بعنوَان حوَافز التّقدم، نَشرته جَريدة الأَهرام بتأرِيخ (١٩/٧/١٩٧٤م).

وقَومية ولاَ بدِين أو طَائفيّة.

لاَ تَقدُّم بلاَ عَمل:

وبَعد أنْ رَدّ الأُستاذ البَاحث الأَقوال البَاطلة عندهُ وعِندنا أيضاً، أبدىٰ رأيه ـ علىٰ رواية زَكي مَحمُود ـ بقَوله:

«الشّرط الأَوّل والأَساسي للتَّقدُّم والنّجاح هو العَمل الجَاد والهـمّة العَـازمة الّتي لاَ تترك حَاملها ليَستريح علىٰ جَنبه إلاَّ أنْ يرىٰ حيَاته مَليئة بالعَمل المُـنتج الَّذي لاَ يَنفك يَزداد إِنتاجاً عاماً بعد عَام، كأنّما في رأسه نَحلة تَطن وتَلسع حتَّىٰ تَحول بَينه وبَين الإِسترخاء البَليد، ومَن لَم تَصبه هَذِه الحَالة المُؤرقة الهلُوع علىٰ النّماء المُستمر والإِرتقاء المُتّصل، قَد يَنظر إِلىٰ غَيره ممّن أُصيب بها، فيظن بـهِ الهَوس والجنُون، وقد يتَسَاءل في عجب: فيمَ هَذِه العَجلة المكروبَة، وعِند هذا المَجنون من الرِّزق مَا يَكفيه؟... هَذِه الرَّغبة الحَارقة عند الإِنسَان في أنْ يَعمل، وأنْ يَظل عَمله يزدَاد فتزدَاد ثمَاره كَثرة في الكَم وتَجويداً في الكَيف: هي شَرط التّقدُّم الحضَاري عند الفَرد والجَماعَة».

ولاَ رَيب في حَرف واحد من هذا الكلاَم، ولَكن صَاحبه الأُستاذ البَاحث تـجَاهل أهم الأَسباب الرَّئيسيَّة للتّخلف كالإِستعمار والصّهيونيّة والشّركات الإِحتكاريَّة العملاَقة!. ومن الَّذي يَجهل أنّ مُخططات هَذِه القوىٰ الشّريرة تَهدف إِلىٰ القضَاء علىٰ كلّ نَهضة وعلىٰ كلّ سَبب يَمت إِلىٰ التّقدم والتّطلع إِلىٰ الأَمَام، بصلَة؟.

ونعُود إِلىٰ قول الأُستاذ البَاحث: أنّ التّقدُّم لاَ يَنفك عن العَمل الجَـاد والهـمّة العَازمة، لنَعطف عَليه: أنّ كلّ واحد منّا يود أنْ يكُون شيئاً مَذكوراً حـيّاً ومَـيتاً، ولكن لَن ينَال شَيئاً من ذَلكَ إلاَّ بشق الأَنفس وتَعبيد الطّريق إِلَيه بـتَربية النّـفس طِيلة العُمر، فالمَرحوم عبّاس مَحمُود العقّاد لم يَحصل من التّعليم المَدرسي علىٰ

أكثر من المُستوىٰ الإبتدائي، ومع ذَلك تَحمل آثَاره طَابع الخـلُود، والسّـر أنّـه اَعتمدَ علىٰ تَربيته الذّاتية.

ومُحال أنْ يكُون لحَامل الشّهادات ثقل ووزن إذا هو اَقتصر علىٰ ما سَمعه من حلقَات الدّرس ولم يُواصل القرَاءة والمُطالعة، ويَـتطلع إلىٰ مَـزيد مـن الثّـقافة والوعي. قَال الإمام أمِير المُؤمنِين عليه السلام: «أَعلَم النَّاس مَن جَمع عِلم النَّاس إلىٰ عِلمه»[1]. ومن الطّريف قَول بَعض الفَلاَسفَة: أنّ الله سُبحانه لم يَضع أبصارنا في جبَاهنا دون مُؤخرات رُؤوسنا إلاّ لنَطمح لحيَاة جَديدة ومُبتكرة.

وتكلّم المُفكرون حَول التّعليم والتّربيَة من عَهد (كونفوشيوس) حتّىٰ اليَـوم وأطَالوا الكلاَم، وفَرقوا بَينهما في أنّ التّعليم يكُون فـي المَـدرسة، أمّـا التّـربيَة فطَريقها القِراءة والمُطالعة، ومن أقوَالهم: لاَ جَدوىٰ من تَعليم بلاَ تَـربية ذَاتـية. التّربية بلاَ تَعليم خَير مليُون مرّة من تَعليم بلاَ تَربية. وضَربوا العَديد من الأَمـثَال عَلىٰ ذَلك، مِنها أنّ مَعركة حاميَة قَامت علىٰ صفحَات الجرَائد المَصريَّة بَين زُمرة من المُعممين حَول الحَديث المَنسوب إلىٰ نبيّ العَـقل والعِـلم، وهـو «إذا وقَـع الذّباب في إناء أحدكُم فلْيَغمسهُ (فَامْقُلوه)، ثُمّ اَنْقلُوه (ليَترعه) فإنّ في إحـدىٰ جنَاحيه دَاء وفي الأُخرىٰ دَواء»[2].

---

(١) لَم أقف عَلَىٰ هَذَا الحَديث فِي نَهج البَلاَغَة، وَلاَ في الكُتب المُتوفرة لديَّ، لكن روىٰ ذَلكَ البَرقي في المَحاسن: ١/ ٢٣٠ ح ١٧٣، من لاَ يَحضره الفَقِيه: ٤/ ٣٩٥، الخِصَال: ٥/ح ١٣، أمَالي الصّدوق: ٧٣ح ٤، مَعَاني الأَخبَار: ١٩٥ح ١، روضَة الواعظين: ٦، الأربعون حديثاً للشّهيد الأوّل: ٥٥ ح ٢٤، سُنن الدّارمي: ١/ ٨٧، ولكن نَسبه إلىٰ الرَّسُول صلى الله عليه وآله.

(٢) أنظر، صَحيح البُـخاري: ٣/ ١٢٠٦ح ٣١٤٢و: ٥/ ٢١٨٠ح ٥٤٤٥، المُـنتقىٰ لاِبـن الجَـارود: ١/ ٢٦ح ٥٥، صَحيح اَبن حِبَّان: ٤/ ٥٣ح ١٢٤٦و ١٢٤٧و: ١٢/ ٥٥/ ٥٢٥٠، صَـحيح اَبـن خُـزيمه: ←

وعلّق زكي نَجيب علىٰ هَذه المَعركة بقَوله : « ثَار الجدَال حَول هذا الحَديث ، وأمتَدَ إلىٰ صفحَات الجرَائد ، وقرأتُ تلكَ المقَالاَت . . . كَأنّ المَـوضوع يَـحتمل الأَخذ والرَّد والدّفاع والهجُوم . . وهَذي ثقَافتنا بعدمَا صَنعه لنَا مُحَمَّد عَبده ولُطفي السّيد والعقّاد وطَه حُسين »[1] .

أمّا سلاَمة مُوسىٰ فقد رَوىٰ « أنّ أحد خريجي كلّية الحقُوق بجَامعة القَـاهرة ألّف كتَاباً يُخبرنا فيهِ عن العفَاريت ، والجنّ ، والشّياطين كَـيف تَـتزاوج ، وكَـيف تتَوالد ، ولمَاذا يَزيد عَددها علىٰ عَدد الإِنس » .

ونَحمد الله سُبحانه الّذي كَتم عن زكي نَجيب مَحمُود ، وسلاَمة مُوسىٰ مَا هو أعْظَم .

⇐ ١ / ٥٦ ح ١٠٥ ، موَارد الظّمآن : ١ / ٣٠٠ ح ١٣٥٥ ، مُسند أبي يَعلىٰ : ٢ / ٢٣٣ ح ٩٨٦ ، مُسند أحمَد : ٢ / ٢٢٩ ح ٧١٤١ و ٧٣٥٣ ، كَنز العُمّال : ١٠ / ١١ / ٢٨١٨٠ و ٢٨١٨٢ ، عُمدة القَـاري فـي شَـرح صَحيح البُخاري : ١٥ / ٢٠٠ ح ٢٣٣ ، التّفسير الكَبير للفَخر الرّازي : ٥ / ١٥ ، دقَائق التّفسير : ٢ / ١١ .

(١) أُنظر ، جَريدة الأَهرام تأريخ (١٢ / ٥ / ١٩٧٧ م) .



آحذَر العَجُول الغضُوب

لاَ مفرّ من التّفكِير :

أكتبُ هذا الفصل بلاَ تَـصميم سَـابق ، عِـلماً بأنّ التّـصميم والتّـفكير يَسـبق العَمل . . . والحكَاية : إنّي قرّرت ـ بَعد الإنـتهاء مـن الفَـصل السّـابق أنْ يكُـون مَوضوع هذا الفَصل « الفَلسفَة والدّيانَات السّـماوية » . لأَنّ الكَـثير مـن النّـاس يظنّون أنّ الغَيب بشتّىٰ معَانيه خرَافة يَرفضها العَقل . . . وقَبل الشّروع بمَا كُنت قد قَصدت وقرّرت ، وجَّه إليّ أحد الشّباب هـذا السّـؤال : قَـال سُـبحانه : ﴿ خُـلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَاتَسْـتَعْجِلُونِ﴾[1] . وإذا كَان الإنسَان مَخلوقاً من العَجَل ومَطبوعاً عَليه كمَا يَدل أوّل الآيَة ، فكَيف سَاغ النّهي عنهُ كمَا جَاء في آخرها ؟ . وهَل من المَعقول أنْ يُترك الإنسَان مَا هو مُقرّر إلَيه بفِطرته وطَبيعَته ؟ .

فقُلتُ لهُ : المُراد بالنّهي هُنا عَين المُراد بالنّهي عن الزّنا أو الخَمر أو غَيرهما من المُحرّمات إذا مَالت النّفس إلَـيه ، وهـو ضَـبطها بـالكَبح ، وتـروّيضها بـالصّبر ، وتَحذيرها من عَاقبة السّوء . . . ومَا أنْ تَركني السّائل إلىٰ شأنه حتّىٰ غَرقت فـي التّفكير ، أُقلّب النّظر في العَجلة ومسَاوئها ، وحَاولت جهدي أنْ أطرد هَذه الفِكرة من خيَالي أو أتجاهلها لأنصرف إلىٰ الكتَابة فيَما قَصدت ، ولكنّها تَجسدت أمَام

---

(١) الأنبيَاء : ٣٧.

نَاظري كأنّها حَقيقة مَلمُوسة، وأملت عليَّ هَذِه السّطور العَاجلة، فأستجبتُ بلاَ رَغبة وطيبَة قَلب، وحَبّذا لو لزِمتُ الصّمت.

وعَلىٰ أيّة حال فأنّ الحَديث عن العَجلة والحمق والغَضب حدِيث فَلسفي ما دَامت مهمّة الفَلسفه أنْ تُعلمنا كَيف نُفكّر فيما نُمارسه بحيَاتنا اليَوميَّة المَألوفة.

العَجلَة طَريق الهَلكَة:

قَال رسُول الله ﷺ: «إنّما أهلك النّاس العَجلة، ولو أنّ النّاس تَثبتوا لم يَـهلك أحد»[1]. وهَذا الحدِيث يُغني عن كتَاب ضَـخم، فكـلّ مـا نَـفعله عـلىٰ عَـجل فسُرعان مَا ينهَار. ومن قوَاعد الإِرث في الفِقه الإِسلامي قَـاعدة تـقول: «مَـن أستعجل الشّيء قبل أوَانه عُوقب بحرمَانه»[2]. يُشير الفُقهاء بذَلك إلىٰ أنَّ القَريب القَاتل عَمداً لاَ يَرث من مَال المَقتُول.

وللعَجلة مَصدران: سُرعة الغَضب لأتفه شيء، والقَطع الجَازم باللمحَة ومُجرد التّصور بلاَ رَوية. أبداً لاَ يشك ولاَ يظن، ولاَ يَبحث ويَسأل! ومن يك هذا شأنه فلاَ دواء لهُ إلاّ الفرار منهُ.

وبالمُناسبة نُشير أنّ في عِلم أُصُول الفِقه ثلاَثة أبوَاب:

الأوّل: يَبحث عن القَطع بالحُكم الشّرعي وآثَاره.

وَالثّاني: يَبحث عن الظّن بِهِ وأحكَامه.

---

(١) أُنظر، المحَاسن لأحمَد بن مُحمّد بن خَالد البَرقي: ١/٢١٥ح ١٠٠، وسَائل الشّيعة للحر العَاملي: ٢٧/١٦٩ح ٥٠.

(٢) أُنظر، الإِقناع في حلّ ألفاظ أَبي شُجاع للشّربيني الخَطيب القَاهري الشّافِعي: ٣٠٦، مُغني المُحتاج فِي شَرح ألفاظ المِنهاج: ٤/٥٣٩، حواشي الشّرواني: ١٠/٤٢٤، إعانة الطّالبين للبكري الدّمياطي: ١/١١٠، فيض القَدير شَرح الجَامع الصّغير: ٦/٢٠٤.

وَالثَّالث: يُعالج الشّك فيه، ولاَحظتُ أنّ بَعض مَن يَقرأون هَـذِه البـحُوث لاَ يَشكون ولاَ يَظنون في مرحلة العَمل، بخاصّة السّبة والرَّذيلة، فإنّهم يَنسبونها إلىٰ مَن يشاؤون بلاَ بحث وتَردد تمَاماًكالأَطفال، ولاَ غرَابة، فإنّ كَثيراً من الكبَار سنّاً صغَار في عواطفهم وتَصرفاتهم، علىٰ مَا يَحملون من شهَادات. ولَيس بعد العيَان من شَاهد.

الغَضَب حمّىٰ الجنُون:

السّير مع الغَضب يَنتهي بصَاحبه إلىٰ مواطن العَطب وفسَاد الدّيـن والإيـمان والقَول والعَمل بلاَ عِلم ورَوية، والإساءة لمَن لاَ ذَنب لهُ.

سَأل رجل النّبي ﷺ: «أي شَيء يدخلني الجنّة؟.

فقال لهُ: لاَ تَغضب»[1].

ومِن أحسن مَا قرأتُ في هذا البَاب قول أرسطو: «سَهلٌ عـلىٰ الإنسَـان أنْ يَغضب، أمّا أنْ يَغضب مع الشّخص المُناسب، وإلىٰ الحدّ المُناسب، وفي الوَقت المُناسب فهذا لَيس في المَقدور».

ولاَ مُسكّن لحمّىٰ الغَضب الـمجنونة إلاّ جُـرعة مـن صَـيدلية الإمـام أمِـير المُؤمنين ﷺ حيث قَال: «تَجرَّع الغيظَ فَإنّي لَم أَرَ جُرعةً أَحلَىٰ مِنهَا عَاقبةً، ولاَ أَلَذَّ مَغبّة. ولِن لِمَن غَالظكَ، فإنَّهُ يُوشكُ أنْ يلِينَ لك، وخُذ علىٰ عدوِّكَ بالفَضلِ فإنَّهُ أَحلَىٰ الظَّفرين. وإنْ أَردتَ قَطيعَةَ أَخيك فأَستَبق لهُ مِنْ نَفسكَ بَقيَّةً يَرجعُ إليها إنْ بَدا لهُ ذَلكَ يَوماً مَا، ومَنْ ظَنَّ بكَ خَيراً فَصدِّق ظَنَّهُ، ولاَ تُضيعنَّ حَقَّ أَخيكَ اَتّكالاً

(١) أنظر، السّنن الكُبرىٰ للبيهقي: ١٠/ ١٠٥، إحيَاء علُوم الدِّين للـغزّالي: ٣/ ١٤٣، مَـجمع الزّوائـد ومَنبع الفوَائد للهيثمي الشّافعي: ٨/ ٧٠، مُسند أَبي يعلىٰ: ٣/ ١٦٦، المُعجَم الأوسط: ٣/ ٢٥، عِلل الدّار قُطني: ١٠/ ١٢٠.

عَلَىٰ مَا بَينَكَ وبَينهُ، فَإِنَّهُ لَيسَ لَك بأَخٍ مَنْ أَضَعت حَقَّهُ. ولاَ يَكُن أَهلُكَ أَشقَىٰ الخَلق بكَ، ولاَ تَرغَبَنَّ فيمَن زَهدَ عَنكَ، ولاَ يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقوَىٰ علىٰ قَطيعَتكَ منك علىٰ صلَته، ولاَ تكُونَنَّ علىٰ الإِسَاءة أَقوَىٰ مِنكَ علىٰ الإِحسَان. ولاَ يَكبُرنَّ عَلَيكَ ظُلمُ مَنْ ظَلَمكَ، فإِنَّهُ يَسعىٰ في مَضرَّته ونَفعكَ، ولَيسَ جزاءُ مَنْ سرَّكَ أَنْ تَسُوءهُ»[١]. وأيضاً قَال: «إِنْ لمْ تكُن حَلِيماً فتحلَّمْ؛ فإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تشبَّهَ بِقَومٍ إِلَّا أَوشَكَ أَنْ يكُونَ مِنهُم»[٢].

العَفو من شِيَم الكِرَام:

القصَاص عَدل، والعَفو فَضل، وهو أقرَب إِلىٰ مَرضاة الله من الأَوّل، ومَرضاته تَعالىٰ أقصىٰ الغَايات لمَن آمن به حقّاً وصِدقاً. قَال سُبحانه: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[٣]. والمُراد بالتّقوىٰ العَمل بمَرضاته، جلّت عَظمته، والمَعنىٰ أنّ مَن عَفا عن أَخيه لوَجه الله تولّىٰ هو عقَابه بنَفسه، ويُؤيد ذَلكَ الحَديث القُدسي الَّذي روَاه الكلُيني في أُصول الكَافي: «يا أبن آدم إِذا ظُلمت بمظلَمة فَارض بإِنتصاري لَك، فإِنّ إِنتصاري لكَ خير من إِنتصارك لنَفسك»[٤].

وفَحوىٰ الحدِيث: وإِنْ أَبَيت إِلاّ أنْ تَثأر وتَقتص بيَدك فدُونك، علىٰ أنْ لاَ تَتعدىٰ وتَتجاوز عن المِثل، ولكن لاَ يسوغ لكَ بعد القصَاص منهُ أنْ تَشكوه إِلىٰ الله، لأَنّ العقُوبة لاَ تَتكرر علىٰ ذَنبٍ واحد. وتَجدر الإِشارة إِلىٰ أنّ المُراد

---

(١) أُنظر، نَهج البلاَغة: الرّسالَة (٣١).

(٢) أُنظر، نَهج البلاَغة: الحِكمَة (٢٠٦).

(٣) البَقرة: ٢٣٧.

(٤) أُنظر، الكَافي: ٢ / ٣٠٤ح ٨ ـ ١٠، شَرح أُصُول الكَافي: ٩ / ٣١٣ح ٨ ـ ١٠، وسَائل الشّيعة: ١٥ / ٣٦٤ح ١ ـ ٣، أعلاَم الدِّين وصفات المُؤمنِين للديلمي: ١٨٤.

بالمَظلمَة هي الخَاصّة دون العَامّة كالكَلمة النّابية ومَا أشبَه.

أخمَق الحُمق:

أحمق الحمق أنْ تَجتمع في الشّخص العَجلة وسُرعة الغَضب، ومِثله لاَ يسوغ النّقاش معهُ، بل ولاَ الحَديث بحال، لأنّه لاَ يَشك إطلاقاً، بل يَجزم ويَحكم بـلاَ أسَاس، ومَن لاَ يَشك يَستحيل أنْ يَقنع أو يَقتنع، قَال كونفوشيوس: «لاَ أدري مَا أفعَل بالإِنسان الَّذي لاَ يشك ولاَ يَسأل نَفسه مَا يَجب أنْ يَفعل».

وكلّ ذي عَقل ودِين وضَمير عَليه أنْ يَسأل هذا السّؤال، ويَبحث عن الإِجابة عنهُ في مظانّها ومصَادرها، ومَن لاَ يَـتهم نَـفسه، ويَـتوقع مِـنها الخَـطأ فـدَاؤه مُستحكم، ولاَ دَاء لهُ علىٰ الإِطلاق. فَقد روىٰ القمّي في سَفينة البحَار عن السّيد المَسيحعليه السلام أنّه قَـال: «دَاويت المـرضىٰ فشَـفيتهم بـإِذن الله، وأبـرأتُ الأكـمَه والأَبرص بإِذن الله، وعَالجتُ الموتىٰ فأحـييتهُم بـإِذن الله، وعَـالجتُ الأحـمَق فَعجزتُ عن إِصلاَحه.

فَقيل لهُ: وما الأَحمق؟.

فقَال: المُعجب برَأيه ونَفسه الَّذي يرىٰ الفَضل كلُّه لهُ لاَ عَليه، ويُوجب الحقّ كلُّه لنَفسه، ولاَ يُوجب عَـليها حـقّاً. فـذَاك هـو الأَحـمق الَّـذي لاَ حـيلَة فـي مُداواته»[١].

(١) أنظر، مُستدرك وسَائل الشّيعة: ١ / ١٣٩ ح ١٠، الإِختصاص للشّيخ المُفيد: ٢٢١، بـحَار الأنـوار للمَجلسي: ١٤ / ٣٢٣ ح ٣٦، قَصص الأَنبيَاء للرّاوندي: ٤٧١.

الفَلسفَة والدّيانَات السّماويَّة

الفَلسفَة حلاَل أو حرَام ؟ :

اختَلف الأَقدمون : هَل طَلب الفَلسفَة وممَارستها حلاَل أو حرَام ؟ . وإِذا أمعَنّا النّظر في أقوَال المختلفين من العَرب والمُسلِمين لم نَجد أي خلاَف فيما بينهُم علىٰ المَبدأ العامّ ، وهو وجُوب النّظر وطَلب المَعرفة من مصَادرها ، وإِنّما الصّراع في تَطبيق المَبدأ لاَ في صحَته ، وأنّ الفَلسفَة اليُونانية وغَيرها من الفَلسفَات الدّخيلة هل تُودي إِلىٰ الشّك والإِلحاد ، أو إِلىٰ دَعم الإِيمان ورسُوخه ، أو لاَ ذا ولاَ ذَاك ـ علىٰ الأقل ؟ .

والجوَاب عن هَذا السّؤال لاَ يَحتاج إِلىٰ تبيَان وبُرهان أكثر من القول بأنّ الحُكم في ذَلكَ يتّبع ويَخضع لنَوع الفَلسفَة وأهدَافها . فالتيارَات والفَلسفَات القَائمة علىٰ الإِلحاد والقَائلة بأنّ المادّة هي المَوجود الوحيد كالمَاركسيَّة والوَضعيّة ، أو الدّاعيَة إِلىٰ التّحرر من كلّ قَيد كالإِباحيَّة والوجوديَّة ، أو الهَادفة إِلىٰ الإِستغلال والإِحتكار كالصّهيونيَّة والإِمبرياليَّة ، أو القَائلة بوحدة الوجُود وأنّ مَجموع الوجود الطّبيعي هو الله ، كلّ هَذِه الفَلسفات والنّزعات حرَام مُحرمة ومَرفوضة من الأَساس .

أمّا الفَلسفَة النّزيهة السّليمة التّي تَرفض كلّ جهَالة وضلاَلة ، وتَردها بالمَنطق

القَويم، فهي من صَميم الدّين الحَنيف، وأي عَاقل يُحرم فَلسفة تُحرّم ما حرّم الله، وتُحلل ما أحل ؟. لَقد حثّ القُرآن الكَريم عَلىٰ النّظر والتّفكير، وحَرّم التّعصب والتّقليد. وهَذي عَين الفَلسفَة التّي حلّلها وقَال بها الفَلاَسفَة المُؤمنُون السّابقون منهُم واللأحقون.

أنّ الأَصل الأَوّل للدِين الحَنيف هو العَقل وخَالق العَقل، وأيضاً الأَساس الأوّل للفَلسفة الصّحيحة هو العَقل، ومَا دَام مَصدر الدّين والفَلسفَة واحداً يسوغ، وهَذي هي الحَال، وصف الدّين الإلهي السّماوي بأنّه عَقلي، والفَلسفَة الصّحيحة بأنّها إلهية سمَاوية.. أللهُمَّ إلاَّ أنْ تَرفض صرَاحة أو ضمناً العَقل كمَصدر لها ولمبَادئها وأحكَامها، والمَعروف بين النّاس أنْ الدّيانات السّماوية ثلاَث: (الإسلاميَّة، والنّصرانيَّة، واليَهوديَّة). وفِيما يَلي نَنظر ونَرىٰ: هَل هَذه الدّيانات تقُوم كلّها علىٰ أسَاس العَقل، أو أنّها تَرفضه بالكَامل، أو بَعضها تَعترف به وبَعضها تَرفضه ؟.

الأَقانِيم[1] الثّلاَثة في الكتَاب المُقدّس :

الكتَاب المُقدّس عندَ المَسيحين يَعم ويَشمل العَهد القَديم (أي التّوراة) والعَهد الجَديد (أي الأَناجيل الأَربعة) وأعمَال الرّسل (أي رسَائل الحوَاريِّين). ولَهذا الكتَاب المُقدّس فَهرس يَرشد إلىٰ مكَان الكَلمات، أشبَه بالمُعجم المُفهرس للقُرآن الكَريم، وأيضاً لهُ قَاموس، يَدل علىٰ الكَلمات أين هي ؟. ويُبين معَانيها، ومَا يتّصل بها بإيجاز بحَيث يُغني القَاريء عن مُراجعة الشّروح والتّفاسير إذا هو اَقتنع بالكفَاف، وقد اَشترك في وضَع هذا القَاموس (٢٧) من اللأهوتيّين وذوي

(١) الأَقَانِيم: الأُصُول، واحدها أُقْنُومٌ. قَال الجَوهري: وأحسبها رُومية (أُنظر. لسَان العَرب لابن مَنظور: ١٢/ ٤٩٦، مُختار الصّحاح: ١/ ٢٣١).

الإختصاص. وأتمنّىٰ لو أنّ نُخبة من ذوي الكفَاءة المُسلمِين اشتركوا في وضع قاموس القُرآن الكَريم علىٰ غرَار قَاموس الكتَاب المُقدّس.

وجَاء في هذا القَاموس: ١٠٧ ومَا بَعدها ما نصّه بالحَرف الواحد: «الله وَاحد، وهُو ثلاَثة أقَانِيم مُتساوية في الجَوهر: الله الأَب، والله الإبن، والله رُوح القُدس، فالأَب هو الَّذي خَلق العَالَم بوَاسطة الإِبن، والإبن هو الَّذي أتمّ الفدَاء وقَام بـه، والرَّوح القدّس هو الَّذي يُطهّر القَلب والحَيَاة، غَير أنّ الأَقانِيم يَشتركون معاً في جَميع الأَعمال الإِلهيَة»[1].

وفي المُعجم الفَلسفي للأب الدّكتور جميل صليبا: «أنّ الأَقنوم هو الجَـوهر والشّخص، والأَقَانِيم الثّلاثة جوَاهر مُتميزَة، والأَقنُوم عند اللاَّهوتيِّين يُطلق علىٰ إتّحاد الطّبيعة الإنسانيّة بالطَّبيعة الإلهيّة».

ويُلاحظ من وجهة عَقلية أنّ الواحد من حَيث هو غَير الثّلاَثة من حَيث هي، وإذن فلاَ يسوغ بمنطق البَديهة أنْ يُقال: «الله واحد وهو ثلاَثة».

ثَانياً: أنّ الخَالق لاَ يتّحد مع المَخلوق (أي الإنسَان) ولاَ يُـماثله ولاَ يكُـون أحدهُما جُزءاً من الآخر ولاَ هُما معَاً جُزأين لشَيء ثَالث.

ثَالثَاً: أنّ مفهُوم الإله يَنفي بذَاته وطَبيعته أنْ يكون لهُ شَريك في أي عَمل حَيث

---

(١) أنظر، مُقارنة الأديَان الدّكتور أحمد شَلبي: ٣ / ١١٤، تَفسير الكشّاف للزّمخشري: ١ / ٥٨٥، جَامع البَيان عن تَأويل القُرآن، أَبي جَعفر مُحمَّد بن جرير الطَّبري: ٦ / ٤٢٢، التَّفسِير الكَبير للفَخر الرَّازي: ١٢ / ٦٠، تفسير القُرطُبي: ٦ / ٢٣، تَفْسِير البَحر المُحيط، لمُحمَّد بن يُـوسُف الشّـهير بأَبـي حَـيّان الأُندلسيّ (ت ٧٤٥ هق): ٣ / ٤١٧، تَحقيق: عَادل أَحمَد عَبد المَوجُود، طَبعة ـ بَيرُوت (١٤١٣ هـ)، طَبعَة السَّعادَة بمَصر، تَفسِير رُوح المعَاني للآلوسي: ٦ / ٢٦، التَّوحيد والتَّثليث للشَّيخ مُحمَّد جـوَاد البلاَغي: ٥٨، أضوَاء علىٰ المَسيحيَّة لمُتولي يُوسف شَلبي: ٥٨، قَاموس الكتَاب المُـقدّس لمَـجمع الكنَائس الشَّرقيَّة: ١٠٧.

لاَ يخلو الواقع من أحد فرَضَين : إمّا أنْ يكون أحد الإلهين قَادراً علىٰ خَلق الكَون وتَدبيره ، وإمّا أنْ يَعجز عن ذَلك ، فإنْ كَان قَادراً يكُون وجود الثّاني عَبثا ولزُوم ما لاَ يلزم ، والإله مُنزّه عن النّقص والعَبثية ، وإنْ يكّ عَاجزاً إحتاج إلىٰ كفِيل ومُعين .

ولكن الكَنيسة بخاصّة القَديمة لاَ تَعباً بعَقل وعِلم ، وتَعترف صرَاحة بأنّ الدّين فَوق العَقل ، وأنّ ما يُخالف ظاهر النّصوص فهو بِدعة وضلاَلة ، وعلىٰ هذا الأَساس قَتلت الكنيسَة وحَرقت العَديد من العُلماء والفَلاَسفَة تحت عنوَان الهَرطقة والزّندقَة ، وآستمرت علىٰ ذَلكَ أزماناً طوالاً وقُروناً مُتعاقبَة .

ولَو أنّ الكنيسة علىٰ ثقة من ديَانتها قوّة وصدقاً لشجّعت العِلم والعُلماء ، وبَاركت الفَلسفَة والفَلاَسفَة ، ونَاقشت الُمخطيء منهُم بالحِكمة والمَوعظة الحَسنة . ونَختم هَذِه الفقرة بكَلمة جَاءت في مقّال بعنوَان «كير كجورد في قبضَة هيجل» وهي «عَلىٰ المَسيحي أنْ يؤمن بلاَ عَقل ، بل أنّ الإيمان يَزداد كمالاً وسمواً كلّما آزداد مُعارضة للعَقل»[1] .

وبَعد ، فإنّ سرّ الأَسرار لنفُور المَسيحيَّة أو الكَنيسَة من العَقل ، يكمُن في الأَقانيم الثّلاَثة التّي يَرفضها القَلب والعَقل مع أنّها الحَجر الأَساسي في هَذه الدّيانة ، ومَا وجد أتبَاعها سَبيلاً للإخلاص من هَذِه الورطة الُمحيرة إلاّ القَول بأنّ الدّين فَوق العَقل والفَلسفَة ... ولَكن هذا الحل يَحتاج أيضَاً إلىٰ حل للقوىٰ المَأثور : «حدّث المَرء بما لاَ يَليق ، فإنْ لاَق لهُ فلاَ عَقل لهُ»[2] . علماً بأنّ المَسيحيّين عُقلاَء .

---

(١) أنظر ، مقّال بعنوَان «كير كجورد في قبضة هيجل» نَشرته مجلّة الفِكر المُعاصر العَدد (٦٧ سبتمبر أيلُول سنَة ١٩٧٠م) .

(٢) أنظر ، شَرح القَصيدة الرّائيّة تتمّة التّتريّة للدّكتور جَعفر جوَاد الخَليلي : ٢٦ .

إله إسرَائِيل:

والحدِيث عن الفَلسفَة اليَهوديَّة والعُنصريَّة الصّهيونيَّة، يتّسع لأكثر من مجلّد. ونَكتفي هُنا بكَلمة مُوجزة عن إِلَيه إسرَائيل وحَقيقته ومهمّته كمَا هو في الدّيـانَة اليَهوديَّة، لأنّ فَلسفتها وجَميع تعَاليمها تَرتكز علىٰ طَبيعة هذا الإِله وصفَاته.

ومُجمل القول فيه ـ كما هو عِند إسرَائيل ـ أنّه أعجب من أنْ يَتصوره عَقل، أنّه صُهيوني يُعادي الإِنسانيّة فيَأمر بالدَمار وحَرق القرىٰ والمُدن بـمن فـيها حـتّىٰ الأطفال... فيما عدَا الذّهب والفضّة والنّحاس والحَديد، لأنّ هَذِه الأموال للإِله الرّأسمالي الأكبر... وأيضاً هذا الإِله عُنصري قَبلي عـلىٰ غـرَار أصـنَام بَـعض القبَائل في الجَاهليّة... ولا يَعنيه من أمر الخَلق إلاّ حل مشكلاَت اليهود، ومـن أجل ذَلك سخّر لهم الكَون بمن فيه من إنسَان غَير اليَهودي ومَا فيه من كَائنات وأنعَام.

وتُورد التّوراة فيما تُورد عن هذا الإِمتياز خطاباً مع بني إسرَائيل: «أحـرقوا المَدينة مع كلّ ما بهَا.. إنّما الفضّة والذّهب وآنية النّحاس والحَديد إجعلوها في خُزانة بَيت الرَّب»[1]. وفي سِفر التّثنية: «قد آختارك الرَّب لكي تكوّن لهُ شعباً خاصّاً فَوق الشّعوب علىٰ وجه الأرض»[2]. وفي سِفر العَدد الإِصحاح: «خُذوا كلّ الغَنيمة وكلّ النّهب من النّاس والبهَائم»[3].

وفَوق ذَلكَ أنّ الله تصَارع مع يَعقوب اللّيل بطُوله فعَجز عنه، بـل عَـجز عـن التّخلص والفرَار منهُ، وبالتالي لَم يَجد الرَّب بداً من الرَّجاء والتّوسل إلىٰ يَعقوب كي يَمن عليه بالإِطلاق، فقَال لهُ مُستعطفاً: «أطلقني لقَد طَلع الفَجر؟

(١) أُنظر، سِفر يشوع الإِصحاح (٦) فقرة (٢٤).
(٢) أُنظر، سِفر التّثنية الإِصحاح (١٤).
(٣) أُنظر، سِفر العَدد الإِصحاح (٣١) فقرة (١٢).

فقال له يَعقوب : لا أُطلقك إنْ لم تُباركني ... فبَاركه الرَّب ، وسمّاه إسرَائيل[١] .

ومَعنىٰ إسرَائيل في العِبرية القوّة ضدّ الله ، كمَا نَقل العَارفون بهَذه اللُّغة .

وتُشير هَذِه الفَلسفَة أو هَذه الخرَافة أنّ اليهودي لاَ غالب له حتَّىٰ الله يَعجز عنهُ ! . وقد جَاء هذا المَعنىٰ في القُرآن الكَريم بنصّ أبين وأوضَح في الآيَة : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾[٢] .

وفي الآيَة : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾[٣] .

وهَذه الدّيانة السّفاكة الأفّاكة نَابعة من الطّبيعة الصّهيونيَّة وفَلسفتها ، ولاَ صلَة لهَا إطلاَقاً بأي وحي أو عِلم أو عَقل وضَمير ... فَقد روىٰ الإسرائيليُون أنفسهُم أنّ التّوراة المُتداولة الآنْ هي من صُنع أحبار اليَهود بعد عَودتهم من الأَسر البَابلي إلىٰ أرض كنعان[٤] .

ولاَ أدري : كَيف جَمع المَسيحيون بَين الإيمان بربّ التّوارة (أي إله إسرَائِيل السّفاح الضّاري) والإيمان بربّ الإنجيل وهو أرحَم الرَّاحِمين .

ومِن كلّ ما تَقدّم يَتبين لنَا أنّ هذا الإخاء واللّقاء بين الصّهيونيَّة والولاَيات المُتحدة ـ لَيس من باب الصّدفة ، بل من بَاب المُشاركة والإلتحام في المَبدأ والهَدف والنّظام ، وقَد ظَهرت هَذِه الحَقيقة بوضُوح علىٰ لسَان بيغن رئيس وزرَاء إسرَائيل الحَالي بعد زيَارته للولاَيات المُتحدة وإجتماعه برئيس جمهُوريتها

---

(١) أُنظر ، التّوارة سِفر التّكوين الإصحاح (٣٢) فقرة (٢٢ ـ ٢٩) .

(٢) المَائدة : ٦٤ .

(٣) آل عِمران : ١٨١ .

(٤) أُنظر ، الرّحلة المَدرسية للشّيخ جوَاد البلاَغي ، وأظهار الحقّ للشّيخ رحمة الله الهِندي ، وفَلسفة التّوحيد والولاَية فَصل أهل الكتَاب يَعترفون بتَحريف كتَابهم لمُحَمَّد جوَاد مُغنيَّة ، ومُوسوعة لاَروس ، ورسَالة لسيجموند فرويد » .

حِين سَأله مُراسل صُحفي عن نَتيجة الإِجـتماع، فأجَـاب بـقوله: «إِنّـنا نـؤمن بحقَائق مُقدّسة مُشتركة، وذَلك ما قَربنَا ووفّق بَيننا من أوّل نَظرة».

وبَعد، فَقد كانت الكَنيسة من قَبل تَعتقد أنّ المُعطيات العِـلميَّة تُـنافر ظـاهر النّصوص المُقدّسة التّي تَعود إِلىٰ الطّبيعة ونوَاميسها، فـحدثَ الإِصـطدام بَـينها وبَين العُلماء والفَلاَسفَة... ومع الأَيّام أرتفع السّتار وظَهرت الحَقيقة، وخَضعت الكَنيسَة للأَمر الواقع، وقَالت للعُلماء: لنَا حَقل العَقيدة الدّينيَّة ولكُم حَقل العِلم، وٱنتهىٰ كلّ شَيء.

أمّا الفَلسفَة اليَهوديَّة الصّهيونيَّة الضّارية، فلاَ نهاية لهَا ما دامت نصُوص التّوراة ثَابتة علىٰ أمرها بالخرَاب والدّمار والسّلب والنّهب... وعلىٰ أساس هذا النّص ضمّ بالأَمس القَريب رَئيس وزراء إِسرَائيل الضّفّة الغَربيَّة وقـطّاع غـزّة إِلىٰ دَولة إِسرَائيل، وقَال بصرَاحة ووقَاحة: «من التّوراة ننطَلق وإِلىٰ التّوراة نَعود». وتَقول التّوراة: «أنّ الله أعطىٰ الأَرض للشّعب اليَهودي».

الإِسلام والعَقل:

تَقدّم الكلاَم أكثر من مرّة عن مكَانة العَقل في الإِسلام، والحَديث عنهُ عَـين الحَديث عن العِلم، لأَنّ العِلم من صُنع العَقل وثمَاره. وتَسأل: هل الدّين والإِيمَان بالله أيضاً من نتاج العَقل وآثَاره، أو أنّ الدّين، كلّ دين، يَنبع من مَصدر آخر لاَ يَمت إِلىٰ العَقل بسَبب؟.

الجوَاب:

هُناك مَن يَقول: أنّ الأَديان بشتّىٰ ألوَانها مَصدرها اللاَّشُعور واللاَّمَعقول، وأنّ الإِنسَان يُكره علىٰ العَقيدة الدّينيَّة من حيث لاَ يشعر عن طَريق المُحيط أو التّربيَة أو أي عَامل آخر غير العَقل والفِكر والتّأمل... وقد يكُون لهؤلاء بَعض العُـذر،

لأنّ أكثر الأَديان علىٰ هذا الوصف، ومِنها ما أشرنَا إلَيه قَبل قَليل.

ولكنّ العَاقل، بخاصّة إذا كان من أهل الفِكر، لاَ يُعطي حُكم الخاصّ للعامّ والجُزء للكلّ، وأي عَاقل يقُول: أنَا أعرف مَن هُم شيوخ النّجف وهو لاَ يَعرف منهُم إلاّ مُعلماً أو آثنين! ومِثله تمَاماً الحُكم المُطلق علىٰ جَميع الأَديان من خلاَل دِين أو أكثر؟. وقَد تَعجّل ماركس وتَورّط حين قَال: «الدّين أفيُون الشّعوب بالذَات»[١]. وهو لاَ يَعرف عن الإِسلام شَيئاً، وكَان عَليه أنْ يُخصص بمَا رأىٰ وعَلم ولاَ يَطلق ويُعمم.

أنّ الدّين عَلىٰ أنواع، مِنها بلاَ حجّة وأسَاس مَعقول، ومِنها نتيجَة التّعقل والتّفكير والتّدبر كالإِسلاَم. وإلَيك الدّليل:

١ - أوجَب الإِسلام النّظر العَقلي كوَسيلة للإِيمَان الصّحيح، ونَدّد في العَديد من الآيَات القُرآنية والأَحَاديث النّبويّة بالتّقليد والمُقلدين، وأثنَىٰ علىٰ العِلم وأهله، ونَذكر هَذه الآية عَلىٰ سَبيل المِثال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ﴾[٢]. والمُراد بالعُلماء هُنا هُم المَعنيون بقَوله سُبحانه وَتَعالىٰ: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلاً ﴾[٣]. يَنظرون إلىٰ الكَون ومَا فيه من أسرَار وحِكمة ونظَام، فتأخذهُم الدّهشة ويَتساءلُون: من أَين هَذا العِلم والصّنع المُحكم؟. وكَيف حَدث؟. ولمَن هَذِه القُدرة

(١) أُنظر، كِتَاب أَفيُون الشّعُوب للعَقّاد، وسُبل الهُدَىٰ والرّشاد: ١ / ٣١.

(٢) فَاطر: ٢٨.

(٣) آل عِمران: ١٩١.

الخَارقة ؟. ولاَ يَجدون جوَاباً تَركن إلَيه القلُوب السّليمة وتَقتنع به العقُول النّيرة إلاّ أنّه من صُنع قَدير عَليم، يقُول للشّيء كُن فيكُون.

أمّا خشية العُلماء منهُ تَعالىٰ فإنّها تُشير إلىٰ العَالِم بالله حقّاً وصِدقاً لاَ يَستعمل عِلمه إلاّ في طَاعة الله ومَرضاته، وفي خِدمة الإنسَان وسدّ حَاجاته، ولاَ فَضيلة أسمىٰ من هَذه وأرفع عند الله والنّاس. ومَحل الشّاهد أنّ الإيمان الصّحيح في نَظر الإسلام هو مَا جاء نَتيجة النّظر العَقلي والمَنهج العِلمي، ويُؤيد مكَانة العِلم والعَقل في الإسلام هذا الحَديث الشّريف قَالَ الإمَام الصَّادِق ﷺ: «إذَا كَان يَوم القِيَامَة جَمع الله النَّاس فِي صَعيد وَاحد، وَوضعَت المَوَازين، فتُوزَن دمَاء الشُّهدَاء مَعَ مدَاد العُلمَاء، فَيُرجح مدَاد العُلمَاء عَلىٰ دمَاء الشُّهدَاء»[1].

٢ ـ يقرّ الإسلام كلّ مَا فيه خَير وصلاَح، ويُبارك كلّ جَديد مُفيد حتّىٰ ولو لَم يَرد فيه نصّ، ولاَ يسوغ بحال أنْ يُنسب إلَيه أي شيء يَجلب الشّر والأذىٰ لَمخلوق أو يُنافر العَقل بجهَة من الجهَات.

٣ ـ الإنسَان في دِين الإسلام حرّ طَليق في حدُود العَدل والمُساواة، وهو وحده المَسؤول عن تَصرفاته أمَام الله بلاَ وَاسطة، وإذا بَحث عن الحقّ وآستقصىٰ جهده للوصُول إلَيه

(١) أنظر، أمَالي الشّيخ الصّدوق: ٢٣٣ ح ١، مَن لاَ يَحضَره الفَقِيه: ٤ / ٢٩٩ ح ٥٨٥٣، رَوضَة الوَاعظين للفَتّال النّيسَابُوري: ٩، مُستَطرفَات السّرَائر لابن إدريس: ٦٢٢.

فأخطأه فهو مَعذور، بل ومَأجور أيضاً علىٰ مَا بَذل من جُهد.

قَال رسول الله ﷺ: «إذا حَكم الحَاكم فإجتهد ثُمَّ أصَاب فلهُ أجرَان، وإذا حَكم فإجتهد ثمَّ أخطَأ فلهُ أجر»[1].

وعلّق كَاتب مُعاصر علىٰ هذا الحَديث بقَوله:

«هَل رأيتَ أحداً يُؤجر علىٰ الخَطأ، ويَحرص علىٰ مُمَارسة الحرِّية العَقليه أكثَر من ذَلك؟.

نحنُ نَفهم أنّ المَرء يُثاب إذا أجَاد، وإنّ غَاية مَا يَتوقعه إذا أخطأ أنْ يَغفر لهُ وأنْ لاَ يُعاقب، ولكن الَّذي يَبحث ويَجتهد هُو وحده الَّذي يُؤجر إذا أخطَأ، لأنّ الإسلام يَلح في دعوَته علىٰ ممَارسة الحرِّية العَقلية، والكَثير من آيَات القُرآن تُثبت هذِه الدّعوة، وتَتسَاءل: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[2]؟. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3]؟

---

(١) أنظر، صَحيح البُخاري: ٤/ ٢٦٨ح ٧٣٥٢، تفسير أبن كَثير: ٣/ ١٧٨ و: ٣/ ٤٦٨، المُنتقىٰ لإبن الجَارود: ١/ ٢٤٩ح ٩٦٦، صَحيح أبن حِبّان: ١١/ ٤٤٦ح ٥٠٦٠ وص: ٤٤٧ح ٥٠٦١، مُسند أبي عوانه: ٤/ ١٦٧ح ٦٣٩٣ وص: ١٦٨ ح٦٣٩٧، سُنن التّرمذي: ٣/ ٦١٥ ح ١٣٢٦، سُنن البَيهقي الكبرىٰ: ١٠/ ١١٨ـ ١١٩، مُسند أحمَد: ٢/ ١٨٧ح ٦٧٥٥ و: ٤/ ١٩٨و: ٤/ ٢٠٤، عِلل التّرمذي للقَاضي: ١/ ١٩٩ح ٣٥٢، سُنن أبي دَاود: ٣/ ٢٩٩ ح ٣٥٧٤، شَرح النَّووي علىٰ صَحيح مُسلم: ١١/ ٩١، سُنن أبن مَاجه: ٢/ ٧٧٦ح ٢٣١٤، المُغني: ١٠/ ٨٩، الأُم: ٦/ ٢٠٠ و: ٧/ ٩٣ و: ٧/ ٢٧٨ و ٣٠٢، سُنن النّسائي: ٨/ ٢٢٤، مَجمع الفوَائد: ١/ ٦٨٣، بإختلاف يَسير.

أنظر، المُستدرك علىٰ الصّحيحَين: ٤/ ٨٨، سُنن سُليمان بن داود الطّيالسيّ: ٣/ ٢٣٠٧، جَامع الأُصُول: ١٠/ ٥٤٨، مَجمع الزّوائد: ٤/ ١٩٥، الرّسالة، لمُحمَّد بن إدريس الشّافعيّ، تحقِيق وشَرح أحمَد مُحمّد شَاكر: ٤٩٤، صَحيح مُسلم: ٣/ ١٢٢.

(٢) الأَنعَام: ٥٠.

(٣) البَقرة: ٤٤.

لاَ إسلاَم بلاَ عَقل:

ومِن المُؤسف أنّ فئَة منّا نحنُ حُماة الإسلام، دِين العَقل والعِلم والحيَاة أنْ يقُول فَرد من أفرادها بأسم هذا الدّين: العَقل دَاء ومَفسدة، وآخر يَنفي الإيمان عَن الَّذي يَطلب الحجّة العَقلية كشَرط للطّاعة، وثَالث يَزعم بأنّ الإسلام بَعيد وغَريب عن كلّ العُلوم!. فَقد نَشرت مجلّة العَربي الكويتيَّة كَلمَة بعنوَان العَقل في قَفص الإتّهام، جَاء فيه مَا نصّه بالحَرف الوَاحد:

«وَاحد من عُلمائنا في مَركز رَفيع خصّص فصلاً كَاملاً في كتَاب أخير صَدر لهُ، يُهاجم فيه العَقل، ويَعتبره مَفسدة للقَلب وجُرثومة ضَارّة يجب أنْ تُعبّأ الجهُود من أجل القَضاء عَليها قَبل أنْ يَستفحل الدّاء، ويَنتشر البلاَء علىٰ أُمّة المُسلمِين، فتَشِيع بينهُم والعيَاذ بالله آفة إستخدَام العَقل»[1]!.

وعَلىٰ قول هَذا «الرَّفيع» تكُون الآيَات القُرآنيَّة في تَمجيد العَقل كلّها مَنسوخة، والأَحاديث القُدّسية والنّبوّية كلّها مَوضُوعة!. ولاَ يُريد المُبشرون ضدّ الإسلام وأعداؤه أكثَر من ذَلك... قَال سُبحانه للعَقل في حَديث قُدسي مُتواتر عِند الشّيعة والسّنَّة: ««ما خَلقتُ خَلقاً أحبّ إليَّ منكَ، بكَ أُثيب، وبكَ أُعاقب»[2]. وقَال الرّسول الأَعظمﷺ: «لكلّ شَيء دعَامّة، ودعَامّة المُؤمن عَقله[3].

وقَال هَذا «الرَّفيع»: كلاًّ، أنّ العَقل دَاء ووبَاء وجُرثومة ضَارّة بدِين الإسلام،

---

(١) أنظر، مجلّة العَربي الكويتيّة في العَدد (٢٢٥ تأريخ آب ١٩٧٧م).

(٢) أنظر، كَشف الخفَاء للعَجلوني: ١ / ٢٦٣ ح ٨٢٣، نَهج البلاَغة لابن أبي الحَديد: ١٨ / ١٨٥، المحَاسن لأحمَد بن مُحمّد بن خَالد البَرقي: ١ / ١٩٢ ح ٨، فتُوح الشّام للوَاقدي: ١ / ١٧٨، أعلاَم الدِّين وصفَات المُؤمنِين للدّيلمي: ١٧٢.

(٣) أُنظر، إحياء عُلُوم الدِّين للغزّالي: ١ / ٨٣.

وصَدق الله العَليّ العَظِيم فِي قَوله: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[١].

وأيضاً جَاء في هَذِه الكَلمة: «قَال أبو الأعلىٰ المَودودي الهِندي في كتَابه نَحنُ والحَضَارة الغَربيَّة: «الإِيمان وطَلب الحجّة العَقلية كشَرط من شُروط الطّاعة أمرَان مُتناقضان لاَ يسوِّغ العَقل السّليم إجتماعهُما أبداً، فالذي هو مُؤمن لاَ يُمكن أنْ يكُون طَالباً للحجّة».

ونَسأل هذا القَائل: هَل كان خَليل الرَّحمن مُؤمناً أو غَير مُؤمن حَين قَال ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢]؟؟

فَإنْ إختار الأوّل نَاقض نَفسه بنَفسه، وإنْ قَال بالثّاني فَقد جَحد وخَالف نصّ القُرآن الكَريم: ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾[٣]. بأنّ الّذي خَلقني وأختارني لرسَالته هو دون سوَاه يُخاطبني، ومَا عَلىٰ عَيني أو في أُذني غطَاء وغشَاوة.

ولاَ أدري: لمَاذا هذا الإصرار والتّركيز علىٰ تَجميد الإِسلام وتَحجيرَه، والإِبتعاد بِهِ عن نور العَقل وأسبَاب التّقدم والتّطور علىٰ أسَاس الوَحي ومبَادئه؟. وهَل هذا لمَصلحة الإِسلام والتّبشير بعَظمته ومُرونته؟.

وفي مجلّة الهلاَل المَصريَّة كَلمة بعنوَان كَيف نَرقىٰ بالتّشريع المُعاصر؟. جَاء فيها:

(١) الأنفال: ٢٢.

(٢) البَقرة: ٢٦٠.

(٣) البَقرة: ٢٦٠.

«أنّ حُكم الإسلام يَنطلق من أسَاس الإيمان بالغَيب... والحَقيقة أنّ الفَارق المُميز بَين الحُكم الدّيني وبَين الحُكم الوَضعي هو الإيمان بالغَيب، بل هو الفَارق بَين التّعاليم الدّينيَّة وبَين العُلوم الُمختلفة»[1].

أرَأيت إلىٰ هذا المَنطق؟: أبداً لاَ يَرقىٰ التّشريع المُعاصر إلاَّ بالإبتعاد عن كلّ العُلوم والرَّجوع إلىٰ الغَيب (أي الوَحـي) وكأنّ وحـي الله وكـتَابه عـدوّ للـعِلم والعَقل! معَاذ الله. كَيف ولاَ شيء بَعد العِلم والعَقل إلاَّ الضّلالة والخَرَافة... تعَالىٰ الله عَن ذَلك علوّاً كَبيراً.

ولَو صَدق هذا الكَاتب في زَعمه لمَا كان للإسلام حضَارة وثقَافة، ولاَ شيء اسمه عُلوم إسلاميّة... ورحم الله عُلماء السّلف الّذين أجمعوا قولاً واحداً علىٰ أنّ عِلم الزّراعة والصّناعة والطّب والهَندسة وكلّ ما هو ضَروري للـحيَاة وَاجب كفَائي لأَنّ ما لاَ يَتم الواجب إلاّ بِهِ فهو وَاجب. وهَذِه القَاعدة يَحفظها الصّغار من الطّلبة، ولكن الكَاتب ذَهل عَنها... أللّهُم إلاّ أنْ يَدّعي أنّ علىٰ النّاس أنْ يَزرعوا ويَصنعوا ويَتطببوا ورَاء الطّبيعَة!.

وأخيرَاً نَساءل: هل جَاء هذا الإنتظام والإنسجام بَين هذا الكَـاتب وزَمـيلَيه السّابقَين من بَاب الصّدفة، أو أنّ الهَدف من تَعاضدهم وتَكاتفهم هو بثّ الوَعي الدّيني والإرشاد والثّورة علىٰ الفَساد والإلحاد؟. وطَريف أنْ يعلن عُلماء الغَرب أنّ الإسلام وضع أُسس الحضَارة في الشّرق والغَرب، ثُمّ يتّفق هؤلاَء الثّلاَثة علىٰ أنّ الإسلام أبعَد ما يكُون عن العِلم والعَقل!.

القُرآن وكَلمة الغَيب:

ولعَلّ من المُفيد ـ بَعد الإشارة إلىٰ الغَيب ـ أنْ نَـتحدث حَـول هَـذه الكَـلمَة

---

(١) أُنظر، مجلّة الهلاَل المَصريّة تأريخ أكتوبر تَشرين الأوّل (سنَة ١٩٧٣م).

بإيجاز، وهي تُستعَمل لُغةً وعُرفاً في الجَهل وضدّ الحضُور، يُقال: غَاب فُلان عن البَيت أي لَم يَحضر فيه، وحَفظت شَيئاً وغَابت عنكَ أَشيَاء أي جَهلت بهَا[١]. ولَم يَتجاوز القُرآن هَذين المَعنيَّين، وَمن ذَلك قَوله سُبحانه وَتعَالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[٢]. حَيث أراد سُبحانه الآخرة الغَائبَة عن الأَعيُن كمَا في قَوله سُبحانه وَتعَالىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٣] أي مَا غَاب من أَسرارها عن الخَلق، وَمن ذَلك قَوله سُبحانه وَتعَالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾[٤] وذَلك إشارة إلىٰ مَن مَضىٰ من عبَاد الله... إلىٰ غَير ذَلك من المعَاني التّي لاَ تُنَاقض حُكم العَقل وتُنافره.

وهَل من المعقول أنْ يَصطدم الإِسلام مع العَقل، وهو الطّريق إلىٰ مَعرفة الله وإثبات نبوّة مُحَمَّدﷺ وصِدق القُرآن الكَريم وإعجَازه... ومن هُنا قَال عُلماء الدّين الحَنيف: إِذا تعَارض العَقل مع ظَاهر الشّرع أخذنا بمَا دلّ عليه العَقل، وأوّلنا ذَلك الظّاهر بما لاَ يَصطدم مع العَقل، إنْ أمكن وإلاّ وجب الإِنتظار حتّىٰ تَنكشف الحَقيقة بطَريق أو بآخر[٥].

وخَير مَا نَختم به هذا الفَصل قَول (برناردشو) الشّهير: «إنّ دِين مُحَمَّد هو

(١) أنظر، مُختار الصّحاح لمُحَمَّد بن عَبدالقَادر: ١/٢٠٣، النّهاية في غَريب الحَديث: ٣/٣٩٩، لسَان العَرب لإبن مَنظور: ١/٦٥٤.

(٢) البَقرة: ٣.

(٣) البَقرة: ٣٣.

(٤) آل عِمران: ٤٤.

(٥) أنظر، دَرء تَعارض العَقل والنّقل لتقي الدّين أحمد بن عَبدالسّلام بن عَبدالحَليم بن عَبدالسّلام بن تَيميَّة، دَار النّشر الكُتب العِلميَّة بَيروت ١٤١٧ هـ، تَحقيق: عَبد اللّطيف عَبدالرّحمن: ٩/١٤٨، فرَائد الأُصُول، الشّيخ الأَعظَم مُرتَضىٰ الأَنصَاري: ١/٥٦ إعدَاد لُجنَة تَحقيق: وَنَشر تُرَاث الشّيخ الأَعظَم.

الدّين الوَحيد الحَائز علىٰ أهلية الهَضم لأَطوار الحيَاة المُختلفة لكلّ النّاس... إنّ مُحَمَّداً يَجب أنْ يدّعي مُنقذ الإنسانيَّة، ولَو تَولىٰ رجُل مِثله زعَامة العَالَم الحَدِيث لنجَح في حلّ مشكلاَته بطَريقة تَجلب إلىٰ العَالَم السّلام. بهَذه الرَّوح يَـجب أنْ يَفهم مُحَمَّد، فهو أكمل البَشر من الغَابرين والحَاضرين، ولاَ يَتصور وجود مِثله في الآتيِّين».



المَادّيّة والوَاقعيَّة والمثاليّة

المَادّيّة :

المَادّة هي التّي تَشغل حَيزاً من مكَان . والمَاديّة في الإصطلاح الحَديث تعني أنّ المادّة هي الموجُود الحَقيقي الوحِيد والأَصل وكلّ مَا عدَاها فَرع . . . بها يُفسّر العَقل والرّوح والحيَاة والإنسانيَّة وكلّ مَا يَحتاج إلىٰ تَفسِير ، إذ لاَ شـيء فَـوقها علىٰ الإطلاق ، وهي أزليّة لاَ أوّل لأوّلها ، وأبديّة لاَ آخر لآخرهَا .

ويَتلخص دَليل المَاديِّين بأنّ المَادّة هي وحدها التّي تُرىٰ بـالعَين ، وتُـلمس باليَد ، ولاَ وجود إلاَّ لمَن هو علىٰ هذا الوَصف . وهذا الزّعم ـ كمَا تَرىٰ ـ مصَادرة ولَيس بدَليل ، لأنّها تتّخذ من المَدلول دَليلاً ومن النّتيجة قـيَاساً . وتـتّضح هَـذِه الحَقيقة من الحوار الآتي :

قَال بَعض الطّلاب للمّاديِّين : لَقَد فسّرتم كـلّ شـيء بـالمَادّة ، فـبأي شـيء تُفسّرون المَادّة ؟ .

قَالوا : هي في غِنىٰ عن كلّ تَفسِير ، لأنّها من أوضَح الوَاضحات .

قَال : أجل ، أنّ المادّة وَاضحة بوجُودها ، ما في ذَلكَ رَيب ، ولكن من الّـذي أوجَدها ؟ .

قَالوا : هي وَاجبة الوجود لاَ تحتَاج إلىٰ مُوجد .

قَال: من الَّذي يُدير الكون والطّبيعة هَـذِه الإِدارة الُـمحكمة، ويُـدبرها هـذا التّدبير المُنظّم بوضع كلّ جُزء في مكَانه المُلاَئم والمُتّفق مع جَميع الأَجزاء مُحققاً للغَرض المَقصود من وجُوده ؟.

قَالوا: في البِدء كانت الطّبيعة ذرّات رَقيقة ولَطيفة، يُطلق عليها كَلمة الأَثير[1] وكَانت هذِه الذّرات تَسبح وتَموج في أطراف الفضَاء، ودَامت علىٰ هذا المـنوَال ملاَيِّين الملاَيِّين من السّنين، وبهذه الحَركة الدّائبة الطّويلة الأَمد تَطورت الذّرات إلىٰ أشكال وألوان وكائنات وحَلقات مُتنوعة. مِنها الكوَاكب والأَنعام والحَشرات والإِنسَان... إلخ.

قَال: ومن الَّذي رَأىٰ هَذِه الذّرات اللَّطيفة، وحَضر طوَافها وأطرَافـها وشَـهد تَطورها الآلي إلىٰ هذا النّظام والإِنسجام والجمَال والكمَال ؟.

قَالوا: أبداً، مَا من أحدٍ رأىٰ وشَاهد... ولكن أيّاً كان السّبب فـلاَ يُـمكن أنْ يكُون عن قَصد وتَصميم ومن فعّال لمَا يُريد!.

أرأيتَ إلىٰ هذا المَنطق ؟. نظَام بلاَ مُنظّم مَعقول ومَقبُول، أمّـا النّـظام بـمُنظّم فسُخف وخرَافة!. ولمَاذا يَا «عُقلاَء»؟. لأنّه مَا من أحدٍ فـردٍ صـمدٍ يُـمكن أنْ يَصنع هذا الكَون العَظيم!.

ومن قَبلُ قَال الكَافرُون: ﴿ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ ٱلْأَلِـهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾[2].

وهَكذا يَنتهي المَاديّون في كلّ أقوَالهم إلىٰ المصَادرة والقَول بالظّن والتّخرص

---

(١) قَالوا في تَفسير هذا الأثِير: «هو شيء لاَ لَون لهُ ولاَ كثَافة، وتُخالف صفَاته الصّفات الّتي نَعرفها في المَادّة».

(٢) سُورَة صٓ: ٤ ـ ٥.

تماماً كأهل الجَاهليَّة الجَهلاء. وفي العَدد الأَوّل من السّنة الأُولىٰ لمـجلّة عَـالم الفِكرِ الكويتيَّة مَا نصّه بالحَرف: «أنّ المَاديِّين الّذين يَزعمون أنّـه لاَ وجُـود إلاَّ للمَادَّة قَليلُون بَين المُفكرين، وهُم في الحَقيقة لَيسوا أصحاب مَذهب في تَفسِير الكَون، بل هُم أصحاب رأي في طَبيعة الوجُود، وهو رَأي سَطحي تَعسفي وغَير نَقدي، لأَنّ المادّة كمَا نرَاها لاَ تُفسّر شَيئاً، ولَيست علّة حَقيقة لشَيء»[١].

وللمَاديَّة أقسام وأصنَاف كالذّريَّة، والإِقـتصاديَّة، والتّأريـخيَّة، والجَـدليَّة، والسّاذجَة، والنّقديَّة. والكَلاَم عَنها يَستوعب مجلّداً ضَخماً وقَد نُشير إِلىٰ بَعض أقسَامها فيَما يَأتي.

الوَاقعيّة:

أبعَد شيء عن خَاطر العَاقل أنْ يشك وبتَردّد في الشّيء الَّذي يَراه ويـحسّه، وأيضاً لاَ يشكّ في أنّ هَذِه الأَعيان الخارجيَّة قد وجدَت وجوداً مُستقلاً عن عَقله وعِلمه وعِلم غَيره، ولا أظن أحداً من هذا السّواد وهـؤلاء النّـاس يَـتصور، أنّ هناك مَن يشك في وجود الشّمس والأَرض والقَمر وجوداً مُستقلاً عـن عـقُول الخَلق ـمَثلاً ـأو يقُول: كلّ مَا غَاب ومن غَاب عن عِلمي وعِلم الآخرين فلاَ عَين لهُ ولاَ أثَر... أمّا إِدراكنا وإِحساسنا بوجُود شيء من الأَشيَاء فهو مُجرد صُورة لهُ وإِنعكَاس عنه تمَاماً كصُور الوجه التّي تَراه العَين في المِرآة.

وهَذا هو مَعنىٰ الواقعيَّة، معنَاها بكلّ وضُوح وبسَاطة أنّ في الوَاقع والخَارج أشيَاء لاَ يُناط وجُودها ويَرتبط بأي عِلم وتَصور إلاَّ بعِلم خَالقها وإِرادته[٢].

(١) أُنظر، العَدد الأَوّل من السّنة الأُولىٰ لمجلّة عَالم الفِكر الكويتيّة: ١٣٤.

(٢) قَسّم بَعضهم المثاليّة إِلىٰ ذاتية تُنكر وجود المادّة، وتأتي الإِشارة إِليـها، وإِلىٰ مـوضُوعيّة تَـعترف ←

وقَديماً قَال الفَلاَسفَة وأهل المَنطق: العِلم هو صُورة الشّيء عِند العَقل، ومِن المَعلوم بالبَديهة أنّ الصُّورة فَرع والشّيء المُتصور أصل، وَلَكن أهـل التّـحقِيق والنّظر يُسمّون هَذِه الصُّورة أو هَذه المَعرفة بالواقـعيّة السّـاذجة أي أنّ السّـواد الأعظم من النّاس هُم الّذين يَرون هَذه الصُّورة عِلماً حقّاً ووَاقـعاً، وعَـلىٰ هـذَا الأَساس يَتفاهمون في حيَاتهم اليَوميّة المَألوفة بلاَ تَحقِيق وتَمحِيص.

وهَذا خطَأ وإِشتباه، لأنّ الكَثير من المَرئيات تَبدو لأَعـيُننا عـن بُـعد أصـغر حَجماً وأقصر طُولاً من وَاقعها، وكَذلكَ نَرىٰ المُربع مُدوراً من مكَان بَعيد، وعَليه فلاَ يسوغ القَول أو الحُكم بأَنّ إدراكنا لأَي شيء هو صُورة طِبق الأَصل عنهُ، بل يَجب أنْ نَقف من هذا الإِدراك أو هَذه الصُّورة مَوقف النّاقد والفَاحص فنَنظر: هَل هي من صُلب الواقع قَطعاً أو علىٰ الأَرجح أو مُردّدة بين السّلب والإيجاب حَيث لاَ وسيلَة للتّرجيح، ثُمّ نَصدر الحُكم علىٰ الإِدراك العَقلي والصُّورة الذّهنيّة تَـبعاً لنَتيجة النّقد والتّمحيص، فإنْ إنتهينا إلىٰ التّطع واليَقين بأَنّ هَذِه الصُّورة الذّهـنيّة المَوجودة الآنْ هي طِبق الأَصل عن الوَاقع رتّبنا جَميع آثَاره بلاَ تَردّد حتّىٰ يَثبت العَكس وإلاّ تَوقفنا عن الحُكم. وقَد نَعود إلىٰ هذا المَوضوع لسَببٍ أو لآخر.

المثاليّة:

للمثَاليّة مَعان شتّىٰ، مِنها المثَاليّة الذّاتيّة أو اللاّماديّة، وعِنها نَتحدث في هَذه الفقرة، وخلاَصتها أنّه لاَ وجود لأي شيء في الخَارج إلاّ إذا أَدركـه عَـقل مـن العقُول، ومَا لاَ يَدركه عَقل يَستحيل أنْ يكُون مَوجوداً ـ مَثلاً ـ السّمك موجُود في البَحر لأنّنا نَعلم بذَلك، ولو لَم نَعلم به لَم يُوجد، ومـن أخـصّ خـصَائص هَـذِه

↔ بوجُود المادّة، ولكن تَسندها إلىٰ مَبدأ لاَ ماديّ، وهو الله كمَا يقول المُؤمنون، أو المُسمّىٰ العَقل المُطلق كمَا يقول آخرون، وتَركنا الإِشَارة إلىٰ هَذِه لأنّها تَندرج تَحت الوَاقعيّة، وتَمتزج بهَا.

المثَاليَّة القَولْ بأنّ الرَّوح أصل والمادّة فَرع علىٰ العَكس من الفَلسفَة المَاديَّة القَائلة بأنّ المَادّة أصل والرَّوح فَرع. وسَبقت الإشارة إلىٰ ذَلكَ في الفقره الأُولىٰ من هذا الفَصل.

ويَتلخص دَليل المثاليّين بأنّ مَا مِن أحدٍ يَستطيع إدراك أي شيء مُنفصل عن إدراكه وإحساسه، فكَيف يُؤمن بوجُوده؟. وهَل يُستلهم العِلم من الجَهل أو من مَقدور الإنسَان أنْ يَنفصل عن إحساسه وإنفعاله؟.

وردّ الوَاقعيُون علىٰ هَذِه المثَاليَّة بمَا يَلي:

١ - أنّ تَصور الشّيء والعِلم بِهِ لا يأتي جُزافاً وبلا سَبب، وإنّما هو إنعكاس مُسبب عن الواقع العيَاني المَلمُوس، وهذَا الوَاقع هو الأصل والسّبب، فمَا الّذي جَعل المُسبب سَبباً، والسّبب مُسبباً؟.

٢ - فَرق بَعيد بَين الشّيء المَحسُوس وبَين الإحساس به، فالأوّل عَين من الأعيان الخَارجيَّة المُستقلة عن رُؤية العَين وعَمل الفِكر، والثّاني مَوقف تأمّلي عَقلي وإحساس دَاخلي صِرف، فأينَ هذا من ذَلك؟.

٣ - إذا نَفينا وجُود المادّة قَبل العِلم بهَا فأي شَيء يَبقىٰ للمُكتَشفَات العِلميَّة؟. فنيُوتن لم يَخلق الجَاذبيَة بعِلمه والأطباء لَم يَخترعوا الدّواء، لقَد كان كلّ شيء مَوجوداً من قَبل، والعَقل أكتشفه وأستخدمه في مصَالح الخَلق. إلىٰ غير ذَلك من الرَّدود والنّقوض.

وكَان الفَيلسُوف باركلي من أنصَار المثاليَّة الذّاتيَّة،

موجُوداً فِيها من قَبل ؟.

والفَيلسُوف جونسون من أنصار الواقعيَّة، فقِيل لهَذا: بمَاذا تُفنِّد فَلسفة باركلي القَائلة بعدم وجُود الأَشيَاء الخَارجيَّة ؟. فركل حَجراً برجلِه وقَال: أُفنّدها بهَذا، وكَيف أقبَل فِكرة تَقول: الشَّمس لاَ وجود لهَا إِذا تَورات عن الأَعين، أو أنّ اللّحم الدّفين في الفطِيرة سيَقفز إِلىٰ الوجُود بمُجرد أنْ أفتَحها دون أنْ يكُون.

وبَعد، فنحنُ نَعلم بوجُود هذا الكَون المَحسوس بالعيَان والوجدان، وأيضاً نَعلم عِلم اليَقين أنّه يَنطوي علىٰ أسرَار وآفاق لاَ يَبلغها العَدّ والإِحصاء، وأنّه كلّما بَلغنا مِنها أُفقاً غَابت عنّا آفاق وآفَاق... حتّىٰ أكثر الأَشيَاء وضُوحاً في أفهَامنا تَبطن أسراراً لاَ نَعرف عنها شَيئاً، بل نَجهل الكَثير الكَثير ممّا تَحمله أَروَاحنا وأجسَامنا من آيَات ومُعجزات، وهي التّي أشَار إِلَيه القَائل: «وَفيكَ أنطوىٰ العَالَم الأَكبَر»[1].

أَبَعد هذا هَل يَجرؤ أحد علىٰ القَول بأنّه لاَ عَين ولاَ أثر لمَا يَغرب عن عِلمه أو عِلم مَخلوق مِثله حتّىٰ ولو كَان مثقَال ذرّة في الأَرض ولاَ في السّموات ؟.

---

(١) وَعلىٰ حدّ ما قَال الإمام أمِير المؤمنين عليه السلام. أنّه يَسع كلّ شيء ولاَ يَسعه شيء... أنّه العَالم الأكبر الّذي أشار إِليه الإمام عليّ عليه السلام بقَوله:

وتَحسب أنّك جرمٌ صَغير | وفيك أنطوىٰ العَالم الأكبَر

يُنسب هذا البَيت إلىٰ أمِير المُؤمنين الإمام عَليّ عليه السلام كمَا في الدّيوان المُرتَضوي: ١٤٥، فيض القَدير شَرح الجَامع الصّغير: ٥ / ٤٦٦، جواهر المطَالب في منَاقب الإمام عَليّ بن أبي طالب لابن الدّمشقي: ٢ / ٦٣٦.

وَقولُ الإمام عَليّ عليه السلام و «أنّ الإنسان في بَعض حالاَته يُشارك السّبع الشّداد».

أُنظر، شَرح رسَالة الحقُوق للإمام عليّ بن الحُسين (زين العَابدين) عليه السلام: ٨٤.

حَول العُلوم الإِنسانيَّة

بَين الكَون والطّبيعَة :

تُطلق كَلمة الكَون علىٰ العَالَم بمَا فيه ومَن فِيه من مادّة وطَاقة أو جِسم ورُوح أو الظّاهر منهُ والبَاطن، قُل مَا شِئت، ولاَ تَطلق كَلمة كَائن علىٰ مَا يَدل عَليه ٱسم الجلاَلة لأَنّ كَلمة كَائن تُومي‌ء إِلىٰ حدُوثه.

وتُطلق كَلمة طَبيعة علىٰ السّجيّة والصّفات الذّاتية المُـقابلة للـمُكتسبة، أمّـا العُلوم الطّبيعيَّة فإِنّها تَبحث في المادّة وأحوَالها حيّة كَانت أو جَـامدة، وتُسـمّىٰ أيضاً بالعُلوم التّجريبيَّة، لأَنّ طَريقة البَحث فيها المُلاحظة والإِستقراء والإِختبار.

العُلوم الإِنسانيّة :

العُلوم الطّبيعيَّة يَدل ٱسمها عَـليها لأَنّ مَـوضوعها الطّـبيعَة، وكـذَلك العُـلوم الإِنسانيَّة لأَنّ المُراد بكَلمة إِنسانيَّة مجمُوع خصَائص الجِنس البَشري التّي تُميزه عن سَائر الأحيَاء في الطّبيعَة.

وللعلُوم الإِنسانيَّة أقسَام مِنها عِلم التّأريخ، ويَبحث في الوقَـائع والحـوَادث المَاضيَة، وعِلم النّفس، ومُوضوعه نشَاط النّفس وأحوَالهـا وصـفَاتها الذّاتـية، وعِلم الإِجتماع، ويَتناول الحيَاة الإِجتماعيَّة ومَا تَخضع لهُ من قوَانـين، وعِـلم الأَخلاق، وهُو مجمُوعة من المبَادي‌ء التّي يَنبغي أنْ يَجري السّلوك البَشري علىٰ

مُقتضاهَا، وعِلم الإقتصاد، ويَبحث في إنتاج الثّروة وتَوزيعها وأستهلاكها... إلىٰ غَير ذَلك ممّا يتّصل بحيَاة البَشر كالتّشريع والسّياسَة.

مَنْهج العُلوم الإنسَانيَّة:

كَان في سَالف الأزمان للعُلوم الإنسانيَّة مقَامها الأعلىٰ والأرضي يَوم كَان للقِيم الأخلاقيَّة وزن وشَأن، وكَانت هَذِه الحِكمَة: «أعْرف نَفسك»[1] هي الهَدف والرّسالة لكلّ عَالم ومَعناها ظَاهر ووَاضح، وهو يَجب أنْ تَفهم وتَعرف ما لَك ومَا عَليك لكي تَقف عند حدّك، ولاَ تتجَاوزه إلىٰ غَير حقّك.

ولمّا تقدّمت العُلوم الطّبيعَة، وطَغت المادّة علىٰ كلّ شيء تَخلفت العُلوم الإنسانيّة، وتَزعزع إيمان الأكثريَة الغَالبة بكلّ فضِيلة ومَعرفة إلاّ إذاكَانت مَعمَلية و«شَهيَّة» ومَا عدَاها سُخف وخرَافة... وعلىٰ هذا الأساس قَالت بَعض الفئَات المُعاصرة: يَجب أنْ تَتحرّر العُلوم الإنسانيَّة من النّظريات الفَلسفيَّة، وتَخضع للحسّ والتّجربَة تمَاماً كالعُلوم الطّبيعيَّة.

وهَذا القَول علىٰ عمُومه وإطلاقه بَعيد عن الصّواب، لأنّ طَبيعة موضُوع العِلم هي التّي تُحدّد المَنهج المُلائم لبَحثه ودرَاسته، فالعِلم الطّبيعي يَعتمد علىٰ التّجربَة، والرّياضيَات علىٰ العَقل، والتّأريخ علىٰ النّقل والآثَار، ويُخطيء من يَعتقد أنْ التّجربَة هي الطّريق الوحِيد إلىٰ المَعرفة، أو أنّ النّظر العَقلي الفَلسفي أقل شأنَاً من العِلم المُعملي، قَال رُسل في كتَاب الفَلسفَة بنَظرة عِلميَّة: «لَيست النّتائج التّي تَنتهي إلَيها الفَلسفَة بالمختلفة من حَيث الأسَاس عن النّتائج التّي

(١) أنظر، الجَواهر السَّنيَة للحُر العَاملي: ١١٦، تَفسير السّمعَاني: ١ / ١٤١، تَفسير البَغوي: ١ / ١١٧، المحرّر الوجيز في تَفسير الكتاب العزيز لابن عَطية: ٢٩١، تفسير أبن العَربي: ٢ / ٣٦٠، تَفسِير الثّعالبي: ٥ / ٤١٣، المَبدأ والمعَاد، لصَدر الدّين مُحمّد الشّيرازي: ١٠١.

يَصل إِلَيها العِلم »[١].

ونتَائج العُلوم الإِنسانيَّة مِنها مَا تَنتهي إِلَيه عن طَريق الحسّ والتّجربة كعِلم الإقتصاد، ومِنها مَا نتوصّل إِلَيه عن طَريق العَقل أو الضّمير كالقِيم الإِجتماعيَّة، ومَعنىٰ هذا أنّ العُلوم الإِنسانيَّة تَتقبل الفَلسفَة والعِلم بمَعناه الحَديث، وأنّهما يَعيشان فِيها جنباً إِلىٰ جَنب.

نَقْد الفَلسفَة:

وقَال بَعض المُتأخرين: لَيست الفَلسفَة في شيء من العِلم والمَعرفة، بل هي مُجرد تَفكير وتَأمّل يَخضع لأَهواء الفَيلسُوف ومزَاجه أو لظَرفه وأحدَاث عَصره أو لتَربيته وعَقيدته المَرُوثَة.

الجوَاب:

هَذا اعتراف مِن غَير شعُور بأنّ الذّنب ذَنب الفَيلسُوف لاَ ذَنب الفَلسفَة... فَإِنّ الشّرط الأَوّل والأَساسي في كلّ بَاحث عَالماً كان أم فَيلسوفاً أنْ يَتنزه عن المَيُول والمصَالح الخَاصّة، ويَتخلص من كلّ المُعتقدات والآرَاء السّابقة، ويَقف مَوقف النّاقد والمُمتحن لكلّ مَا يَمر بخَاطره.

هَذا إِلىٰ أنّ كلّ العُلماء والفَلاَسفَة مُعرضون للخَطأ مَهما تَجردوا ودققُوا، فكَم من عَالم مُتمكن ومُتثبت حُكم عَلىٰ البَاطل بأنّه حقّ، وعلىٰ الحقّ بأنّه بَاطل من حَيث يظنّ العَكس، ومن أجل هذا يَحسب العَالِم الرَّاسخ دَائماً حسَاب الخَطأ المحتمل، ويُقرّر أحكَامه علىٰ سَبيل التّقريب لاَ علىٰ سَبيل اليَقين.

---

(١) أُنظر، الفَلسفَة بنَظرة عِلمية تأليف راسل تَرجمة زكي نَجيب مَحمُود.

عُلماء الغَرب والرّيَاء :

يَثق أهل الشّرق أو جلّهم بـعُلماء الغَـرب أكـثَر بكَـثير مـن عُـلماء الشّـرق وفلاَسفته ، لأَنّ أقوَال الغَربيّين وآرَاءهم ـ كمَا يَـزعمُون ـ تَـقوم عـلىٰ التّـجربَة العِلميَّة لاَ علىٰ الحَدس والتّخمِين . . . وعلىٰ هذا الأَساس صدّق العَديد من شبَابنا (دارون) في قَوله : أنّ أصل الإنسَان قِرد لاَ لشيء إلاَّ لمجرد زَعمه هو بأنّ مَنهجه عِلمي ! . وبمرُور الأَيّام ثَبت لكلّ النّاس أنّ في عُلماء الغَرب مُدلسين ومُرائين ، وفِيما يَلي نَعرض ـ علىٰ سَبيل المثَال ـ بَعض أفكار هؤلاَء المُزَيفِين .

في سنَة (١٩٧١ م) مَات عَالِم بريطَاني شَهير ، اَسمه (سيريل بيرت) ، وكَان يَتمتع بقَدر هَائل من الإحترام في كلّ الأَوساط ، وكان يَنشر آراء بَـالغة الأَهـميَّة مُدّعياً أنّها نَتيجة التّجارب والإختبارات ، وبَـعد مَـوته تَـبين أنّـه كـان يَكـذب ويَخدع ، وأنّه نَشر العَديد من المقَالاَت المُزورَة ، ووقّعها باسمَاء وهميَّة لمُؤلفين وبَاحثين لاَ عَين لهُم ولاَ أثر ، يَمدحونه ويَثنون علىٰ جهُوده وصحَة آرَائه ونَظريَاته .

ولَيست هذي هي المرّة الأُولىٰ من عُلماء الغَرب في تَزوير العِلم رَغـبة فـي حبّ الظّهور والشّهرة ، فمُنذ رُبع قرن ألّف (فاينز وكلارك) كتاباً فـي المُـزورين والدّجّالين من عُلماء الغَرب ، وقَد شَهدت السّنوات الأَخيرة اَكـتشَافات قَـلبت الآراء السّائدة حول أصل الإنسَان وأنّه قِرد ، وكَـثير مـن العُـلماء الآنْ يُـعيدون تَقديراتهم السّابقة حَول عِلاَقة القَرابة بَين الإنسَان والقَردة العُليا[١] .

قوىٰ الشّر والعُلوم الإنسانيّة :

دَأبنا في كلّ أو جلّ ما نَكتب أنْ نُشير بأدنىٰ مُناسبة إلىٰ وحشيَّة الحضَارة في

---

(١) مِن مقَال مُطول بعنوَان مَاذا يَحدث في عُلوم الإنسَان والمُجتمع ، نَشرتهُ مجلّة عَالم الفِكر الكُويتيّة في العَدد الأَوّل من المُجلّد الثّامن .

هَذا العَصر وٱفتراسها حقُوق الإنسَان وٱمتصاصها دمَاء الشّعوب وٱغتصابها الأقوَات والثّروات بكلّ وَسيلة وسَبيل، إيماناً منّا وإيقاناً، بأنّ الإسلام في جَوهره الصّافي يَربط الدّين بالحيَاة، ويَمدها بكلّ قوّة، ويَذب عنها بكلّ سلاَح، ويُحتم علىٰ كلّ من قَال: لاَ إِله إلاّ الله، ومُحَمَّد رسُول الله أنْ يُجاهد في هَذه السّبيل بكلّ ما يَملك، ولاَ يَخشىٰ في الحقّ لَومة لاَئم، بخاصّة المُسلم الصّالح، وبوجه أخصّ من ظَهر أمَام النّاس بجُبّته وعمَامَته.

وفِيما تقدّم من صفحَات هذا الكتَاب ذَكرنا ـ لبَعض المُناسبَات ـ أنّ قوىٰ الشّر في هذا العَصر ٱتّجهت بالعُلوم الطّبيعيَّة إلىٰ أسلحَة الفنَاء والإبادة، والآنْ، ونحنُ نَتكلم عن العُلوم الإنسانيَّة التّي تَهدف بطَبيعتها إلىٰ خدمَة الإنسَان ومَصلحته، نُشير: كَيف صَرفت قوىٰ الشّر هَذه العُلوم عن طَبيعتها، وٱنحرفت بها إلىٰ صيَاغة الإنسَان المُعاصر صيَاغة مُلائمة لأَطماعها وأهدَافها.

لقد ٱستغل طُغاة الإحتكار والإستعمار في هذا العَصر العُلوم الإنسانيَّة وثمَارها في التّمكين لأجهزة الدّعاية المُضللة ومنَاهج التّعليم لخُلق المواطن المُطيع للسّيطرة الإستغلالية... وأيضاً تُستغل هَذِه الثّمار والنّتائج في مُمارسة الإرهاب والتّعذيب الوحشي وٱكتشاف أقصر الطّرق لإلغاء إرادة الأشخاص المُعادين للأنظمة الجَائرة، ولم تُعد الأشكال الإنتقامية في القُرون الوسطىٰ إلاّ لُعبة من لُعب الأَطفال بالقِياس إلىٰ العِلم المُنظم الّذي يَنقل النّاس من عَقيدَة إلىٰ عَقيدَة ومن مَوقف إلىٰ مَوقف.

وقَد شَاع وذَاع أنّ الولاَيات المُتحدة تُسخر عدَداً كَبيراً من العُلماء المُتخصصين بالعُلوم الإنسانيَّة بشَكل وَاضح وعلىٰ نطَاق واسع، وتُجندهم لدرَاسة القبَائل وكلّ بلاَد العَالَم، وتَستعملهم في خدمَة أهدافها، وتُحلق العَديد

منهُم بالُمخابرات العَسكرية وبالسّفارات[١].

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ :

وخَير مَا نَختم به هذا الفَصل كَلمة طَيبة من مقَال للدّكتور عَبدالعَـزيز كَـامل بعنوَان النّبي والعِلم، نَشرته مجلّة الهلاَل المَصريَّة في العَدد العَاشر مـن سَـنتها الـ (٨٠)، ونَذكر نصّ الدّكتور المُسلم عبد العَزيز بين قَوسَين (...) ومَا عدَاه فهُو مِن قَلمنا لُمجرد التّوضِيح.

قَال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[٢]. ولنَقف قَليلاً عِند هذا الأَمر القرآني الأَوّل لنَرىٰ فِيه بَعض تَوجيهات الله لنَا في طَلب العِلم. سوَاء أكَان من العُلوم الطّبيعيَّة أم الإِنسانيَّة أم الرّياضيَّة.

« وإنّ أكبر تَكريم للعِلم هو الأَمر الأَوّل الَّذي أنزله الله علىٰ رسُـوله ». ذَهب أكثَر المُفسرين والعُلماء والرّواة إلىٰ أنّ أوّل مَا نَزل علىٰ رسُـول الله ﷺ. ﴿اقْـرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾[٣]... ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٤]. وعَليه يكُون الوَاجب الأَوّل في الإِسلام هو العِلم، ثُمّ الإِيمان والعَمل، ولاَ فَضيلَة أسمىٰ من هَذِه وأَعظم.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾. ونَحنُ في حيَاتنا نَرىٰ أنوَاعاً كَثيرة من القرَاءة، فَقد تكُون

---

(١) كتَاب المُخابرات الأَمركيّة، نَشرته مجلّة الحوَادث البَيروتيّة في أعـدَاد مُـتتابعة سـنَة (١٩٧٧م)، ومجلّة الكَاتب المَصريّة العَدد (١٠١) من السّنة التّاسعة، ومجلّة عَالم الفِكر الكُويتيّة العَدد الأَوّل من المُجلّد الثّامن.

(٢) العَلق: ١.

(٣) العَلق: ١.

(٤) العَلق: ٣ ـ ٥.

القرَاءة بأسم التّسلط والهَوىٰ والشّهوة والإستعلاء الكَاذب، قرَاءة الدّول الإستعماريَّة، ومَا عندهَا من عِلم وضَعته في خِدمة عدوَانها الإستعاري، قرَاءة الإستعمار الأَمريكي في أرْضِ (فيتنام)، وقرَاءة إسرائيل في (فلسطين) والأَرض العَربيَّة السّليبَة، كلّ أُولئك عِلم وقرَاءة، ولكنّها لَيست بأسم الله، ويَبدو من ذَلك ضَرورة رَبط العِلم في الإسلام بهَدفه الأَخلاقي، أنْ يكُون بأسم الله، وأنْ يكُون في خدمَة الإنسَان، بل لَو تَعمقنا في هذا الأَمر الأَوّل (أي اقرَأ) لوجَدنا فِيه عُمقاً عَميقاً في قَول الله بأسم ربّك، ولَم يَقُل بأسم الله، لأَنّ لَفظ ربّ يَدل علىٰ التّربيَة والرَّعايَة).

ولمَاذا أوجَب الإسلام العِلم أوَّلاً وقَبل الإيمان والعَمل؟. لأَنّه لاَ خَير في أي دِين أو مَبدأ أو عَمل يأبَاه العِلم والعَقل، وأيضاً لاَ خَير في عِلم يأبَاه ويَلعنه العَقل والضّمير والإنسانيَّة جَمعَاء.

وختَاماً فَإنّ الدّين الَّذي يَحث علىٰ طَلب العِلم، ويَعتبره الأَوّل والأَساس لاَ يَطلب منهُ الدّليل علىٰ صِدقه وصِحته، لأَنّه يَحمل هذا الدّليل في صُلب تَكوينه وطَبيعَته.

فَلسفَة الآخرَة وجمَال الدّين الأَفغَاني

تَحدث العُلماء والفَلاَسفَة عن الآخرَة قَديماً وحَـديثاً، ووضـعُوا فـيها وفـي إثباتها الكُتب الطّوال والقصَار ومَا بَين ذَلكَ... وشَاركتهُم بنَصيب، ولله الحَـمد، وأعتَقد جَازماً أنّ ما كَتبه حَكيم الشّرق السّيد جمَال الدّين الأَفغاني في هذا البَاب ـعَلىٰ إيجازه ـ هو أعظَم نَفعاً وأقوىٰ تأثـيراً فـي القـلُوب والعـقُول مـمّا كـتب الفَلاَسفَة والعُلماء مُجتمعِين... ولاَ أرىٰ عـملاً أنـتفعُ بـه فـي مَـوقف العَـرض والحسَاب ومَوضع الثّواب والعقَاب، خيراً وأفضل من المُساهمة في نَشر مَا قالهُ هذا العَظيم وأذَاعه. قَال فَقيد الدّين والإِنسانيَّة:

«الإِعتقَاد بأنّ الإِنسَان إنّما ورد في هَذِه الحيَاة الدّنيا لإِستحصال كمَال يُهيئه للعُروج إلىٰ عَالم أرفع وأوسع من هذا العَالَم الدّنيوي، والإِنتقال مـن دَار ضَـيقة السّاحات، كَثيرة المَكروهات، جَديرة أنْ تُسمّىٰ بَيت الأحزان وإِقرار الآلاَم إلىٰ دَار فَسيحة السّاحات خَالية من المُؤلمات، لاَ تنقضي سعَادتها، ولاَ تَنتهي مُدّتها».

«فَهذه العَقيدَة أعظم صَارف للإِنسَان عن الوحُوش المُـفترسة فـي مَـعيشتها والثّيران البَريّة في حَالتها، والهوَام التّي لاَ تَستطيع دفع مَـضرة ولاَ الوقـايَة مـن عَادية، ولاَ تَهتَدي طريقاً لحفظ حيَاتها، وتَقضي آجالها في دَهشة الفزع ووحشَة الإِنفراد، هَذه العَقيدَة أشد زَاجراً لأبنَاء الإِنسَان عن التّـقاطع المـؤدي لإِفـتراس بعضهُم كما يَقع بين الأُسوَد الكَاسرة، والوحُوش الضّارية، والكـلاَب العَـاقرَة،

وأشد مَانع يَدفع صَاحبها عن مشاكلة الحيوَانات في خسَائس الصّفات».

« وهَذه العَقيدَة أحجىٰ حَاد للفِكر في حَركاته، وأنجح دَاع للعَقل في إستعمال قوّته، وأقوىٰ فَاعل في تَهذيب النّفوس، وتَطهيرها من دنس الرَّذائل، وإنْ شِئت فَارم بنَظر العَقل إلىٰ قوم لاَ يَعتقدون بالبَعث: كَيف لاَ يتسَابقون إلىٰ شرَائف الأُمور وفضَائل الصّفات... أنّ من مُقتضيات الجزم بأنّ الإنسَان ما وَرد هذا العَالَم إلاَّ ليَتزود منهُ كمالاً يَعرج به إلىٰ عَالم أرفع، ويَرتحل به إلىٰ دار أوسع، وجنّات أمرع إنْ أُشربت هَذه العَقيدَة قَلبه يَنبعث بحِكمتها، ويَنساق بحَاديها للإضاءة بالعُلوم الحقّة والمعَارف الصّافية، ويَنصرف همّه إلىٰ الخَير وتَهذيب نَفسه وتَطيرها من دَنس الرَّذائل، وينَاله التّقصير في تَقويم مَلكاته النّفسية، ويَنزع لكَسب المَال من الوجُوه المَشروعة مُتنكباً عن طَريق الخيَانة، ووسَائل الكَذب والحيلَة، مُعرضاً عن أبواب الرَّشوة، مُترفعاً عن المَلق الكَلبي، والخدَاع الثّعلبي، ثُمّ يُنفق مَاكَسب في الوجه الّذي يَليق وعَلىٰ الوجه الّذي يَنبغي، ولاَ يأتي فيه باطلاً، ولاَ يَغفل حقّاً عامّاً أو خاصّاً».

«إنّ هذا الإعتقَاد أشدّ رُكن لقوَام الهَيئة الإجتماعيَّة التّي لاَ عمَاد لهَا إلاَّ مَعرفة كلّ ذي حقّ حقّه وحقُوق الآخرين عَليه، والقِيام علىٰ صرَاط العَدل المُستقيم، وهَذا الإعتقَاد أنجح الذّرائع لتَوثيق الرَّوابط بين الأُمم، إذ لاَ عَقد لهَا إلاَّ مُراعَاة الصّدق، والخضُوع لسُلطان العَدل في الوقوف عِند حدُود المُعاملات، هذا الإعتقَاد نَفحة من روح الرَّحمة الأزلية، تَهب علىٰ القُلوب ببَرد الهدُوء والمُسالمة، فإنّ المُسالمة ثَمرة العَدل والمَحبّة، وهُما زهر الأخلاق والسّجايَا الحَسنة... كلّ ذَلكَ وغير ذَلكَ من الفضَائل هو من ثمَار العَقيدَة باليَوم الآخر»[1].

---

(١) هَذا النّص مُقتبس من رسَالة الرَّد علىٰ الدّهريّين للسَّيد المُفكّر المُصلح، ومَنشور في مجلّة العَربي

أنّ قَائل هَذِه الكَلمة هو العدو الأوّل للظُلم والبَاطل وهو الَّذي رَكل بحذَائه مَنصب الصّدر الأعظم في بَلده أفغانستان وقَال لبريطانيَا حِين عرضت أنْ تُعينه سُلطاناً علىٰ السّودان: «هَل تَملكين السّودان حتَّىٰ تَبعثي إلَيه بسُلطان؟... أنّ تَخوف بريطَانيا من أعزل مِثلي لدَليل علىٰ ضَعف شوكتها، وإنّها في الحَقيقة أضعَف من الشّعوب التّي تَستذلها».

وهُنا سؤال يَطرح نَفسه، وهو لَقد رأينا شعُوباً لاَ تؤمن باليَوم الآخر، علماً بأنّها أرقىٰ وأكثَر حضَارة من بَعض الشّعوب التّي تُؤمن به علىٰ عَكس ما قَال السّيد الأفغاني؟.

الجوَاب:

أنّ ما ذَكر السّيد من آثار الإيمان باليَوم الآخر وثمَاره هو بنَفسه يَدل علىٰ أنّ مُراده بالإيمان عَين مَا أراده الإمام أمِير المُؤمنِينعليه السلام بقَوله: «« فَبالإيمَانِ يُستدلُّ علىٰ الصَّالحَات، وبالصَّالحات يُستَدلُّ علىٰ الإيمان، وبالإيمَان يُعمَرُ العِلمُ، وبالعِلم يُرهَبُ المَوتُ، وبالمَوت تُختمُ الدُّنيا، وبالدُّنيَا تُحرزُ الآخرةُ، وَبالقيامَة تُزلَفُ الجَنَّةُ، وَتُبرَّزُ الجَحيمُ للغَاوين، وإنَّ الخَلقَ لاَ مَقصر لهُم عَن القيامَة مُرقلِين في مضمَارهَا إلىٰ الغَايَة القُصوَىٰ»[1]. ومَعنىٰ هذا أنّ العَمل الصّالح امتدَاد للإيمان، وأنّ الإيمان مَصدر العَمل الصّالح، وأنّ مَن يدّعي الإيمان ولاَ يَعمل فهُو إمّا جَاهل بجَهله، وإمّا مُخادع كذّاب.

وبَعد، فإنّ الإيمان الحقّ باليوم الآخر هو المَدد الَّذي لاَ يَنضب مَعينه لكلّ مَكرمة وفَضيلة، والرّابط الوثِيق بَين الله والإنسَان، ومَن لاَ يُؤمن بِهِ فَقد قَطع كلّ

↔ الكُويتيّة العَدد (٢٢٢) بعنوان أثر العقَائد الدّينيّة في تَقدّم البَشريّة.

(١) أُنظر، نَهج البَلاَغة: من كَلام لهُعليه السلام لأهل البَصرة رَقم (١٥٦).

الصّلات والعلاَقات بَينه وبَين خالقه، وإذا عَمل الخَير لوجه الخَير والإنسانيَّة فهُو أجِير مَأجور، ما في ذَلكَ رَيب، لقَوله سُبحانه: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾[1]. ولَكن الأَجير المَأجور شيء، والقَريب من الله شيء آخر. وهَل كلّ من يَعمل لكَ بأجرٍ هو قَريب منك وحَبيب؟.

(١) الرَّحمن: ٦٠.

فَلسفَة الإلحاد في العَصر الرّاهن

كَان النَاس أمّة وَاحدة:

هُناك نَظرية تَقول: أنّ الطّفل مُنذ سنّ مُبكرة يَعي ويُؤمن فطرياً وآلياً بوجُود قوّة عُليا يَلجأ إلَيها للحمَاية وهو يَحترمها ويَعبدها بطَريقة غَريزيّة، ولكن النّظرية الأكثر شيُوعاً تَقول: أنّ الإنسَان يُولد لاَ مُتديناً ولاَ مُلحداً، وكلّ مَا يَملكه مِن شيء هو الإستعداد لذَا وذَاك، وإنّه يَتكيف تبعَاً لتَربيته وبِيئته. وإلىٰ هـذَا تُشير الآيَة: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً - لا ضالين ولا مهتدين - فَٱخْتَلَفُواْ﴾[1]. ومَا أكثر الخلاَفات والحمَاقات! فَبعث الله النّبيّين ليَحكموا بَين النّاس فِيما ٱختلفوا فيه، ورَوىٰ صَاحب مَجمع البَيان هذا المَعنىٰ عن أهل البَيت عليهم السلام في تَفسِير الآيَة: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

أجَل، لاَ عُذر لذي وَعي وعَقل في كُفره بالخَالق وجحُوده حـتّىٰ ولو جَـهل دَعوة الأنبياء مَا دام لله في كلّ شيء من أشيَاء الكون آية تَنطق بوجُوده وعَظمته. فَقد نَقل نَاقل عن كتَاب «بَحث عن العَـقل الإنسـاني» للـفَيلسوف الإنـجلِيزي

---

(١) يُونُس: ١٩.

(٢) البَقرة: ٢١٢.

(جون لوك) مَا يَلي :

«إنْ كَان الله لَم يُعطنا أفكَاراً فطرية عن ذَاته، ولَم يَطبع حرُوفاً أصيلَة في عقُولنا نَستطيع بها أنْ نَقرأ وجُوده، فإنّه بمَا أودَعه في عقُولنا من مَلكات لم يَجعل وجُوده بلاَ شيء يَشهد لهُ، لأَنّ لنَا الإحساس والإدراك والعَقل، فلاَ نَحتاج إلىٰ بُرهان واضح علىٰ وجُوده ما دمنَا نَحمل ذَاتنا مَعنا، ولاَ نحنُ نَستطيع أنْ نَشكو مِن جَهلنا في هَذه النّقطة، لأَنّ لنَا من كَثرة الوسَائل لمَعرفته بقَدر ما يَلزم للغَاية من وجُودنا».

أسبَاب الإلحَاد :

وقَد يَسأل سَائل: إذا كَانت الدّلائل والآيَات البَينات علىٰ وجُود الله سُبحانه بهَذه الكَثرة الكَاثرة مع الوضُوح والظّهور فكَيف انتشر الإلحاد في كلّ عَصر ومَصر؟.

الجوَاب :

١ ـ أنّ مُجرد ظهُور الدّلائل أمَام الأَعين لاَ يُجدي شيئاً إذا كَانت القلُوب والعقُول مُنصرفة عنها، قَال بَعض الفَلاَسفَة: «طَالما حَدث لي أنْ أتلَفتُ في كلّ نَاحية لآخذ منظَاري وهو أمَام عَيني، وهَذه حَقيقة كَثيراً مَا تَحدث للفلاَسفة، فلَيس في مُستطاعنا إذن القَول عن شخص أنّه يُدرك هذا الشّيء لُمجرد أنّه يَنظر إلَيه ببَصرَه».

فالمُهم الإنتباه والتّفكير، القَلب والعَقل، ولَيس العَين وحدهَا... وأكثر الجَاحدين أو الكَثير منهُم في شُغل شَاغل بعيَشهم عن النّظر إلىٰ الكَون وعجَائبه ونظَامه، ثُمّ الإستنتَاج السّليم ممّا يَرون ويُشاهدون. ومن هُنا قَال سُبحانه أكثَر من

مرّة: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[1]؟. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2]؟

٢ ـ أنّ بَعض المُلحدين يَتعمدون مُحاربة الإيمان بالله لاَ لشَيء إلاّ لأنّ آسمه دِين!.

٣ ـ قَال آينشتين: «أشدّ الأُمور غمُوضاً في الكَون أنّه غَير غَامض». ولعلّه أراد أنّ كلّ شيء في الكَون فنّي وعِلمي بتَنسيقه وتَنظيمه وأحكامه، وهذا ظَاهر للعيَان، ولاَ يُنكره جَاحد مَهما بَلغ به العنَاد، أمّا الغمُوض فسّره أنّ خالق العَالَم لَيس كمِثله شيء، يَرىٰ ولاَ يُرىٰ إلاّ بخَلقه وآثاره.

٤ ـ إقبال الشّباب علىٰ كلّ دعوَة وفَلسفة تَقول: لمَاذا الدّين والثّواب؟. ولمَاذا الإنسانيّة والقِيم الرّوحية؟. فَعلىٰ الإنسَان أنْ يَتحرّر من كلّ قِيمة وقَيد، وأنْ يَعمل لنَفسه في هَذه الحيَاة، فإنّها كلّ الحيَاة، وأهم المَذاهب الفَلسفيّة في العَصر الرّاهن وأكثرهَا شيُوعاً وآتّباعاً تَهدف إلىٰ هَذِه الغَاية، وهي أربعَة: (الوضعيّة المَنطقيّة، والبرَاجماتيّة، والوجوديّة، والمَاديّة الجَدليّة)، وإذا آختَلفَت هَذه المَذاهب في جَانب أو أكثر، فإنّها جَميعاً تَهدف إلىٰ شيء واحد، وهي أنْ تَجعل الدّنيا هي الأُولىٰ والأَخيرَة.

وفي الصّفحات الآتيَة نَتكلم عن كلّ مَذهب من هَذه المَذاهب في فَصل مُستقل، ونُحاول جهدنا أنْ نَعرض أمَام القَاريء صُورة واضحة عَنه، ثُمّ نُعقّب عَليه بمَا نَرىٰ، وبخَاصّة فيما لاَ يَلتئم ويَنسجم مع الإسلاِم ومَبادئه.

---

(١) الأنعَام: ٥٠.

(٢) البَقرة: ٤٤.



الوَضعيَّة المَنطقيَّة

مَعنَاهَا :

المُراد بالوَضعيَّة المَنطقيَّة هُنا التَّجربَة العِلميَّة ، وهي تتَّخذ من شهَادة الحوَاس وحدَها طريقاً للعِلم والمَعرفة ومعياراً للحقّ والحَقيقَة ، وتُنكر وجود العَقل بالمَعنىٰ الَّذي نَعرفه في مقَابل مَن يتَّخذون من العَقل وحدَه أدَاة ووسيلَة للعِلم والمَعرفة ، ولاَ يَثقون بالحوَاس كطَريق إلىٰ المَعرفة الصَّحيحَة .

وتَحجر هَذه الوضعيَّة علىٰ الفَلسفَة أنْ تَتحدث عن الكَون أو الإنسَان ، وتُعطي عنهُ نَظرة شاملَة ، أو تُعبّر عن رَأيها في أي شيء من أشيَاء الطّبيعيَّات أو الإنسانيَّات ، وتَحصر مهمّة الفَلسفَة بتَحليل الكلاَم تَحليلاً يُميز بَين ماله مَعنىٰ ومضمُون ، وبَين ما هو فَارغ عن المَعنىٰ والُمحتوىٰ بالرّجوع إلىٰ الخِبرَة الحسيَّة ، ويَأتي التّوضِيح .

أقسَام القَضيَة :

تَبدأ الوَضعيَّة المَنطقيَّة بقضيَّة قَبلية لاَ أصل لهَا ولاَ أسَاس ، وهي أنّ المادّة هي المَوجود الوحِيد ، وعَليه فكَلمة عَقل ورُوح وآخرة وخَير وشرّ ، كلّ ذلكَ ومَا إلَيه كلاَم فارغ من المَعنىٰ والجَدوىٰ تماماً مِثل كَلمة غُول وعَنقاء والمُربع المُدور .

ويُقسّم الوضعيُون القَضيَّة إلىٰ ثلاَثة أقسَام ، مِنها قضيَّة الكلاَم الفَارغ :

١ ـ القَضيَّة الرِّياضيَّة وهي التي يكُون المَحمول فِيها عَين المَوضوع بحَيث يُصدقها السّامع بمُجرد النّطق بهَا من غَير شَاهد من خَارجها كقَولنا: الاِثنان عَدد زَوجي لاَ فَردي، أو يُكذبها كقَولنا: الاِثنان عَدد فَردي لاَ زَوجي، وتُسمّىٰ هَذه القَضيَّة تَحليليَّة.

٢ ـ القَضيَّة الطّبيعيَّة وهي لاَ تَدل بنَفسها علىٰ صِدقها أو كِذبها، لأَنّ المَوضوع فِيها غَير المحمُول، ولَكن السّامع يَستطيع أنْ يَتحقق ويَتثبت: هَل هي صَادقة أو كَاذبة بمعُونة الحسّ والتّجربَة كقَولنا: الحَديد يَتمدد بالحرَارة. فهَذه جُملة صَادقة بالمُلاَحظة والمُشاهدة، وعِندما نقُول: الحَديد لاَ يَتمدد بالحرَارة. فيُعد هذا القول كَاذباً لأَنّه خلاَف الواقع المَحسوس، وتسمّىٰ هَذِه القَضيَّة تَركيبيَّة.

٣ ـ القَضيَّة الفَارغة من المَعنىٰ وهي التّي لاَ تَحمل في صُلبها صِدقها أو كِذبها كما هو شَأن القَضيَّة الرِّياضيَّة، وأيضاً لاَ يُمكن اَمتحانها واَختبارها بالمُشاهدة أو التّجربَة كالقَضيَّة الطّبيعيَّة حيث لاَ عَين ولاَ أثر لمَدلولها في الخَارج مثل العَقل يُدرك والرَّوح تَشعر، فهل من أحدٍ رأىٰ شَيئاً اَسمه عَقل أو رُوح؟.

والفَرق بَين الكلاَم الكَاذب والكلاَم الفَارغ ـ مَا زَال الحَديث للوضعيِّين ـ أنّ الأوّل يُمكن أنْ يكُون صَادقاً بموَافقة الوَاقع، أمّا الثّاني فلاَ واقع لهُ علىٰ الإِطلاق، فكَيف

يُوصف بصدق أو بكَذب ؟. وإذن هو كـلاَم فَـارغ. وبـتعبِير آخر أنّ التّقابل بين الصّدق والكَـذب تـماماً كـالتّقابل بَـين الأَعمىٰ والبَصير، فلاَ يُقال هذا أعمىٰ إلاَّ لمَن شَأنه أنْ يكُون بصِيراً، أمّا الحَجر ـ مثلاً ـ فلاَ يـتّصف بـالعَمىٰ، وإنْ وصـفهُ واصف بذَلك فكلاَمه لغو وعَبث، وهَكذا كَلمة عَقل ونَـفس وخلُود ومَا أشبه في الوَضعيَّة المَنطقيَّة.

مُلاَحظَات:

ويُلاَحظ علىٰ الوَضعيَّة والوَضعيِّين:

١ ـ مِن البدَاهة بمكَان أنَّه لاَ يسوغ لعَـاقل عـلىٰ وجـه الأَرض أنْ يُثبت شَيئاً أو يَنفيه بلسَان جَازم حَازم إلاَّ بدَليل، أمّا أنْ يُثبت أو يَنفي بلاَ دَليل ومَعرفة فهذا النّفي أو الإثبات هو الكلاَم الفَارغ... والمَعرفة لاَ تَخلو مـن أحـد فَـرضَين: حسّيّة أو عَقليَّة تَبعاً لطَبيعة المَوضوع، فإنْ كان مِـن النّـوع الظّاهر المَحسوس اعتمدنا في إثباته علىٰ المَعرفة الحسيَّة، وَإنْ يَك كامناً ورَاء الحسّ، ولاَ أثر نَـعرفه لهُ فـلاَ نَـنفيه ولاَ نُثبته، وإنْ ظَهرت آثَاره للحوَاس والعَيان انتقل العَقل مِـنها إلىٰ وجُود المؤثّر تمَاماً كمَا انتقل (نيُوتن من سُقوط التُفاحَة علىٰ الأَرض إلىٰ وجُود الجَاذبيَّة).

فالدّليل الّذي نَعتمد عَليه في إثبات مَا غَاب عـن الحسّ هو فِعله وآثَاره، وبهذا صَرّح العَديد من العُلماء والفَلاَسفَة، ومنهُم علىٰ سَبيل المثَال آينشتين الّذي قَال: «هُـناك عَـالم

مَوضوعي وحَقيقي ورَاء الحوَاس »[١] وفي كـتَاب المَـنطق للدّكتور جَميل صليبا أنّ جوفروا قَال: « أبَـداً لاَ نُسـلم بأنّ الحَقيقَة مَحصورة فيَما يَقع تَحت الحواس من حوَادث »[٢].

٢ ـ أنّ الإنسَان يَحمل في أعمَاقه العَـديد مـن المـعَاني والغَرائز، ولاَ أحد يَجرؤ علىٰ أنكَارها، لأَنّ أفعَالها وآثَارها ظَاهرة في كلّ مجَال من مجَالات الحيَاة ومِنها قفزة الإنسَان من الأَرض إلىٰ القَمر مع العِلم بأنّ الغَرائز والمَلكات لاَ تَـقع تَحت الحواس، ولاَ تُكتَشف بأيّـة وسِـيلة حـتّىٰ بـالتّحليل والَمجهر.

٣ ـ أنّ هَذِه الجُملة: « إذا لَـم تكُـن القَـضيَّة ريَـاضيَّة أو طَبيعيَّة فهي كلاَم فَارغ ». التّي قَالها أنصَار الوَضعيَّة المَنطقيَّة لَيست ريَاضيَّة ولاَ طَبيعيَّة، وإذن هي كلاَم فَارغ.

أرَأيت إلىٰ هـــذا التّــهافت والتّـناقض مـن الوَضـعيِّين المُتجسد في التّحذير من الكلاَم الفَارغ بكلاَم فَارغ، عَـلىٰ مَبدئهم ومَنطقهم؟.

الوَضعيُون والقِيم الأخلاَقيّة:

وقَال أنصَار الوَضعيَّة: أنّ العبَارات الأَخلاقيَّة لاَ تَحكي عن شيء مَوجود في الخَارج، بل هي مُجرد إنشاء يُقال بصِيغة أفعل أو لاَ تَفعل، وأي كـلاَم لَـيس لهُ مَدلول محسُوس في الخَارج كالقضيَّة الطّبيعيَّة، أو دلّ علىٰ نَفسه بنَفسه كالقضيَّة

---

(١) مِن مقَال بعنوان (ماخ وآينشتين)، نَشرته مجلّة عَالم الفِكر الكُويتيّة في العَدد الثّاني من المُجلّد الثّاني.

(٢) أُنظر: كتَاب المَنطق للدّكتور جَميل صليبا: ٣٥٩.

الرَّياضيَّة فهو كلاَم فَارغ، وبكَلمة أنّ القِيم مُجرد أمان ورغبَات إنسانيَّة، ولاَ شَأن لهَا بعِلم أو فَلسفَة!.

الجوَاب:

أنّ القِيم الأخلاقيَّة تَعلِيم وتُوجِيه إلىٰ حيَاة أفضَل، فإذاكان هذا التّوجيه كلاَماً فَارغ فَعلينا أنْ نَرفض دعوَة الأَنبيَاء والمُفكرين والمُصلحين، وأنْ نَهدم المَدارس والمَسارح والجَامعات، ونُلغي جَميع الشّرائع والإِرشَادات، ونَعيش في الغَاب والمغَاور مع الوحُوش والطّيور الكوَاسر. وهذا بالفِعل هو الكلاَم الفَارغ.

فلسَفَة التّحلِيل:

وأيضَاً حجَّر الوضعيُون علىٰ الفَلسفَة أنْ تَحل أيّة مشكلة أو تَكشف عن أيّة حَقيقة، لأنّها تَتعدىٰ الحواس إلىٰ ما ورَاءها، ولاَ شيء ورَاءها إلاَّ مَضغ الهوَاء ـ كمَا يَزعمون ـ وإذا سَألهُم سَائل: ومَاذا نَصنع بهَذه الصّفحات المُسهبة في مجلّدات الفَلسفَة؟.

أجَابوه: إلقها طعَاماً للنّار.

وإنْ قَال لهُم: هَل عندكُم من بَديل؟.

قَالوا: أجل، عِندنا فَلسفة التّوضيح والتّحلِيل.

وخُلاَصة هَذِه الفَلسفَة أنّها تقُول للفَيلسوف: أيّاك أنْ تَتفلسف، لأَنّ الفَلسفَة لَيست مَيداناً للعَقل والفِكر والتّأمل.. أبداً لاَ يحقّ لكَ أنْ تَشك وتَنتقد وتُبدي رَأيك في أي شيء، بل عَليك أنْ تَقف مَوقف الحيَاد من كلّ شَيء!. وإذا قَال الفَيلسُوف للوضعيّين المنطقيّين: وإذن فمَاذا أصنَع وأنا مُثقل بهذه القيُود؟.

قَالوا له: تُحللّ وتُوضّح معَاني الأَلفاظ والمُصطلحات التّي يَستعملها عُلماء الرّياضَة مِثل نُقطة وضِلع ومُستوىٰ.. وعُلماء الطّبيعة مِثل ذرّة ومَوجة وألكترون...

أجل لاَ بأس أنْ تُفسّر أيضاً العبَارات التّي يقُولها النّاس في حيَاتهم اليَوميّة.

هَذي هي فَلسفَة التّحليل عِند الوَضعيِّين المَنطقيِّين، تُترجم كَلمة إلىٰ كَلمة أُخرىٰ مُساوية لهَا في المَعنىٰ، شَأنها في ذَلكَ شَأن المَعاجم اللّغوية.. وحَاول زَكي نَجيب أنْ يَخلق لهَا آمتيازاً وفَضيلة علىٰ القوَاميس والمَعاجم، فقَال في كتَاب خرَافة المِيتافيزيقَا: «لَيس المُراد بالتّحليل التّرجمة من لُغة العبَارة الأُولىٰ إلىٰ لُغة العبَارة الثّانية، بل لاَ بُدّ أنْ تَجيء الثّانيَة أكثَر إبرازاً للعنَاصر التّي تَنطوي عَليها العبَارة الأُولىٰ»[1].

وهَذا آعتراف صَريح بأنّ التّحليل مُعجم فَلسفي تمَاماً كقَاموس اللُّغة، ولاَ فَرق إلاَّ في زيَادة الشّرح والتّوضيح... وهَكذا خَرج الدّكتور من بَاب القَاموس، وتَسرب إلَيه من النّافذة.

والعَجيب الغَريب في فلاَسفَة التّحليل أنّهم يُنكرون الفَلسفَة بالفَلسفَة، ويَذهلون عن هَذه الحَقيقَة: «مَن أنكَر الفَلسفَة فَقد تَفلسَف»!. وأعتَذر أحدهُم بقَوله: أنّ الفَلاَسفَة وعُلماء الدّين والأَخلاق يُخطئون في بَعض مَا يَرون، لأَنّهم يَتجاوزون إلىٰ مَا ورَاءه، وتَحفظاً من الخَطأ والإِشتبَاه حَصرنا طَريق المَعرفَة بالمُشاهدة والتّجربَة، وعَزلنا الفَلسفَة عن العَقل الخَالص، وأخضعنَاها للتّحلِيل العِلمي الحسّي.

الجوَاب:

أيضاً عُلماء الطّبيعة يَخطئون في تجَاربهم الحسيّة لاَ لشَيء إلاَّ لأَنّهم بَشر تمَاماً كعُلماء الدّين والأخلاق، وما أكثَر الأمثلَة علىٰ ذَلكَ، ومِنها أنّ المادّة كَانت في نَظرهم صُلبة مُتماسكة، وآتّفقوا الآنْ قولاً واحداً علىٰ أنّها مَجمُوعة من ذرّات

---

(١) أنظر، كتَاب خرَافة المِيتافيزيقَا لزَكي نَجيب مَحمُود: ١٤٧.

وكهَارب سَالبة ومُوجبة، ومِنها أنّهم ثَاروا علىٰ النّظريّة النّسـبيَّة، ثُـمّ أصـبَحت عندهُم قُدس الأَقداس. قَال (جون هرمان):

«لاَ يدّعي الأُسلوب العِلمي (أي الحسّ والتّجربَة) العِصمة من الخَطأ، بَل هو أبرَز ما يَتميز بِهِ عن الأساليب الأُخرىٰ، وهذا يُفسّر تَقدم العِلم، إذ من الوَاضح أنّ تَقدّمه لَم يكُن مُمكناً لو رَضي بنتَائجه التّي حَصل عَليها من قَبل، ولاَ يُـمكن أنْ تكُون ثمّة نهَاية لِعملية إختبَار النّظريَات العِلميَّة وفَحصها»[1].

وتَتخلص هَذه العبَارة بجُملة واحدة هي أنّ المَعرفة الحسيَّة لَيست بأفضل مِن المَعرفة العَقلية الفَلسفيَّة، وهَذا المَعنىٰ ذَكره رُسـل فـي كـتَاب الفَـلسفَة بـنَظرة عَصريَّة تَرجمة الدّكتور زَكي نَجيب مَحمُود، وأيضَاً فيه ما نصّه بـالحَرف: «أنّ إحتمال وقُوعنا بالخَطأ يظَل قَائماً لأَنّنا بشَر غَير مَعصومِين، وللفَلسفة أنْ تَدّعي لنَفسها حقّاً، وهو أنّها تُحاول أنْ تَحصر إمكَان التّعرض للخَطأ في أضيَق دَائـرة مُمكنة، بل ربّما ضُيّقت دَائرة الخَطأ المُتحمل إلىٰ حدّ يُمكن تجَاوزه، ولَيس في مَقدور البَشر أنْ يَبلغ درجَة أعلىٰ من هَذه الدّرجة في الكمَال»[2].

والإِشتراكيُون يَرفضون فَلسفة التّحليل، لأَنّها لاَ تَصلح سلاَحاً نضَاليّاً للثّورة الإجتماعيَّة، بل تَقف عَقبة في سَبيلها، أمّا نحنُ فنَرفضها بالخصُوص، لأَنّها تُكبّل العَقل وتُقيده، وأيضَاً نَرفض مَعها كلّ فَلسفة مادّية بلاَ اَستثنَاء، لأَنّ الإِنسَـان لاَ يَحيا بالعِلم المُعملي وحدَه، وفي الوَقت نَفسه نُرحّب بأيّة فِكرة تَلتصق بالحيَاة، وتَسير بها إلىٰ الرَّخاء والهَناء والحُرِّية والكَرامة والأَمن والأَمان لجَـميع النّـاس علىٰ السّواء.

---

(١) أنظر، (جون هرمان) في كتَابه مَدخل إلىٰ الفَلسفَة تَرجمَة الدّكتور مِلحم قُربان: ٧٤ طَبعة ١٩٦٣م.

(٢) أُنظر، الفَلسفَة بنَظرة عَصريَّة تَرجمة الدّكتور زَكي نَجيب مَحمُود.

لَقد نَزل الإِسلام من السّماء إلىٰ الأَرض لهدَاية الإنسَان وسعَادته، ومن أجل هذا اُمتن عَليه سُبحانه بقَوله: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1].

وأيضَاً من أجل هَذا حَارب الإِسلام الظّلم والفَقر والإِستغلاَل والجَهل والخرَافات، وكلّ مَا يَعوق الحيَاة عن الّنمو والتّقدم. هذَا هو الإِسلام في حَقيقَته وجَوهره، ومن فكّر فيهِ بَعيداً عن هذا الحَقيقَة وهذا الجَوهر فهو جَاهل أو مُضلل.

(١) الإِسرَاء: ٧٠.

البرَاغمَاتيَّة

الرّغبَة والرّهبَة :

كلّ إنسَان يَفعل أو يَترك رَغبة في مَنفعة أو رَهبة من مَضرّة حتّىٰ الأَنبيَاء كَانوا يَدعون الله رَغباً ورَهباً كمَا في الآيَة : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[1] . ولاَ ضَير في شيء من ذَلكَ مَا دَام الإِنسَان بطَبعه وكيَانه مَطبوعاً عَلىٰ الدّفاع عن نَفسه والعَمل علىٰ مَصلحتها ودَرء الضّرر عَنها ، وعلىٰ هذَا الأَساس تَقوم الشّرائع والمَباديء السّماويّة والإِنسَانيّة .

أبَداً لاَ فَرق بين إِنسَان وآخر في العَمل لمَصلحته ، وإِنّما الفَرق بَين مَن يَعمل لهَا وهو مُؤمن بالتّعاون والأَخاء والمُشاركة والمُساواة ، بل وبالتّضحية بحيَاته لغَاية من الغَايات النّبيلَة ، ويتَصرّف ضِمن هذا النّطاق ولاَ يَتجاوزه بحَال ، وبَين مَن يَعمل لمَصلحته بلاَ حدُود وقيُود ، ولاَ يَفهم إلاّ بلُغة خُذْ كلّ شيء إنْ أستطعت ولاَ تُعط أي شيء ، فإنْ عَجزت فخُذْ أكثر ممّا تُعطي تمَاماً كالتَاجر . وهذا هُو البرَاجماتي كمَا يتّضح بَعد قَليل .

وبهَذِه المُناسبَة نُشير إلىٰ أنّ الإِسلام يَنظر إلىٰ العِلم علىٰ أنّه طَريق وتَخطيط

---

(١) الأنبيَاء : ٩٠.

للعَمل المَطلوب، وإلىٰ الإيمان علىٰ أنّه إلتزام وإحساس بالمَسؤوليّة عنهُ، ومَعنىٰ هذَا أنّ الهَدف الأوّل لكلّ من العِلم والإيمان هو العَمل، وأنّ الإيـمان وحـدَه أو العِلم وحده تمَاماًكالشّجرة بلاَ ثَمرة والمَصنع بلاَ صنَاعة... ونَدد سُبحانه بمَن لاَ يَعمل إلاَّ لمَصحلته الذّاتية بلاَ قَيد وشَرط، ونَعته في الآيَة: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1]. بأنّه عَبد لهوَاه، وفي الآيَة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[2]. بأنّه يَعبد الله علىٰ حَرف، أي عَلىٰ شَرط أنْ يَقبض ثَمن عبَادته في الدّنيا لاَ في الآخرة، ويَدل علىٰ إرادة هَذا المَعنىٰ قَوله تعَالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[3].

هَذي هِي البرَاجماتيّة:

أصل هَذه الكَلمة يُونَاني، وقَد اشتقت من برَاغما أو برَاجما، ومَعناه العَمل... والبرَاجماتيّة في العَصر الرّاهن مَذهب أو مَنهج، ويَـتلخص بأنّـه يُـنكر الواقـع وحُكم العَقل، ويَقيس الحقّ والصّـدق والخَـير والوَاجب بـمَا يُـحقق للـفَرد أو الجَماعَة من ميُول ورغبَات، فالشيء الوَاحد يكُون حقّاً وخَيراً بالنّسبة إلىٰ مَـن يَنتفع بهِ، وشرّاً وبَاطلاً إذا تَضرر منهُ آخر، ولاَ يُوصف بشيء إنْ نُسب إلىٰ حيَادي

---

(١) الجَاثيَة: ٢٣.

(٢) الحَجّ: ١١.

(٣) الحَجّ: ١٠.

ثَالث لاَ يَضرّه ولاَ يَنفعه.

ومَعنىٰ هذا كلُّه أنّه لاَ عِلم وفِكر في الوَاقع ولاَ حق وصوَاب ولاَ دِين وأخلاَق ولاَ خَير ولاَ عَدل... أبداً لاَ شيء يُوصف بشـيء يُـذكر إلاَّ الفِـعل الَـمحسوس المَلموس الَّذي يَجلب من هَذِه الصُّورة أو هَذا المَضمون، نَعرض أمَامه طَرفاً من عبَارات البرَاجماتيِّين بحرُوفها.

مِن أقوَال البرَاجماتيِّين:

قَال الدّكتور زَكي نَجيب مَحمُود: «ثلاَثة عمَالقة خَلقوا الفَلسفَة البرَاجماتيّة خَلقاً، وأشَاعوها في أرجَاء العَالَم طراً بحَيث لم يَعد في وسع مُثقف إلاَّ أنْ يُتابعهُم في نتَائجهم قبولاً أو رَفضاً، وهؤلاء الثّلاَثة هم «بيرس وجميس وديوي»»[1].

وقَال أيضاً: «المَنهج الَّذي بَنىٰ عليه ديوي تَفكيره هو أنّ العَـقل فـي سُـلوك الإنسَان ذو طَابع مُعين، ولَيس هو الكَائن الرَّوحي الكَامن في الجِسم كمَا يقُول المثَاليون... أنّ كلّ فِكرة هي عَين الفِعل والسّلوك الَمحسوس، والفِكرة الصّائبة هي التّي تَنتهي بنا إلىٰ ما نَبتغي، والفِكرة الخَـاطئة هـي التّـي لاَ تُـؤدي الغَـاية المَقصودة... أبداً يَستحيل فَصل الفِكرة عن التّطبِيق العِملي»[2].

ومَعنىٰ هذا بصرَاحة أنّ العَقل والفِكر جُزء من السّيارة والطّـائرة والسّـفينَة، ولَيس في دمَاغ المُصمم والُمخترع تماماً كالبَاب والدّولاَب، ووجه مِن وجُوهها كالدّهان والألوَان!. وأيضاً مَعنىٰ هذَا أنّ التّخطيط والتّصميم لَيسا عِلماً بـل ولاَ شيئاً حتَّىٰ ولو كَان صَحيحاً إلاَّ أنْ يَبرز للوجُود والعَيان، وكذَلك أفكَار العُـظماء المُصلحين إلاّ إذا سَمع النّاس لهُم وأطَاعوا!. وأيضاً مَعنىٰ هذا أنّه لاَ فَـرق بَـين

(١) أُنظر، الدّكتور زَكي نَجيب مَحمُود في كتَاب حيَاة الفِكر في العَالَم الجَديد: ١٩٤.

(٢) أُنظر، الدّكتور زَكي نَجيب مَحمُود في كتَاب حيَاة الفِكر في العَالَم الجَديد: ٢٠٢.

الجرَائم عن سَهو ونسيَان وعن قَصد وعَمد ما دَام الفِعل من حَيث هو يُوجب المُؤاخذة والعقُوبة[١]. وآشتَهر عن الرَّئيس الأَمريكي السَّابق (أيزنهاور) أنّه قَال: إذاكانت القُنبلة الذَّريَّة تُحقق لي النّصر في الحَرب فإنّ آستخدامها حقّ ووَاجب!. وأيضاً شَاع عن (موسوليني) قوله: لقَد أفَادتني البرَاجماتيَّة، والفَاشيَّة تُدين لهَا بنَصيب كَبير.

هَذي هي ثمَار البرَاجماتيَّة: فَاشيَّة دكتَاتوريَّة إراهابيَّة، وإمبرياليَّة تُمثّل أعلىٰ مرَاحل الرَّأسماليَّة الإحتكاريَّة... ولاَ يُباركها إلاَّ جَاهل بسمَاتها وعورَاتها، أو نَازي فَاشي.

وأيضاً جَاء في كتَاب حيَاة الفِكر: «قَال جميس: كُلّ مَا يؤدي إلىٰ النّتائج المَرجوة فهو حقّ، وكلّ مَا لاَ يُؤدي إلىٰ هَذِه النّتائج فهو بَاطل... إنّ كَلمة الحقّ وكَلمة النّفع مُترادفتان، فنقُول عن فِكرة: أنّها حقّ لأنّها نَافعة، وأنّها نَافعة لأنّها حقّ، والقولاَن في المَعنىٰ سوَاء... وأيضاً هذا هو مِعيار الأخلاَق، فالذي يَجعل الفِعل فضِيلة هو أنّه فِعل نَاجح»[٢].

وفي كتَاب فصُول في الفَلسفَة للفَيلسوف جُود: تَقول البرَاجماتيَّة: «الإعتقَاد الصّادق بإختصار هو النّافع فَقط فيَما يَتعلق بالفِكر، كمَا أنّ الصّواب هو النّافع فيَما يَتعلق بالسّلوك»[٣].

أرَأيت إلىٰ هذا المَنطق؟. كلّ شيء مُباح، بل هو خَير وفَضيلة وحقّ وحَقيقة وصِدق وعَدل ما دَمت قَادراً عَليه!. ولمَاذا؟. أبداً لاَ لشَيء إلاَّ لأنّ الحيَاة فَريسَة

(١) قَانون الولاَيات المُتحدة يُدين ربّ العَمل في كلّ ضَرر يَحدث للآخرين حتّىٰ ولو كَان الضَرر نَاتجاً عن سَبب آخر، لاَ يمت إلىٰ ربّ العَمل وآلاَته وأدوَاته بسَبب قَريب أو بَعيد.

(٢) أنظر، حيَاة الفِكر: ١٧٨ ومَا بَعدها.

(٣) أُنظر، كتَاب فصُول في الفَلسفَة للفَيلسوف جَود تَرجمة عَطية مَحمُود ومَاهر كَامل: ٢٦٧ طَبعة ١٩٥٦م.

الغَانم تمَاماً كحيَاة الوحُوش في الغَاب، أمّا القِيم والأخلاق فكلاَم فَارغ!. وإذن فعلاَمَ الأَنظمة والشّرائع؟.

لقَد اتّفق أهل العصُور علىٰ مَجمُوعة من القِيم لأَنّ حيَاة الُمجتمع لاَ تَستقِيم بدُونها، ولكن البرَاجماتيّة تقُول: ولمَاذا الُمجتمع والجَماعَة؟. فالمُهم حيَاة الأَقذر «الأَقذر» أمّا أصوَات الضّعفاء وأنِين البُؤساء فإنّها تَذهب مع الرِّياح. ومِثلها تمَاماً عقُول العبَاقرة إلاَّ أنْ تَمد الجسُور، وتُشيّد القصُور.

ونحنُ أيضاً نقُول: أنّ العِلم بلاَ فَاعلية وعَمل لَيس بشيء حيث لاَ حيَاة ولاَ حضَارات إلاَّ بالكفَاح والنّضال، وأنّ علىٰ الإنسَان أنْ يَعمل من أجل مَصلحته ومَنفعته... وفي نَفس الوقت نُؤمن بالقِيم وحُكم العَقل، لأَنّ العِلم بلاَ عَدل كارثَة، والعَمل بلاَ ضَمير سَلب ونَهب، ولكن البرَاجماتيّة تقول: المُهم هو النّجاح، ومَتىٰ تَحقق صَار حقّاً وعدلاً حَتماً وبالضّرورة من أي سَبيل كان ويكُون، أمّا العَدل والضّمير فكلاَم فَارغ. ومن هَذِه الفَلسفَة وأخوَاتها انطلقت قِوىٰ الشّر بأسلحَتها وثَروتها إلىٰ أنْ تَفرض سيَاستها، وتُملي إرادتها علىٰ كلّ شَعب أقل مِنها قوّة وأضعَف صنَاعة.

ومن جُملة مَا قرأتُ أنّ إحدىٰ الشّخصيات البَارزة في الولاَيات المُتحدة قَال ما نصّه بالحَرف الواحد: «نحنُ أكثَر الدّول إنتَاجاً، وأقوَاها رَأسمالياً، وأغنَاها آلياً، وعَلينا إذن أنْ نَحزم أمرنا كي نَملك غَالبية الأَسهم في كلّ الشّركات الكُبرىٰ التّي يُطلقون عليها اسم العَالميّة، ولاَ يَنبغي أنْ يكُون ذَلكَ إلىٰ أجلٍ مُسمىٰ، بل إلىٰ الأَبد».

هَذي هي البرَاجماتيَّة نصّاً ورُوحاً، وهي في العَصر الرَّاهن الأَقوىٰ والأَعظم حَيث تُنفذ أحكَامها بالسّلاح الأشدّ فتكاً والأَكثر تَدميراً. من الصّواريخ المُوجّهة

إلىٰ القنابل النّوويَّة ، ومن حَرب العقُول الأُلكترونيَّة إلىٰ المواد السّامة . . . إلىٰ مَا لاَ نهايَة من سلاَح جَديد أقوىٰ وأمضَىٰ .

وإنْ سَأل سَائل : أينَ الحقّ والعَدل والدّين والضّمير ؟ .

فجوَابه : في الأسلحَة الجَهنميَّة . وإنْ قَال : كَيف ؟ . وأينَ هَيئة الأُمم ومَجلس الأمن ؟ . فجوَابه : تَحت أقدَام الصّهيونيّة والشّركَات الإحتكاريَّة .

الوجُوديَّة

كتَاب المَذاهب الوجُوديّة :

وضَعتُ كتَاباً صَغيراً في الوجُوديَّة ، نَشرته دَار التّعارف ببَيروت ، وفي مَكتبتي لسَارتر نبيّ الوجُوديّة في العَصر الرَّاهن ثمَانيَة كُتب مُترجمة إلىٰ اللُّغة العَـربيَّة ، ومِنها الكتَاب الضّخم : الوجُود والعَدم (٩٩٢) صَفحة ، أضَافة إلىٰ مَا قرَأته عـن الوجُودية في الصّحف والعَديد من الكُتب .

وحِين عَزمتُ العَودة إلىٰ الوجُوديَّة في هذا الفَصل ، بحَثتُ في المكَاتب عن مَصدر آخر ، عَسىٰ أنْ يَزيدني عِلماً بهَا ، أو يُصحح من فَهمي لهَا ، فَـعثرتُ فـي بَعض المَكتبَات علىٰ كتَاب في (٣٣٤) صَفحة ، أسمه المَذاهب الوجُوديَّة تأليف (رجيس جوليفيه) تَرجمة فؤاد كَامل ، فأشتريته وقرَأته ، ومَا زَاد في خبرَتي إلاَّ مِن النّاحية التّأريخيَّة : مَتىٰ وجدَت هَذِه الفِكرة ؟ . وكَيف تَطورت ؟ . لأنّ خـطّة الكتَاب ـ كمَا يَبدو ـ تأريخيَّة ، ولَيس هذا من همّي وأهتمامي ، وكلّ مَا أبتغيه أنْ أعرف الوجُوديَّة كمَا هي في أذهَان شبَاب اليَوم لأُخاطبهُم بلُغتهم[1] .

الوجُوديّة واللاَّمَعقُول :

وذكَر جوليفيه في مُقدّمَة كتَابه المَذكور ، السّبب المُوجب لفَلسفَة اللاَّمَعقول

---

(١) أُنظر ، المَذاهب الوجُوديّة تأليف (رجيس جوليفيه) تَرجمة فؤاد كَامل .

كالوجُوديَّة وأخوَاتها، وأطَال الكَلاَم، ويُمكن تَلخيصه بمَا مَعناه أنّ كلّ أنـظمَة هَذا العَصر، وكلّ الأدوَار التّي تَلعبها قِوىٰ الشّر من إثَاره الحرُوب والسّيطرة عَلىٰ الأقوَات والمُقدرات وتَشكيل العقُول بالإعلان الكَاذب والدّعاية المُضللة، كـلّ أُولاء وغَيرها كَثير بَعيدة أقصىٰ البُعد عن العَقل والمَعقول، وإذن فلاَ بدع أنْ يُثمر مِثل هذا الُمجتمع تَفلسفاً أو أدباً غَير مَعقُول[١].

وفي التّرجمة العَربيّة للمَوسوعة الفَلسفيَّة: «الوجـوديَّة ردّ فِـعل لاَ عـقلاَني ظَهرت بَعد الحَرب العَالميَّة الأُولىٰ في ألمانيَا وبَعدها في فَـرنسا وبَـعد الحـرب العَالميَّة الثَّانيَة في بلاَد أُخرىٰ، مِنها الولاَيات المُتحدة، وقد أثّرت تأثـيراً كَـبيراً علىٰ الفن والأَدب الحدِيثين في الُمجتمع الرَّأسمالي وفي الإطار العَقلي لقـطّاع كَبير من المُفكرين»[٢].

وقَال جوليفيه ومَا بَعدها: «لَقد بدَا عَالم اليَوم وكأنّه قد أسلَم نَفسه للـجنُون، ولاَح كأنّما الكَون قَد فَقد معنَاه، وأنّ الحيَاة باطلَة، وأنّ الكون خَـال مـن إلـه. فمَسّ النّاس طَائف من جنُون، وأنكرُوا العَقل والقِيم الأخلاقيَّة وسمُو الإنسَان. وهذاكلُّه قَد قَيأ جواً للتّردي في مَهاوي اليأس والفُوضىٰ... والدّفاع عن الكَذب والنّفاق، وإنحطاط الأَخلاق العَـميق الَّـذي نَشأ عـن شـيُوع السّـوق السّـوداء والإتّجاهات المُضطربة في عَصرنا»[٣].

ومن هُنا تَفجّرت ثَورة الشّباب سَنة (١٩٦٨م) في أمـريكا وأُوروبـا عـلىٰ الأَوضاع، واَهتز لهَا ضَمير العَالَم كلُّه، وكَان مع هذا الإنفجار اَضرابات عُمّاليَّة في

(١) أنظر، المَذاهب الوجُوديَّة تأْليف (رجيس جوليفيه) تَرجمة فؤاد كَامل.

(٢) أُنظر، التّرجمة العَربيّة للمَوسوعة الفَلسفيّة الصّادرة في مُوسكو سنَة (١٩٦٧م).

(٣) أُنظر، المَذاهب الوجُوديَّة تأْليف (رجيس جوليفيه) تَرجمة فؤاد كَامل: ٢٤.

أمريكا وإنجلترا وإيطاليا واليَابان وغيرها. وأدب اللاَّمَعقول وفَلسفته نَوع من هَذا الإنفجار والإضراب: «لولاَ أنّه غير مَعقول». وكَثيراً مَـا يُـقال أدب الرَّفـض أو فَلسفَة الرَّفض بدلاً من كَلمة اللاَّمَعقول، بل تَسرب هذا الرَّفض أو اللاَّمَعقول إلىٰ المُوسيقىٰ، علىٰ مَا قرأتُ لأنّي أفقد حَاسة التّمييز بَين المَعقول مـن المُـوسيقىٰ وغَير المَعقُول.

الوجُوديّة مَنهج لاَ فَلسَفَة:

في القَديم كانَت الفَلسفَة مُرادفَة للعِلم بمَعناه العَامّ، ثُمّ آنفصلَت عَنها العُـلوم وآستقلت، فتَعدّدت الفَلسفات وتبَاينت، كمَا رأينَاها في العَصر الرَّاهن، وتَـعذّر تَعريفها علىٰ وجه شَامل وكَامل... وقد عَرفها كلّ فَيلسوف من خلاَل الفَـلسفَة التّي يَأخذ بهَا.

وقَال رُسل في جوَاب من قَال لهُ ما هي الفَـلسفَة: «هِـي مَـا لاَ نَـعرف، لأَنّ المَسَائل تَنتقل بإستمرار من إختصاص الفَلسفَة إلىٰ إختصاص العِلم كلّما تَقدّمت المَعرفة، أي أنّ الشّيء المُثبت بالحسّ يَخرج من الفَلسفَة إلىٰ العِلم».

ولعـلّ أقـرب تَـعريف للـفَلسفَة بـالمَعنىٰ الحَـدِيث أنْ يُـقال: أنّـها تَـبحث المَوضُوعات التّي لاَ تَبحثها العُلوم الطّبيعيَّة ولاَ العُلوم الرِّياضيَّة، كعِلم مَـا وَرَاء الطّبيعَة وعِلم النّفس والأخلاَق... ومَهما يكُن فإنّ الوجـوديَّة لَـيست فَـلسفة، وإنّما هي مَنهج خاصّ ومُحدد لنَشاط الإنسَان الفَرد وتَصرفاته، ويتّضح ذَلكَ فِيما يَأتي، وكان بَعض أقطَاب الوجُوديَّة يأبىٰ أنْ يُقال لهُ: فَيلسُوف.

الوجُوديُون المُؤمنُون:

قسّم البَاحثُون، الوجوديّين إلىٰ مُعترِفين بالله وجَاحدين بِهِ... وبَعد أنْ تَتبعتُ

وقرَأتُ أقوال هؤلاَء وأُولئك أنتهيت إلىٰ أنّ الجَـميع بـمَنزلة سـواء مـن حَـيث اللاّمَنطق واللاّمَعقول لأنّ الوجُوديّين بالكَامل يتّخذون من إرادتـهم وعَـاطفتهم مقيَاساً لكلّ حقّ وحَقيقة، ولاَ يَعترفون بحُكم العَقل ولاَ بنظام أو شَريعة أرضيَّة كَانت أم سمَاويَّة، وعلىٰ سَبيل المثَال، نَنقل العبَارة الآتية (لكير كجورد)، وهو مِن الوجوديِّين المُؤمِنين ورَائد من روَاد الوجُوديَّة المُؤسّسين، قَال مَا نصّه بالحَرف:

«أنّ النّتائج التّي تتوصَل إلَيها العَاطفة هي وحـدهَا الجَـديرة بـالثّقة، وهـي وحدَها الكَافية في البَرهنة»[١]. وقَال أيضاً: «لمَاذا أقامَة البُرهان؟ فـإنّ الّـذي يُصدّق الحَقيقة، ويَقبلها لَيس هو العَقل الخَالص، بل الإنسَان المَوجود من حَيث هو موجُود»[٢]. يُريد من حَيث هو حرّ في فِعل مَا يَشاء بلاَ رَقيب وحَسيب.

وقَد يصحّ الإيمان عن عَاطفة وتَقليد إذا كان أنعكاساً عن الحقّ والوَاقع، ولكنّه لاَ يُجدي شَيئاً إذا اتّخذ المُقر بالله من عَاطفته وإرادته وحرّيته شَريعة للحقّ والعَدل.

الوجُوديّة المُعاصرَة:

وتَتخلص الوجُوديَّة المُعاصرة التّي يَـتعلق الكَـثير مـن الشّـباب بأذيَـالها ـ كالآتي:

١ ـ أنّ كلّ فَرد من أفراد الإنسَان هو قَلعة في نَفسه، ولهُ أنْ يَتصرف وكأنّه هـو المَـوجود الوَحـيد والشّـيء المَـاثل أمَامه، بلاَ أي شَيء كَان قَبله... لاَ خَالق ولاَ شَريعة وقَانون، بل لاَ بشريَّة، وتأريخها يـتّصل بـحيَاة الإنسَـان المَـوجود بالفِعل من قَريب أو بَعيد، لأنّ الصّدفة وحدهَا هي التّي ألقَت

(١) أنظر، كتَاب المَذاهب الوجُوديّة: ٣٩.

(٢) أُنظر، كتَاب المَذاهب الوجُوديّة: ٤٢.

به في هذا الوجُود إلقاءً، وتَركته وحيداً فَريداً لاَ شيء معهُ إلاَّ حرّيته وإرادته، فهي الحدّ التّام لحَقيقته، والمِعيار الوحِيد لقِيمته، ولَيس ثمّة أيّة قوّة وسُلطة تُحرّم عَليه أو تُحلل لهُ تَصرفاً أو إعتقاداً واتّجاهاً.

٢ ـ علىٰ كلّ إنسَان أنْ يَتحرر ويُعيد النّظر في الُمجتمع الإنساني الَّذي يَعيش فيه، ولاَ يَلتزم بشيء من التّقاليد والعقَائد والفَلسفات، لأنَّه مُطلق الحُرّية في إختيار مَا يشَاء حتَّىٰ الإنتحار، ولاَ يُؤاخذ بشيء أو يَسأل عمّا يَفعل بشَرط واحد، وهو أنْ لاَ يَعتدي علىٰ حرّية الآخرين حرصاً علىٰ حرّيته هو بالذّات.

٣ ـ أنّ وجود الإنسَان في هَذه الحيَاة يُرادف اليَأس والخَوف والقَلق والقَرف والإشمئزاز والضّياع والعَبث والتّضخم السّرطاني والنّزيف وفوق ذَلكَ من الآلاَم... ولمَاذا كلّ هَذِه الويلاَت والنّكبات والآفَات؟. أبداً لاَ لشيء إلاَّ لأنّ العَالَم وجد بلاَ عِلم ولاَ حِكمة ولاَ قَانون إلاَّ قَانون أنّه لاَ يَستطيع إلاَّ أنْ يُوجد وإلاَّ أنْ يَفترس كلّ مَن فيه ومَا فيه[1].

تَساؤلاَت:

أبداً لاَ أردّ علىٰ الوجُوديّين بأنّ مَذهبهم هذا كُفر وإلحاد، وأنّ الإيمان بالله يَجعل لحيَاتنا مَعنىٰ ومن وجُودنا قوّة، وأنّه تعَالىٰ قَد جَعل الدّنيا لمَا بَعدها،

(١) أنظر، روياة الغثيان لسَارتر: ١٤٥ وما بَعدها، والمَذاهب الوجوديّة: ١٣١، ومقَال بعنوان أمرَاض الفِكر في القَرن العِشرين في مجلّة عَالم الفِكر الكويتيّة العَدد الأوّل من المُجلّد الأوّل.

وأبتلىٰ فِيها أهلهَا ليَرىٰ أيّهم أحسن عملاً ؟. ولاَ أنْ أقول للوجُوديِّين : كَيف وجد هذا الكَون ؟. ومن نَظَّم وأحكَم ؟. بل أُريد أنْ أتجَاوز ذَلكَ إلىٰ التّساؤلات الآتية :

إذا كان الكَون والإنسَان والحيَاة عَبثاً في لَغو وهبَاء وخوَاء، فمَا هي إذن حَقيقة الوجُوديَّة ؟. وهل للفَرع مَصدر إلاَّ أصلَه ؟. وهل الوجُوديَّة دعوَة إصلاحيَّة أو نَظرة إنسانيَّة إلىٰ البَائسين والمُعذبِين أو نَظريَة عِلمية يَنتفع بها النّاس جيلاً بَعد جِيل أو مَسرحية للتَرفيه والتّسلية أو مُجرد فَلتة من اللاَّمَفهوم واللاَّمَعقول ؟. ثُمّ إذا حرّرنا الإنسَان من سُلطان العَقل وكلّ القِيم، وعَزلنَاه عن تأريخ البَشريَّة وترَاثها وخلاَلها، فَهل يَبقىٰ لهُ من كيَان ووجُود ؟. وأخيراً أنّ الحُرِّية لاَ بُدّ مِنها ولاَ غِنىٰ عنها، مَا في ذَلكَ رَيب، ولَكن لاَ بُدّ للحرّية أيضاً من ذَات تتّصف بهَا، والفَرض أنّه لاَ شيء إلاَّ العَبث والضّياع، وعَليه فالحرّية مُجرد ضيَاع وخدَاع !.

وهَكذا أنكَر الوجُوديّين كلّ قِيمة حرصاً علىٰ الحُرِّية، فَدمروهَا وقَضوا عَليها مِن حَيث يُريدون أو لاَ يُريدون، رأوا الأَوضاع الفَاسدة والسّياسَة الجَائرة والدّعايات المُضلّلة والمَجَازر التّي أفنَت الملاَيِّين، فخَرجوا علىٰ كلّ قِيمة بأنّها خرَافة، وعلىٰ كلّ دعَاية أنّها مَصيدة، وقَالوا : مَا دَام الأَمر كذَلك، ولاَ طَبيب وشفَاء فليكُن كلّ فَرد أُمّة برَأسه وعَالِماً بنَفسه، يتَولىٰ أمرَه كَيف يشَاء، ويَختار مَصيره كمَا يُريد غَير مُكترث بشَيء علىٰ الإطلاَق... فهَدموا ومَا بَنوا، وفَرّقوا ومَا جَمعوا، بل زَادوا الخَرق اتّساعاً والنّار تأججّاً.

المَاديَّة الجَدليَّة

مَاركس والفَلسفَة :

قَال قَائل : أنّ مَاركس لَيس فَيلسُوفاً ، بَل عَالماً إجتماعيًّا . والصّحيح أنّه فَيلسُوف حَاول أنْ يَكشف عن حَقيقة العَالَم وطَبيعة الإنسَان وأنْ يحلّ المشكلاَت الإجتماعيَّة ، ولكن فَلسفَته تَنطلق من المادّة وأنّها هي الموجُود الوحِيد والواقع الأزلي الأبدي ، وأنّ ما عدَاها من عَقل وعَاطفة وإحساس ، هو من آثَارها وانعكاس عنهَا .

وأيضَاً كلّ ما في الطّبيعة من حَركة ونظَام وتَدبير هو من صُنع المادّة وأعمَاقها ، ولاَ يُمكن أنْ يكُون من خَارجها بحَال من الأحوال ، وعَليه فيجب أنْ يُفسّر الكَون بجَميع مَا فيه ومَن فيه تَفسِيراً ماديّاً لاَ عَقلياً ولاَ دينياً ، ومَعنىٰ هذا أنّ المادّة تعي وتُفسّر نَفسها بنَفسها ، وأنّها هي المُدرِك والمدرَك .

هذا مَا قاله مَاركس والمَاركسيُون . ولاَ أدري من أَين جاءهُم هذا العِلم ؟ . هل هو من وحي عقولهم ؟ . والفَرض ـ علىٰ مَنطقهم ـ أنّ عقولهم صُورة عن المادّة الصّماء العَمياء ، فكَيف وعَت ورأت وأحسّت ونَطقت صُورة الشّيء الأعمىٰ والأبكَم والأصم من دونه ؟ . علماً بأنّ صُورة العَاقل النّاطق والمُبصر لاَ تَعقل ولا تُبصر ولاَ تَنطق ، فكَيف انعكس الأمر في المادّة ؟ .

لقَد أثبت العِلم الحَديث أنّ هَذِه المادّة التّي تَظهر للعيَان جسماً صُلباً كالحَديد وغَيره، هي في وَاقعها عبَارة عن ذرّات تَتحرك وتَسير في الثّانيه بسُرعة (٢٩٠) ألف كيلومتر بالنّسبة إلىٰ عَالمها، وأنّ فيها جَذباً ودَفعاً وحرَارة وكهَرباء... هَذا كلّ ما يَعرفه عُلماء الطّبيعة عن المادّة، أمّا حَقيقتها فهي من الألغَاز التّي أعتَرف العُلماء بالعَجز عن حلّها.

وسَبقت الإشارة إلىٰ الرَّد علىٰ المَذهب المَادّي في فَصل «المَاديَّة والوَاقـعيَّة والمثَاليّة» وغَيره، ولاَ مُوجب إلىٰ الإعادة والتّكرار إلاَّ من باب الكلاَم يَجر الكلاَم.

الجَدل الهِيجلي:

يَرىٰ هيجل أنّ الرّوح أو الفِكر المُطلق هو الأصل السّابق علىٰ وجُود المادّة، وهي مُتأخرة عنهُ وأنعكاس له، علىٰ العَكس من قَول مَاركس بأنّ المـادّة هـي الأصل والكلّ في الكلّ، ويَكشف هذا الفِكر عن نَفسه في ثلاَث مرَاحل من التّغير والتّطور:

الأُولىٰ: تَكشف عن بَعض صفَاته، وقد عبَّر عَنها بَعض الفَـلاَسفَة بـالوَضع، وآخر بعُنصر التّفكير، والمُهم أنْ نَعلم أنّ الفِكر الأصل والأوَّل كان يَنطوي علىٰ نَقيضه، وأنّه لَيس واحداً في الظّاهر والبَاطن ومن كلّ وجه.

المَرحلة الثّانيَة: ظهور هذا الفِكر المُطلق الَّذي لاَ يقع تحت الحسّ، في صُورة الطّبيعة المَلمُوسة، أي أنّ الفِكر قد تَقمص في ضدّه المُـباين له، وبـهَذا يَـجتمع النّقيضان في كَائن واحد: الفِكر المُطلق والطّبيعَة.

المَرحلة الثّالثة: هي مَرحلة الدّمج والتّصالح بين الضّدين حَيث يـصبح كـلّ منهُما وجهاً لشيء ثَالث نتيجَة التّضاد والصّراع.

وعَلىٰ سَبيل التّقريب إلىٰ الفَهم نَضرب مثالاً بالبَيضة، فـهي بـوضعها الفِعلي

لَيست دجَاجة بل ضداً لها، وكَذلك الدّجاجة تَكـمن فـي أعـمَاق البَـيضة وإلاَّ يَستحيل أنْ تَخرج من البَيضة إذا لم تكُن هَذِه مُنطوية عـلىٰ تِـلك، أمّـا عَـملية الصّراع فتتمثّل في أنّ الدّجاجة الكَامنة في قَلب البَيضة تُحاول بطَبعها الخـرُوج مِنها في نفس اللّحظة التّـي تُـحاول البَـيضة بـطَبعها أيـضاً أنْ تَـحتفظ بكـيَانها وٱستمرار بقَائها كمَا هي، ويَمتد هذا الصّراع إلىٰ أنْ تَتحول البَيضة إلىٰ دجَـاجة تَكمن فيها البَيضة، وعندئذٍ تَتم المُصالحة، ويَجتمع الشّمل.

وبتعبِير أجمع وأبلَغ «أنّ الدّيالكتيك الهِيجلي يقُوم علىٰ ثُـلاثية المَـوضوع، ونَقيض المَوضوع، ومُركب المَوضوع ونَقيضه».

وٱشتهر عن هِيجل أنّه قَال: «مَا هو وَاقعي هو عَـقلي، ومـا هـو عَـقلي هـو وَاقعي». يُريد أنّ كلّ وَاقعة مَلمُوسة هي دَاخلة في صَميم الفِكـر والعَـقل، وإنْ بَدت بعِيدة عنهُ، وأنّ كلّ حَقيقة عَقلية هي وَاقعية ولهَا مَعنىٰ مَعقول ومَقبول، وإنْ لَم يكُن مَحسوساً ومَلموساً، ولاَ شيء علىٰ الإطلاق من أحكَام العَقل وحقَائقه كلاَم فَارغ من المَعنىٰ.

ونحنُ مع هِيجل في فَلسفته التّطوريَّة، وضدّه في أنّ العِلم المُطلق أو المَـبدأ الأوّل يكمُن في الطّبيعة ويَستقر فيها بصُورة من الصّور، لأنّ الأوّل الّذي لاَ أوَّل له فَوق الطّبيعة ومُباين لها، ولاَ صلَة بَينهما إلاَّ عُـلاَقة المُسـبب بـالسّبب والأثـر بالمُؤثّر، وللحَديث عن هذا المَوضوع مكَان آخر.

الجَدل المَاركسي:

وٱستغل مَاركس فَلسفة هِيجل التّطوريَّة بعد أنْ جَعل عَاليها سَـافلها حَـيث ٱنتقل هِيجل من الفِكر إلىٰ المادّة، أمّا مَاركس فقد ٱنتقل مـن مـادّة إلىٰ مـادّة، وٱشتهر عنهُ أنّه قَال ما لَفظه أو مَعناه: «أوقفَ هِيجل الجَدل عـلىٰ رَأسـه، وأنَـا

أوقَفتهُ علىٰ رِجلَيه » يُريد بالرّأس هُنا المادّة لأنّها الأَصل، وبالقَدمَين الفِكر لأنّه الفَرع عن المادّة في مَنطق مَاركس.

وتَجدر الإِشارة إِلىٰ أنّ الدّيالكتيك مُرادف للجَدل الَّذي لاَ يُراد بـه هُـنا فـنّ المُناقشة ولاَ الحَركة بإِنتقال الشّيء من مكَان إِلىٰ مكَان، بل المُراد بالجَدل هُـنا الحَركة بالتّغير وإِنتقال الشّيء من حَالة إِلىٰ ضدّها كـإِنتقال النّـواة إِلىٰ الشّـجرة والبَيضة إِلىٰ الدّجاجة، وهذِه الحَركة أو هذا الإِنتقال يَعم ويَشمل كلّ شيء « مِن حبّة الرَّمل إِلىٰ الشّمس ومن دُودة الأَرض إِلىٰ الإِنسَان » علىٰ حدّ تَعبير جَارودي المَاركسي في كتَابه النّظرية الماديَّة في المَعرفة.

وخُلاَصة الماديَّة الجَدليَّة عند مَاركس أنّ المادّة هي المَوجود الوحـيد، ولاَ شيء قَبلها ولاَ بَعدها، وكلّ مَا يُسمىٰ عقلاً، ورُوحاً، وعَاطفة، وحيَاة، وغَـريزة فهو من ثمَار المادّة وآثَارها كما سَبقت الإِشارة، أمّا مَا في الطّبيعة والمادّة مـن تَطور، وتَغير، ونظَام، وقوَانين، وأحكَام، وتَدبير، أمّا كلّ ذَلكَ وغَير ذَلكَ فهو من صُنع المادّة وبَاطنها، ولَيس من خَارجها علىٰ أي فَرض من الفرُوض!.

نَحنُ والمَاديّة الجَدليّة:

ونحنُ نتّفق مع مَنطق الجَدل الَّذي يَدعو إِلىٰ تَجنب الأَوهام، والخـرَافـات، وأيضاً نحنُ معهُ في نَظرية الإِنتقال والتّحول، ولَكن نقُول: أنّ الشّيء يَنطوي عَلىٰ ضدّه بالقوّة لاَ بالفِعل بنصّ القرآن الكَريم في الآيَة: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[1]. وفي الآيَـة: ﴿ يُـخْرِجُ ٱلْـحَىَّ مِـنَ ٱلْـمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْـحَىِّ ﴾[2]. إِلىٰ العَديد من الآيَات، والرَّوايات الإِسلاميَّة فـي

(١) يّس: ٨٠.

(٢) الرّوم: ١٩.

هذا البَاب.

وفي الُمجلّد الأوّل من أسفَار المُلا صَدرا فَصل مُستقل أثبَت فيه أنّ كلّ أشيَاء الطّبيعَة تَتجدد وتَتحرك، وأنّ الحَركة «عبَارة عن خُروج الشّيء من القوّة إلىٰ الفِعل تدرجياً»[1]. كخُروج الدّجاجة من البَيضة. وأيضاً قَال: «الإنسَان يَترقىٰ دَائماً وهو لاَ يَشعر بذلك، ونَقل في هذا الفَصل عن ابن العَربي أنّ المُوجودَات بكَاملها تَتحرك دُنياً وآخرة»[2].

ونحنُ وهَذه الماديَّة الجدليَّة علىٰ طَرفي نَقيض، لأنّها تتّخذ من المادّة إلٰها واحداً، وبها وحدَها يُفسّر الكَون بجَميع مُحتوياته من عَقلٍ، وقَصد، وحرّية، وإرادة، وقوىٰ، وإكتمال، ونوَاميس، ونظَام، وحِكمة، وتَدبير!. ونحنُ لاَ نَملك أيّة أدَاة ووسِيلة للإدراك والمَعرفة في هذا المَوضوع إلاّ بَديهة العَقل، وهي تَأبىٰ وتَرفض تَفسِير الكَون بنَفس الكَون لُمجرد أنّ المُفسّر لاَ يَعرف شَيئاً عن علّته.

وبَعد، فقَد كرّرنا فِيما سَبق ونُعيد الآنْ كَلمة فولتِير: «أنّ فكرَة وجُود الله فَرض ضَروري، لأنّ الفِكرة المُضادة حمَاقَات»[3]. وهي سُبحانه ورَاء الكَون يُديره ويُدبره بمَا أودع فِيه من قوَانين كَونية، يَسير في حدُودها كلّ مَا فيه ومَن فيه إلىٰ

---

(١) أُنظر، الحِكمة المُتعالية في الأسفار العَقلية الأربعَة، لصَدر الدّين مُحمّد الشّيرازي: ٢ / ٢٨٤ من السّفر الثّالث، و: ٣ /هَامش ٨٠ مِن السّفر الأوّل.

(٢) أُنظر، الحِكمة المُتعالية في الأسفار العَقلية الأربعَة، لصَدر الدّين مُحمّد الشّيرازي: ٢ / ٢٨٦ من السّفر الثّالث، و: ٣ /هَامش ٨٦ مِن السّفر الأوّل.

(٣) أُنظر، تَراجم عُلماء طرَابلس: ١٣٢، مجلّة المُجمع العِلمي: ٩ / ٤١٤ و: ١٠ / ٤٩٢، مُستدركات أعيَان الشّيعة للسّيّد حَسن الأمِين: ٢ / ٣١. تَجد تَرجمَة «فولتير».

وأُنظر، P. DydDrink Water,Theotline of Liter Ture 290

Story of Philosphy, Will Durant. p.220

أُنظر، الرّوض الأزهر في تَأريخ بُطرس الأكبر لفولتير.

الهَدف المَطلوب منهُ من الذَّرَّة الصّغيرة إلىٰ المجرّات الكَبيرَة .

المَاديّة التّأريخيّة :

ولاَ فَرق عند المَاركسيِّين بين المَاديَّة الجَدليَّة والتّأريخيَّة من حَيث أنّ كـلاًّ منهُما مادّية مُقابلة للمثَالية ، وإنّما الفَرق بَينهما أنّ المَاديَّة الجَدليَّة تَعم وتَشمل كلّ الظّواهر بشتّىٰ أنواعها كمَا سَبقت الإشارة ، أمّا الماديّة التّأريخيَّة فـإنّها تَـختص بالظّوَاهر الإجتماعيَّة ، ويَردّها مَاركس بالكَامل إلىٰ دوَافع وأسـبَاب إقـتصاديَّة خَاصّة ، قَال في مُقدَّمَة كتَابه نَقد الإقتصَاد السّياسي : « أنّ كلّ حَركة من الحَركات الإجتماعيَّة ، والسّياسيَّة ، والرَّوحيَّة ، تَتبع نَمط الإنتاج الإقتصادي »[1] .

ونَسأل مَاركس وأشيَاعه : مَا رأيهم بشُهداء العَقيدَة والحُرّية ؟ .

هَل آستشهدوا في سَبيل المَعدة أو من أجل الإيمان والكَرامة ؟ .

وبَأي شَيء يُفسّرون أريحة الجُود والكَرم وعَاطفة الآباء والأُمّهات والصّوفيَّة والتّصوف ؟ .

وفي سَنة (١٩٣٦ م) تنَازل (أدوار) الثّامن عن عَرش الإمبراطوريَّة البريطانيَّة من أجل آمرأة آسمها (واليس) .

وفي كتَاب فلاَسفَة الحُكم : « الَّذين يقُولون : أنّ الإنسَان يَعمل لطَلب المَنفعة يَجهلون أنّه يَقدم علىٰ الخسَائر وهو عَالم بهَا ، ويَهون عَليه المَـوت ، ولاَ يَـهون عَليه فوَات أمل من الآمَال ، والّذين يقُولون أنّ الإنسَان يَعمل ليَعيش يَنسون أنْ يَسألوا أنفسهم : تَرىٰ لمَاذا يَحرص علىٰ أنْ يَعيش ؟ . فمَا صَلحت الحيَاة قطّ عْلىٰ علّة واحدة ولاَ الدّنيا قطّ علىٰ فِكرة وَاحدة »[2] .

---

(١) أُنظر ، المُعجم الفَلسفي للدّكتور صليبا م . د . ي .

(٢) أُنظر ، كتَاب فلاَسفَة الحُكم للعقّاد : ١٤٨ .

الطَّبقة العَاملَة والرَّأسماليّة :

قَال مَاركس : أنّ الصّراع بَين الطّبقة العَاملة والرَّأسماليَّة حَتم لاَ مَفر منهُ ، وأنّ الظّفر بالعُقبىٰ السّالمة الدّائمة هي للعمّال حَيث سيكُونون هم أنفسهُم أصـحَاب الأَموال لاَ محَالة . . . ويُلاَحظ :

١ ـ لاَ عَين ولاَ أثَر لهذا الصّراع في العَـديد مـن البـلاَد الرَّأسماليَّة ، لأَنّ أربَاب العَمل اَستجابوا لمطَالب العمّال ، وتَم بَينهما التّعايش السّلمي ، وعَاش العَامل في مُستوىٰ يَـغبطه عَليه عمّال البلاَد الإِشتراكيَّة .

٢ ـ أنّ الحقّ أو العَدل أو القَانون لاَ يَملك بذَاته أيّة قـوّة تُمكنه من التّحقِيق والتّنفيذ ، وإِنّـما الإِنـتصار والغَـلبة لمَـن يَملك القوّة والقُدرة علىٰ البَقاء مُحقّاً كان أم مُـبطلاً . وعَـليه فنبُوءة مَـاركس بأنّ الطّـبقة لاَ بُـدّ أنْ تَـنتصر ، وأنّ النّـظام الرَّأسمالي لاَ بُدّ أنْ يَندثر ـ مُجرد أمَان وخيَال .

٣ ـ أنّ الجَدل والدّيالكتيك لاَ يَتقدم دَائماً بالُمجتعات إِلىٰ الأَمام والحَياة الأَفضل فَـقد تَـرجـع القَـهقرىٰ بـالإِنقلاَبات الرَّجعيّة ، ومِنها اَختلاف الدّول الإِشتراكيَّة الَّذي بَـلغ اليَـوم أشدّه بين رُوسيا والصّين ، ومن قَبل بَين تيتُو وستَالين ، أمّـا الغَد فهو طَي الكتَمان .



المَال شَيء ولَيس كُلّ شَيء

هذَا الفَصل :

تَحدثنا في الفَصل السّابق مُباشرة حول المَاديّة التّأريخيَّة ، ونَقلنا عن كـتَاب نَقد الاِقتصاد السّياسي لمَاركس أنّـه يَـرد النّشـاط البَشـري وجَـميع الأَعـمال الإِنسانيَّة إلىٰ دوَافع وأسبَاب إقتصاديَّة خَاصّة ، ونُحاول في هذا الفَصل أنْ نُثبت أنّ الاِقتصاد والمَال وحده لاَ يَحل كلّ مشكلَة تُواجه الإِنسَان ، ولاَ يُحقق كلّ مَا يَبتغيه من حيَاته ، فهُناك التّمتع بالصّحة والأَمان ، والتّربيَة السّليمَة ونمُو الشّخصيَّة وتَطورها ، وتكَافؤ الفُرص بين النّاس والقَانون العَادل الَّذي يَخضع لهُ الحَـاكـم والَمحكوم ، ويَضمن الحُرّية لكلّ الأَفراد والمُشاركة في تَوجيه وطَنهم إلىٰ خَـير الجَمِيع .

لاَ بُدّ مَع الخُبز مِن آدَام :

ومَن يَشك في أنّ الاِقتصاد مِن أهم عنَاصر الحيَاة ومُقومَاتها ؟ . كَيف ؟ . وهَل للحيَاة غنىً عن الخَبز ؟ . ولَكن الخُبز شَيء ولَيس كلّ شَيء ... ومَا مـن عَـاقل يَجرؤ علىٰ القَول بأنّ المَال والإِنتاج يحلّ جَـميع المُـعضلات بشـتّىٰ أجـنَاسها وأنوَاعها ، بل إذا تَضخم وترَاكم خَلق لأَهله عَقبات وصعُوبات . فَقد تَقدّم العِـلم ووسَائل الإِنتاج في العَصر الرّاهن ، وتضَاعفت المواد الإِستهلاكية كـمّاً وكَـيفاً ،

فمَاذا كَانت النّتيجة ؟.

تَحول الإِنسَان إِلىٰ آلة تَستهلك، وأصبَح عبداً لها بَعد أنْ كَـانت وصِـيفة له، وضَاعت جَميع القِيم النّبيلة للإِنسَان... كلّ شَيء مُتوافر ومَيسور في الولاَيـات المُتحدة... وأيضاً كلّ أنواع الرَّذيـلة والجَـريمة والفسُـوق والفسَـاد مُـتوَافـرة ومُتكاثرة، وكلّما زَاد الإِنتاج والثّراء في هَذه الولاَيات زَادت الجرَائم والمَآثم.

وأيضَاً زاد الإِنتاج والإِقتصاد في البلاَد الإِشتراكيَّة، ولكـن أهـلها يَشـترون الخُبز بالحُرّيَة، ودولها تتعَايش بسلاَم مع حُماة الشّركات الإِحتكاريَّة العَالميَّة، وتَتسلل من خَلف هذا التّعايش إِلىٰ زيَادة السّـلب والإِسـتغلال، وإِثـارة الفِـتن والمَعارك الأهليَّة وغير الأهليَّة هُنا وهُناك ليَصفو لها الجَوّ وتَتصرف كمَا تَشاء بلاَ حَسيب ورَقِيب.

وفي المُقابل لهَذا التّعايش والتّقارب بَين النّظام الإِشتراكي والرَّأسمالي، نَرىٰ التّباعد والعدَاء اللاَّهب بَين أكبَر وأعظَم دَولتين آشتراكيتَين: رُوسـيا والصّـين! فأينَ المبَاديء والمقَاييس؟. وكَيف صَار العـدوّ المُشـترك صَـديقاً، والصّـديق عدوّاً؟. الصّين تَلتصق بالولاَيات المُتحدة قَائدة الإِستعمار الحَـديث، وتَـلتقي معهَا علىٰ صَعيد واحد، وتَبتعد عَن الرُّوس... وهؤلاء يتَعايشون مع الأمـركيِّين من دُون الصّين!.

وفي تَصوري أنّ هَذِه الجَريمَة الإِشتراكيَّة الرُّوسيَّة الصّينيَّة تُعادل كلّ الجرَائم مُجتمعة، وتتضَاءل أمَامها جرَائم البلاَد الرَّأسماليَّة بالكَامل... وإِذا لم تكُن هَذه الرَّذائل والويلاَت في بلاَد النّظامين من نتَاج المَال ونمُو الإِقتصاد شيئاً ـ فَانّ هذا النّمو لم يُغن عن المُوبقات والمشكلاَت التّي يُعانيها الفَريقَان ـ.

مقيَاس الحضَارة:

نَشرت جَريدة الأَهرام المَصريَّة مقالاً بهذا العُنوان. ولاَ يُريد الكَاتب بكَـلمة

الحضَارة هُنا مُجرد التّقدم فـي التّصنيع وٱختراع الآلاَت وتَشـيِّيد القـصُور والحدَائق وشقّ الطّرقات، بل والثّقافة والوعي ومكَارم الأخلاق والحيَاة الوَادعة الهَادئة، كمَا أشرنَا في الفقرة الأُولىٰ، وكلّ مُحتويات المقَال تَدخل فـي صُـلب المَوضوع الَّذي نَحنُ بصَدده.

مِنها أنّ جمَاعة من ذوي الكفَاءة والإخـتصاص ٱجـتمعوا سـنَة (١٩٧٤م) وبَحثوا عن معيَار يَقيسون به الأُمـم تَـقدّماً وتَـخلفاً، وٱنـتهوا إلىٰ أنّ الـمجتمع الإنساني لاَ يَحيا حيَاة العزّة والكرَامة بالإقتصاد والدّخل وحدَه، بل لاَ بُدّ من ذَلكَ من التّعاضد والتّعاون بَين جَميع أفرَاده وفئَاته علىٰ مَا فيه خَـير وصـلاَح لكـلّ المَواطنين من غَير فَرق بين إنسَان وإنسَان.

وكَان من جُملة مَا قَاله أُولئك العُلماء البَاحثون: أنّ دخل أفراد المُجتمع قـد يَتغير من حِين إلىٰ حِين، فهل يَدل هذا التّغير علىٰ تَغير حيَاة المُجتمع في تقَاليده وعَاداته ؟. وأيضاً قد يَختلف دخل الفَرد ويَتفاوت بَين بَلد وبَـلد، فـهَل يكُـون التّفاوت بَينهما في الحيَاة الكَريمة بمقدَار التّفاوت في الدّخل والإقتصاد[1] ؟.

لقَد جَرت مُقارنة إحصائيّة سنَة (١٩٧٣م) بَين عَدد من البُلدان، فكَان دخل السّويد أعلىٰ مُستوىً من الولاَيات المُتحدة، وبعدهُما جَاءت كَندا، فسويسرا، ففَرنسا، فالدّنمارك، فألمَانيا الغَربيّة. ثُمّ هَبط الدّخل فـي بَـعض هَـذِه البـلاَد، وٱرتفع في بَعضها الآخر، ولَكن الدّين والأَخلاق والآداب بَقيت علىٰ مَا كَـانت دون تَقليم أو تَطعيم، ومَعنىٰ هذا أنّ الصّلة والعلاَقة بَين الحيَاة المَـاديّة والحـيَاة المَعنويّة، لَيست كعلاَقة المَعلول بعلّته التّامة، والمُقدمات الكَافية الوَافية بنَتيجتها الحَتمية كمَا يدّعي مَاركس والمَاركسيون.

---

(١) أُنظر، جَريدة الأَهرام المَصريّة في عَددها الصّادر بتأريخ (١٢ / ٤ / ١٩٧٤م).

الإسلام بَين اليَمين واليَسار :

يَدّعي اليَمينيُون أنّهم أنصَار الحُرّية ، وعلىٰ هـذَا الأَسـاس آخـتاروا النّـظام الرّأسمالي ، ويدّعي اليَساريون أنّهم أنصَار العَدل ، ومـن أجـلهِ حَـبّذوا النّـظام الإشتراكي ، والإِسلام يَـجمع بـين الحُـرّية والعَـدالَـة ، ومـن هُـنا أقـرّ العَـدالة الإجتماعيّة ، وإِلَيها أشَار الرَّسول الأعظمﷺ بقَوله : « كُلكم رَاعٍ ، وكُلّكم مَسئول عن رَعيته ، فالرّجل في أهله راعٍ ، والمَرأة في بَيت زوجها رَاعيةً ... إلخ »[١] .

وَقَالﷺ : « المُؤمن (أَخُو المُؤْمِنِ) كـالجَسد الواحـد ، إذا سَـقط مِـنهُ شَـيءٌ تَداعىٰ سائرُ الجَسد »[٢] .

وعن أبي عبدالله ﷺ أنَّه قال : « المُؤمنُ أَخُو المُـؤمن كـالجَسد الواحـد ، إذا آشتَكَىٰ شَيئاً منهُ وَجد (ألَمَ) ذلك في سائر جَسَده ، لأَنَّ أَرواحَـهم مـن رُوح الله تعالَىٰ ، وَإِنَّ رُوح المُؤمن لأَشدُّ آتّصالاً برُوح الله من آتّـصال (شُـعاع) الشَّـمس بها »[٣] .

وَقَالﷺ : « المُؤمِنُون في تَبارّهم ، وَتراحُمهم ، وَتـعاطُفهم كَـمثَل الجَسَـد إذا

---

(١) أنـظر ، صَـحيح البُـخاري : ٢ / ٨٤٨ح ٢٢٧٨ وص : ٩٠١ح ٢٤١٦ وص : ٩٠٢ح ٢٤١٩ و : ٣ / ١٠١٠ح ٢٦٠٠و : ٥ / ١٩٨٨ح ٤٨٩٢ وص : ١٩٩٦ح ٤٩٠٤و : ٦ / ٢٦١١ح ٦٧١٩ ، صَحيح آبن حِبّان : ١٠ / ٣٤٢ح ٤٤٨٩ ، سُنن التّرمذي : ٤ / ٢٠٨ح ١٧٠٥ ، مَجمع الزّوائد : ٥ / ٢٠٧ ، تَفسير القُرطبي : ٥ / ٢٥٨ ، صَحيح مُسلم : ٣ / ١٤٥٩ح ١٨٢٩ ، عوالي اللّئالي : ١ / ١٢٩ح ٣ ، مُسند أحمَد : ٢ / ١٢١ح ٦٠٢٦ ، السّنن الكُبرىٰ : ٦ / ٢٨٧ ، عُمدة القَاري : ١٢ / ٢٤٨ح ٩٠٤٢ و : ١٣ / ١١٥ح ٨٥٥٢ ، مُسند أبي يَعلىٰ : ٤ / ٣٨٤ح ٧٠٣٩ ، سُنن البَيهقي الكُبرىٰ : ٦ / ٢٨٧ح ١٢٤٦٦ .

(٢) أُنظر ، بحَار الأَنوَار : ٧٤ / ٢٧٣ح ١٥ .

(٣) أُنظر ، الكَافي : ٢ / ١٦٦ح ٤ ، الإِختصَاص للشّـيخ المُـفيد : ٣٢ ، بـحَار الأَنـوار : ٥٨ / ١٤٨ح ٢٥ مُصَادقة الإِخوَان : ٤٨ح ٢ .

آشتَكَىٰ تَداعىٰ لَهُ سَائرهُ بالسَّهَر وَالحُمَّىٰ »[١].

وبمَا أنّ التّقسيم إلىٰ اليَسار والَيمين يَقوم علىٰ أَسَاس حريّة التّصرف في كَسب المَال وآمتلاكه وآدّخاره أو عَدم هَذه الحُـرّية ـ نُشـير إلىٰ أنّ الإسـلام يَـحترم المِلكيّة تمَاماً كمَا يَـحترم الدّمـاء، قَـال الرَّسـول الأعـظمﷺ: «إنّـما دمـاؤكُم وأموَالكُم عَليكم حَرام »[٢]. ولكن الإسلام يَنظر إلىٰ المَال علىٰ أنّه وسِيلة لسـدّ الحَاجَات الضّروريّة والكمَاليّة، وما زَاد فهو إسراف وتَبذير مُحرّم لقَوله تـعَالىٰ: ﴿وَلَاتُبَذِّرْ تَبْذِيرًاإِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْإِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾[٣].

وأيضَاً حرّم الإسلام الإستغلال والإحتكار وقَال: «مَن آحتكر طعَاماً يُريد به الغلاَء فَقد بريء من الله، وبَريء الله منهُ »[٤]. وأحلّ الإسلام الإمتلاك وآدّخـار

---

(١) أُنظر، بحَار الأنوَار: ٧٤ / ٢٧٤ ح ١٩، المُستَدرك: ١٢ / ٤٢٤ ح ١٠، ذكـر أخـبَار إصـبهان لأبـي نَعيم: ٢ / ٧٣، طَبعة بريل ليدن بإختلاَف يَسير في المَتن وَالسَّند. وأُنظر، صَحيح البُخاري: ٥ / ٢٢٣٨ ح ٥٦٦٥، مُسنَد أحمَد: ٤ / ٢٧٠، حَديث خُثيمة: ١ / ٧٤، مُسنَد الشَّاميِّين: ١ / ٢٩٤ ح ٥١٢، مُسنَد الشّهاب: ٢ / ٢٨٣ ح ١٣٦٦ و ١٣٦٨، كتَاب الأربَعُون للبَيهَقي: ١٥٠، كتَاب أمثَال الحَديث: ١ / ٨٢ ح ٤١، كَنز العُمَّال: ١ / ١٥٣ ح ٧٥٨، تَأريخ دمشـق: ٢٢ / ١٦٨، النّهاية فـي غـريب الحَـديث: ٢ / ١٢١، أحكَام القُرآن للجَصَّاص: ٣ / ٣٩٨، تَـفسير آبـن كَـثِير: ٢ / ٣٨٣ و: ٤ / ٢١٨، طَـبقات الُمحدثين بِأصبهَان: ٤ / ٢٢٨ ح ٢٩، صَحيح مُسلم: ٤ / ١٩٩٩ ح ٢٥٨٦، سُنن البَـيهقي الكُـبرىٰ: ٣ / ٣٥٣ ح ٦٢٢٣، المُعجَم الصَّغِير: ١ / ٢٣٥ ح ٣٨٢، الإيمَان لإبن مُنده: ١ / ٤٥٥ ح ٣١٩، شُعب الإيمَان: ٦ / ٤٨١ ح ٨٩٨٥، الإحكَام لإبن حَزم: ٥ / ٣٤.

(٢) أُنظر، نَيلُ الأوطَار للشُّوكَاني: ٤ / ١٨٢، مَجمع الزّوائد ومَنبع الفوَائد للهيثمي الشّافعي: ٣ / ٢٧٠، شَرح معَاني الآثار لأحمد بن مُحمَّد بن سَلمة: ٤ / ١٥٩، معرفَة السّـنن وَالآثَـار لـلبَيهقي: ٧ / ٥٤، أحكَام القُرآن للجَصَّاص: ٢ / ٩٢، تَفسير القُرطُبي: ١٦ / ٣٣٧، الإحكَام لإبن حَزم: ٢ / ١٥٣.

(٣) الإسرَاء: ٢٦ ـ ٢٧.

(٤) أُنظر، فَتح العَزِيز شَرح الوَجيز لعَبدالكَريم الرَّافعي: ٨ / ٢١٦، المَجمُوع لمُـحيي الدِّيـن النَّـوويّ: ↔

الفَائض من المَال لتأمين الحيَاة في المُستقبل البَعيد، قَال الإمام عَليّ عليه السلام: «أعمل لدُنياك كأنّك تَعيش أبداً ـ أي مَع الأجيَال إلىٰ يَوم يُبعثُون ـ وأعمل لآخرتك كأنَّك تمُوت غداً» أي أتقّ الله في عَملك لدُنيَاك[1].

والشّرط الأساس في المِلكية أنْ تكُون من حلّ لاَ من غَصب أو غُش أو ربَا، لأنّه أمتلاك بلاَ مُقابل، أمّا شَرط الإدّخار فهو أدَاء الوَاجب المَالي كالخُمس والزّكاة.

والنّتيجة الحَتمية لهَذه التّعاليم الإسلاميّة وغَيرها، أنّ الإسلام يَرفض النّظام الرّأسمالي الّذي يَستغل ويَحتكر، وأيضاً يَرفض النّظام الإشتراكي، لأنّـه يُـلغي حرّية الفَرد، ويُجرده من أنسَانيته، وهَذا عَين الجَور والعُدوان.

ويَقف الإسلام مَوقفاً وسطَاً: لاَ إشتراكية تَسحق الفَرد، ولاَ رأسماليَة تَستغل وتُقسم النّاس إلىٰ طَبقات علىٰ أسَاس المَال والعَيش، بل تكَافل وتضَامن بـين الفَرد والجَماعَة، هي مَسؤولة عنه، وهو مَسؤول عَنها، وبهذا يَتم الجَمع بين العَدل والحُرّية، ويُمكن التّعبير عن ذَلكَ بالعَدالة الإجتماعيّة[2].

وبَهذه المُناسبة نُشير إلىٰ ما قَاله الفَيلسُوف الإنجلِيزي الشّهير (رُسل): «أعترف بأنّي أفضل أنْ أرىٰ العَالَم كلُّه مَسيحياً علىٰ أنْ أرَاه مَاركسياً، فأنَـا

١٣/ ٤٥، حاشية رد المحتار، لإبن عَابدين: ٦/ ٧١٨، المُحلىٰ لإبن حَزم: ٩/ ٦٤، تلخِيص الحَبير لإبن حَجر: ٨/ ٢١٦ح ١ و ٢، مُسنَد أحمَد: ٢/ ٣٣، مُستَدرك الحَاكم الحَسكاني: ٢/ ١٢، مُسند أبي يعلىٰ: ١٠/ ١١٧، الدّرَايَة في تَخريج أحَاديث الهدَاية: ٢/ ٢٣٤.

(١) أُنظر، تَحرير الأحكَام للعلاّمة الحلي: ٢/ ٢٤٩، تَفسير القُرطُبي: ٤/ ٣٥، مَن لاَ يَحضره الفَقيه: ٣/ ٩٤ح ٣٥٦، مَعَاني الأخبَار للنّحاس: ٦/ ٣٠٥، وسَائل الشّيعة: ١٧/ ٧٦ح ٢، فَيض القَدير شَرح الجَامع الصّغير: ٢/ ١٦، كَنز العُمّال: ٥/ ٥٨١، تَنبيه الخوَاطر: ٢/ ٢٣٤.

(٢) قَرأتُ في صُحف (٢٥/ ٩/ ١٩٧٧م) أنّ نَقص الغِذاء يُهدد فُقراء العَالَم، والولاَيات المُتحدة تَرفض زرَاعة (٦٠) مليون فدّان، وتَدفع تَعويضات للمُزارعين لتُحافظ علىٰ أرتفَاع الأسعار، ولَـو أخـذت بنظَام العَدالة الإجتماعيّة حقّاً ووَاقعاً لشجّعت الزّرَاعَة.

أعرف الإيمان المَاركسي أكثَر من أي إيمان آخر... ولَكن لستُ مُستعداً بأي حَال من الأَحوال أنْ أقبَل بوجهة نَظر مَن يَرىٰ التّماسك الإجتماعي مُستحيلاً »[١].

ومَعنىٰ كلاَم (رُسل) هذا أنّه يُفضل أنْ يَسود التّماسك الإجتماعي بَين النّاس علىٰ أنْ تَسود المَسيحية ، لأنّ المَسيحيِّين مُتعصبون ، بدَليل قَوله : « في المَعارك الأُولىٰ بَين المَسيحية والإسلام كان المَسيحيون هُم المُتعصبين ، والمُسلمون هم المُنتصرين ، وقَد ٱخترعت الدّعاية المَسيحية قصصاً عن التّعصب الإسلامي ، ولكنّها جميعاً كَاذبة... فَقد تَعلم كلّ مُسيحي قصّة الخَليفة الّذي دمّر مَكتبة الإسكندريّة ، وفي الوَاقع لقد دُمرت هَذِه المَكتبة مرَاراً ، وكان أوّل من دَمرها هو (يوليوس قيصر)... وقَد تَسامح المُسلمون علىٰ نَقيض المَسيحيِّين مع أهل الكتَاب... وهَذا ما سهّل عَليهم فتُوحات كَثيرَة »[٢].

يُريد بقصّة الخَليفة أنّ المُبشرين ضدّ الإسلام من المَسيحيِّين قَد نَسبوا زُوراً وبُهتاناً إلىٰ عُمر بن الخطّاب حَرق مَكتبة الإسكندريّة معَ العِلم بأنّ أوّل من أحرقهَا (قيصر المسيحي). وفي كتَاب الإسلام والنّصرانيّة للشّيخ مُحَمَّد عَبده أنّ أوّل من أحرَقها قَيصر ، ومن بَعده بطريرك الإسكندريّة بقَصد إثارة الفِتنة والثّورة ، ومن بَعده (تيوفيل المسيحي) ، ثُم أتىٰ علىٰ البَقية (سيريل)!. وهَكذا يَرتكبون أكبر الجرَائم ضدّ العِلم والإنسانيّة ، ويَنسبونها إلىٰ المُسلِمين حقداً وتَعصباً.

---

(١) أنظر ، الفَيلسُوف الإنجلِيزي الشّهير (رُسل) في كتَاب المُجتمع البَشري تَرجمة عَبدالكَريم أحمَد : ١٩٢.

(٢) أُنظر ، الفَيلسُوف الإنجلِيزي الشّهير (رُسل) في كتَاب المُجتمع البَشري تَرجمة عَبدالكَريم أحمَد : ١٩٣.

المَنْهج المُتّبع
في الرَّياضيَّات والطّبيعيَّات والفَلسفَة

المَنْهج :

والمُراد بالمَنهج هُنا الطَّريقة المُتّبعة في درَاسة المَوضوع ، وهو يَتعدد ويَتنوع تَبعاً لتَعدد العِلم وتَنوعه ، وبكَلمة مَنهج كلّ عِلم أو مَوضوع بحَسبه . وقِيل : يَنبغي أنْ تَبحث كلّ العُلوم بأُسلوب وَاحد وهو الحسّ والتّجربة تماماً كالعُلوم الطّبيعيّة !. وهَذا القول يَحجر علىٰ العَقل أنْ يُترجم عن نَفسه ، ويَسدّ بَاب العِلم إلاَّ المادّي الإلحَادي .

مَنهج العُلوم الرّياضيّة :

لَيست الرَّياضيَّات علماً تَجريبياً يَفتقر إلىٰ مُختبرات وآلات ، وإنّما هي عِلم عَقلي مِثل « ١ + ١ = ٢ » والرَّياضيَّات تَعم وتَشمل الحسَاب والجَبر والهَندسة والفَلك والمِيكانيك وهو عِلم يَدرس الزّمن والحَركة والقوّة .

وقَال أصحَاب المَذهب العَقلي : أنّ الحقائق الرَّياضيَّة هي من إبداع العَقل وحدَه ، ولاَ تَستند إلىٰ أذن أو عَين أو أيّة قوّة خَارجة عن الذّات .

وقَال أصحَاب المَذهب الحسّي التّجريبي : أنّ المعَاني الرَّياضيَّة مُنتزعة من صُورة الأشيَاء الماديَّة المَحسوسة ، تَرىٰ العَين هذَا وذَاك ماثلَين أمَامها ، فيَنتزع

العَقل الاِثنينيَّة منهُما مُجتمعين مع أنّ هَذِه الاِثنينيَّة غير مَوجُودة في الخَارج وجوداً مُستقلاً.

وسَبقت الإِشارة أنّ للعَقل أحكَاماً فِطرية مُستقلة، وأحكاماً أُخرىٰ هي نَتيجة التّفاعل بَينه وبَين ما ترَاه العَين من أَشيَاء الطّبيعة. وعلىٰ أيّة حال فإنّ المَنهج الرّياضي هو إِستنباط عَقلي لحَقيقة من حَقيقة سَابقة عليها كالمثَال السّابق والآتي في الفِقرة التّالية.

الإِستدلاَل الرّياضي والقِياسي المَنطقي:

الإِستدلال الرَّياضي صَادق أبداً ودَائماً حتماً وبالضَّرورة، ويَتسحيل الكَذب في حقّه، لأنّ النّتيجة تَنبع وتَتبع مُقدَّمَة وَاحدة تَنطوي علىٰ نَفس النّتيجة مثل

المُتساويَات لثَالث مُتساويان

فالمُقدّمة: المُتساويَان لثَالث

والنّتيجة: مُتساويَان

أمّا نَتيجة القِياس المَنطقي: فإنّها تَصدر من مُقدّمتين أو أكثَر، ولاَ تَصدق علىٰ كلّ حال، بَل تَدور مدَار مُقدّماتها صِدقاً أو كذبَاً. **ومثَال الصّادقة:**

سُقراط إنسَان

وكُلّ إنسَان فَان

فسُقراط فَان

ومِثَال الكَاذبة:

سُقراط فَيلسوف
وكلّ فَيلسُوف يَعيش مِئة سنَة

فسُقراط عَاش مِئة سنَة

مَنهج الطّبيعيّات:

تَخضع الطّبيعيّات بشتّىٰ أنوَاعـها للـمُلاَحظة والتّـجربَة، وهَـذا هـو السّـبب الأسَاس لحَاجتها إلىٰ المختبرات والآلات عـلىٰ عَكس الرّيـاضيّات، وقَسّـموا العُلوم الطّبيعيّة إلىٰ قِسمين أسَاسيّين:

١ ـ العُلوم الفِيزيائيّة والكِيمائيّة، وتَبحث في ظوَاهر المادّة الجَامدة فَقط.

٢ ـ العُلوم الحَيويّة، وتَبحث في الكَائنات الحيّة وتَطورها.

ويَدخل في كلّ من هَذين القِسـمين عُـلوم فَـرعيّة ومُـختلفة، تُـدَرّس فـي الجَامعَات، وقَد يُنسخ بَعضها ويُصبح في خَبر كان حَيث تُغني عنهُ عُلوم جَديدة لَم تَكن في الحُسبان، فقد أثبَت العِلم الحَديث أنّ الكَون آخذ في التّوسع بسُرعة فَائقة، ونصّ القُرآن الكَريم علىٰ ذَلكَ بصرَاحة ووضُوح فـي الآيَـة: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[1].

وأخيراً فإنّ مَنهج الطّبيعيّات هـو الحسّ والتّـجربة والفَـرض عـندما يكُـون السّبب غَير واضح[2]. وزيَادة في التّوضيح نُجمل فيما يَلي وجه الفَرق بَين المَنهج الرّياضي والطّبيعي.

---

(١) الذّاريات: ٤٧.

(٢) أُنظر، فَصل المَنهج العِلمي في الإسلاَم من هذَا الكتَاب، فقرة ضَرورة الفَرض.

بَين المَنهج الرّياضي والطّبيعي :

ممّا تقدّم يَتبين معنَا أنّ المَنهج الرَّياضي لاَ يَشترط فيه شَيء سوىٰ اَتّساق الفِكر مع نَفسه بغَض النّظر عن الواقع ، وإِنّه لاَ دَاعي إِلىٰ الإِستقراء وتكرَار الأمثلَة للأَختبار والتّثبت ، لأَنّ القَضايا الرّياضيّة قَطعيّة وتَحليليّة ، تَحمل صِدقها في صُلب تكوينهَا ، ولاَ تَقبل شكاً ولاَ نقداً بأيّة حَال ، وأي عَاقل يشك أنّ المُثلث له ثلاَثة أضلاَع ، وأنّ الواحد نِصف الاِثنين ؟ .

أمّا القضَايا الطّبيعيّة فصدقها مَرهون بموَافقتها للوَاقع المُستقل عنها والخَارج عن حدُودها مِثل هَذِه النّبتة فِيها مادّة سَامّة حَيث لاَ شيء يَدل علىٰ الصّدق أو الكَذب إِلاّ التّجربَة والإِختبار ، ومن هُنا اَتّفق العُلماء علىٰ أنّ الحَقيقة الطّبيعيّة لاَ تَثْبت إلاَّ إِذا توَافرت فيها الشّروط التّاليَة :

١ ـ المُلاَحظة والتّجربَة .

٢ ـ تكرَار التّجربة علىٰ عَدد غَير قَليل من الأَفرَاد .

٣ ـ أنْ تكُون نَتيجة التّجربة وَاحدة .

٤ ـ اَستنتاج الحَقيقة الطّبيعيّة بشَرط أنْ يكُون عمُومها وشمُولها لكلّ فَرد علىٰ سَبيل الرَّجحان لاَ علىٰ سَبيل الجَزم والقَطع إِذْ مِن الجَائز أنْ لاَ يكُون جَميع الأَفراد علىٰ نَسق وَاحد .

الفَلسفَة مَنْهج المناهج :

لاَ أحد يشك في أنّ العُلوم الرّياضيّة والطّبيعيّة هي الأَساس والمقيَاس لنمُو الحيَاة وتَطورها نَحو الرُّقي والرَّخاء ، فَقد كان للعِلم وما زَال تَأثيره العَميق في حيَاة الإِنسَان الماديّة والإِجتماعيّة والثّقافيّة ، بل يَستحيل العَيش في عَصرنا الرّاهن بدُون العِلم .

أمّا الفَلسفَة فَقد حَامت الشّكوك حَولها حتّىٰ قِيل: هي من لَغو الحَديث، وقَال آخر: أنّها تُعقد الوَاضحات، وتَعجز عن حلّ المشكلات. وتَقدم مِثل هذا القَول مع نَقده وردّه في فَصل الوضعيّة المَنطقيّة فقرة فَلسفة التّحليل. وقَال (رُسل) في كتَاب الفَلسفَة بنظرَة عِلمية (الفَصل الأوّل) ما نصّه بالحَرف:

«هُناك طَائفة من المشكلاَت يَجد النّاس في بحثها لذّة، ومع ذَلكَ هي لَيست ممّا تَبحثه العُلوم في يُومنا الحَاضر، وهي مشكلاَت تَتميز كلّها بأنّها تُثير الشّك فيَما يَقع عند عَامّة النّاس مَوقع التّسليم، فإذا أردت إزالة هَذه الشّكوك، لم يكُن لكَ بُدّ من درَاسة خَاصّة هي التّي نَطلق عَليها اسم الفَلسفَة».

ومَعنىٰ هذا الكلاَم أنّ أي شيء لاَ يمت بصلَة إلىٰ العُلوم الطّبيعيّة والرّياضيّة لاَ يَنبغي الخوض فيه بحَال، ولكن النّاس يَجدون مُتعة فـي الحَـديث عـمّا وراء الطّبيعة ومَصِير الإنسَان بَعد المَوت والتّوفيق بين العَقل والوحي، ومَا إلىٰ ذَلكَ ممّا تَبحثه الفَلسفَة، فأوجدهَا للكلاَم عن هَذِه الأُمور وإلاّ فهي كلاَم فَارغ عند رُسل، لأنّه مِن أنصَار الوضعيّة المَنطقيّة التّي لاَ تُؤمن بوجُود شيء إطلاَقاً إلاّ إذا لمسَته اليَد أو رَأته العَين[١].

وقرأتُ للفَلسفة العَديد من التّعريفَات، وخلاَصة كلّ مَا قِيل أو يُمكن أنْ يُقال في تَعريفها أنّ الفَلسفَة هي العِلم العَقلي المُنظم الّذي يَبحث عن الدّعائم الأُولىٰ للمَعرفة أيّاً كان نَوعها، وعلىٰ ذَلكَ تكُون الفَلسفَة هي المَنهج والتّخطيط العَقلي لكلّ تَفكير قَويم علماً كان أو مَنهجاً أو أي شيء لاَ غِنىٰ لهُ عن التّعقل والتّكامل، وعَلىٰ ذَلكَ فلاَ مَنهج للفَلسفة لأنّها هي المَبدأ الأوّل لكلّ مَنهج، ومَا عدَاها مـن المنَاهج مُجرد فُروع عَنها، ولو كَان لهَا مَنهج لكَـان هـو الأَسـبق فـي التّـفكير

(١) أُنظر، فَصل الوضعيّة المَنطقيّة من هَذا الكتَاب.

والتّعقل، وذَلكَ خلاَف الفَرض.

ويَدعم هذا ويُؤكده قَول الفَيلسُوف الإنجلِيزي (سبنسر): أنّ حَظيرة الفَلسفَة تَعم وتَشمل الآلة والطّبيعَة والإنسَان... فَهي تَجمع هَذه الحقَائق وتَكملها... وقَد شبّه بَعضهم العِلم بنَهر يَجري في أرض مُستوية واضحة، ولكنّه مَجهول المَـنبع والمصَب، والفَلسفَة هي التّي تَكشف عن منَابع العِلم وتَجلو لنَا الغَامض من نتَائجه».

بَين المَعرفَة الفَلسفيّة والعِلميّة:

وذَكر أحد الفَلاَسفَة ثلاَثة وجُوه للفَرق بَين المَعرفة الفَلسفيَّة والعِلميَّة، نَختم بهَا هذا الفَصل.

١ ـ أنّ المَعرفة الفَلسفيَّة لاَ تَقتصر عَلىٰ درَاسة الظّواهر، بل تُغوص عـلىٰ الحـقَائق العَـميقَة، فـتبحث فـي الوجُـود والجَوهر، وتَبتغي الوصُول إلىٰ الحقَائق المُطلقة.

٢ ـ المَعرفة العِلميَّة تَكتفي بدرَاسة الأسباب المُـباشرة، أمّـا المَـعرفة الفَـلسفيَّة فـتبحث عـن الأسـباب القُـصوىٰ والمبَاديء الأُولىٰ.

٣ ـ المَعرفة الفَلسفيَّة أكثر تَعميماً من المَعرفة العِـلميَّة، ولكـنّها تـتّفق بكَـاملها عـلىٰ أنّ أهـم مُـميزات الفَـلسفَة وخصَائصها عـن الحَـقيقة عـلىٰ قَـدر الطّـاقة العَـاقلة مـن الإنسَان، وهَذه الطّاقة والقُدرة هي المَصدر والأَساس لكـلّ مَا يَقتنع به الفَيلسُوف من حقَائق. وعَليه يسوغ لكَ أنْ تُسمّي هَذه القُدرة العَقليَّة مَنهجاً عَامّاً تَندرج تَحته كلّ المنَاهج أيّـاً كان نَوعها.

السّبب والمُسَبب

مَعنىٰ السَّببيَّة وأقسَامها :

توجّه السَّببيَّة وتتّحقق بَين شَيئين إذا كان بَينهما عُـلاَقة ضَـرورية تَسـتدعي وجُود أحدهُما عِند وجُود الآخر، وتَنقسم السَّببيَّة إلىٰ أقسَام تبعاً لنَوع الموضُوع وطَبيعته، وإلَيك البَيان :

١ ـ السَّببيَّة العَقليَّة، وهي التّي يُدركها العَقل تلقائياً وبلاَ مَعونة الحسّ والتّجربة كالتّلازم والتّلاحم بَين وجود البـنَاء ووجُود البَاني، والجنَاية والجَاني[1].

٢ ـ السَّببيَّة الإنسانيَّة أو الإراديَّة، قُل مَا شِـئت، وهـي العلاَقة بَين السّبب والمُسبب إختياريَّة كالتلاَزم بَـين أفـعَال

(١) في نَهج البلاَغة : «فَبالإيمَانِ يُسـتَدَلُّ عـلىٰ الصَّـالحَات، وبـالصَّالحَات يُسـتَدلُّ عـلىٰ الإيـمَان، وبالإيمَان يُعمَرُ العِلم، وَبالعِلم يُرهبُ المَوتُ، وبالمَوت تُختمُ الدُّنيَا، وبالدُّنيَا تُحرَزُ الآخرةُ، وَبالقيامَة تُزلَفُ الجَنَّةُ، وَتُبرَّزُ الجَحيمُ للغَاوِين، وَإنَّ الخَلقَ لاَ مَقصر لَهُم عَن القِيامة مُرقلِينَ في مـضمَارهَا إلىٰ الغَايَة القُصوىٰ». أنظر، نَهج البَلاَغَة : مِن كلاَمٍ لهُ عليه السلام لأَهل البَصرَة رَقم (١٥٦).

والإيمان هُنا سَبب، والصّالحات مُسبب، والقُدامىٰ يُسمون الإستدلال بـالسَبب عَـلىٰ المُسـبب البُرهان اللّمي من (لم) والإستدلال بالمُسبب علىٰ المُسبب البُرهان الآتي من (أنّ) المُشدّدة والمُراد بها الثّبوت والوجُود.

الإِنسَان والرَّغبة فِيها والدّافع إلَيها.

٣ ـ السَّببيَّة الطَّبيعيَّة البَديهيَّة التّي لاَ تَـفتقر مَـعرفتها إِلىٰ الحسّ والتّجربَة كالّثمرة علىٰ الشّجرَة والجَريان في المَـاء، فكلّنا يَعلم بالبَديهيَة أنّ المَاء يَـجري بـطَبعه، وأنّ الشّـجرة الحيّة النّاميَة تُورق وتَزهر وتَثمر آلياً وطَبيعياً.

وهَذه الأَقسام الثّـلاثة لَـيست مـحلاً للشّك حـتَّىٰ تُـثير التّساؤل والجَدل.

٤ ـ السَّببيَّة الطّبيعيَّة النّظريَة التّي تَحتاج إلىٰ الإِمـتحان والخِبرَة الحسيَّة... وأنكَر هَذه السّببيَّة العَديد مـن فـلاَسفَة العَصر الرَّاهن تَبعاً للفَيلسوف المثَالي الإِنجلِيزي الَّذي قَال: «لاَ يُمكن أنْ نَستخلص وجُود عِلاَقة بين العِـلّة والمَـعلول بالحَدس أو بالتّحليل أو بالبُرهان، فإِذا سَبقت ظَاهرة ظَاهرة أُخرىٰ فـلاَ يُـمكن أنْ نَسـتخلص أنَّ الأُولىٰ عـلّة والثّـانيَة مَعلول، وحتَّىٰ أشد الأحداث تكراراً لاَ تُعطينا مَـعرفة بـقوّة خَفيَة ـ يُريد العلاَقة العِلّية ـ بها يَسبق الشّيء الشّيء الآخر».

ومَثَّل أنصَار (هيوم) للتتَابع والتّقارن بَـين ظَـاهرتين، بـهبُوب الرَّيـح يَـتبعه آضطراب أموَاج البَحر وآقتلاع الشّجر، إنْ تَك الرَّيح عَاصفة، وأيضاً مثّلوا بتَمدد المَعدن بالحرَارة، ومَا إِلىٰ ذَلكَ من الأَحداث المُتلاَصقة المُـتجاورة فـي آطـراد مُستمر... وقَالوا: لاَ داعي لإِفتراض العلاَقة السَّببيَّة في شيء مـن ذَلكَ، وإِنّـما نشأت فِكرة السَّببيَّة من العَادة ورُؤية الإِقتران المُطرد لاَ مِن نَفس الوَاقع ولاَ من الفِطرة وبَديهة العَقل تماماً كمَا نشأت فِكرة دوران الشّـمس حَـول الأَرض مـن

مُجرد الرَّوية عِلماً بأنّ الأَرض هي التّي تَدور حَول الشّمس.

الدّليل العَليل والإجَابة عنهُ:

واَستدلوا علىٰ ذَلكَ بأنّهم يُشاهدون شيئاً يُسمّىٰ قوّة أو علاَقة بين الظّاهرتَين، وكلّ الّذي رَأوا ولاَحظوا هو اَقترَانهما في الوجُود، واَقتران الأَشيَاء المَحسوسة شَيء، والقوّة والعلاَقة التّي لاَ تَمتد إلَيها الخِبرَة الحسيَّة شيء آخر، أجَل لاَ بأس بالقَول: أنّ في أعمَاق الطّبيعة قوَانين تَربط وتَلصق حَادثة بأُخرىٰ في عَالم الخَارج المَحسوس لاَ في عَالم العَقل والإدراك بحَيث يكُون هُناك قَاعدة كلّية وقَبلية **تقول**: لكلّ حَادثة سَبب. أبداً لاَ شيء فِطري غَريزي من هَذا النّظير، لأَنّ العَقل يُمكنهُ أنْ يَتصور وجُود الشّيء بلاَ سَبب مُوجب!.

الجوَاب:

١ ـ أنّ الوجُود لاَ يَنحصر بما يَقع تحت الحوَاس. فكَم في أنفسنَا وفي الآفَاق أشيَاء وقوىٰ هي فَوق الحسّ، نُؤمن بوجُودها عن طَريق العِلم بآثَارها وثمَارها المَحسوسَة المَلموسة، وسَبق القَول في ذَلكَ مُفصلاً.

٢ ـ أنّ العَقل يُدرك بصُورة فِطرية وقَبلية مُستقلة عن الحسّ والتّجربة ـ أنّ لكلّ حَادثة سَبباً، وأنّ المُمكن مَا لَم يَجب مَا لَم يُوجد، يُدرك العَقل ذَلكَ كمَبدأ عامّ ونَظري مُجرد، ثُمّ يَأتي دور التّطبيق بَعد المُلاحظة والتّجربة التّي نَكشف بوَاسطتها وجود العلاَقة السَّببيَّة بين الحَادثتَين المُتشابكتَين، وأنّهما من أفرَاد ذَاك المَبدأ العَامّ.

ومَن يَرفض هذا المَبدأ فإنّه يَقع لاَ محالة في مشكلة

الصّدفة المُستحيلة حَيث لاَ فرض ثَالث هُناك.

الهِندي والأرض:

في كتَاب الفَلسفَة بنَظرة عِلمية (لرسل) مَا نصّه بالحَرف: «إنّنا لاَ نُلاحظ إلاَّ الأحدَاث في تتَابعها المُطرد، ومن اطرَاد التّتابع تتَألف القوَانين الطّبيعيَّة، أمّا لمَاذا كَانت هَذِه القوَانين فَشيء لاَ يأتي عن طَريق الخِبرَة الحسيَّة، ولو حَاولنا تَعليل القوَانين لإحتاج التّعليل إلىٰ تَعليل، وهَكذا إلىٰ ثَالث وهلُم جرَا، وعِندئذٍ نكُون كالهِندي الَّذي سَأل: لمَاذا لاَ تَسقط الأرض؟.

وأجَاب نَفسه بقَوله: لأنّها تَستند إلىٰ فِيل.

ثُمّ سَأل مرّة أُخرىٰ: ولمَاذا لاَ يَسقط الفِيل؟.

وأجَاب نَفسه: لأنَّه يَستند إلىٰ سُلحفَاة؛ ولكنّه سَأل لمَاذا لاَ تَسقط السّلحفاة؟ فَأخذتهُ الرَّبكَة وقَال: أنّه قَد ملّ البَحث ولاَ يُريد المُضي فيه»[1].

أجَل لَقد عَجز هذَا الهِندي عن المَعرفة والإدراك بأنّ الأرض تَدور في فَلكها بفِعل الجَاذبية، ولَكن هَل يسوغ لعَاقل أنْ يتّخذ من عَجز الهِندي دَليلاً عَلىٰ نَفي الجَاذبية؟ أنّ العَالِم بحقّ إذا بَحث عَن شيء ولَم يَحط به عِلماً يَسأل من هُو أدرىٰ وأعلَم، ولاَ يتّخذ من جَهله دليلاً علىٰ النّفي، ويقُول العِلم والمُحققون من العُلماء: أنّ الإستقراء شَاهد عَادل وفَاحص، وأنّه أصل أصِيل لكلّ قَانون من قوَانين الطّبيعة، وكلّنا يَعلم أنّ أهم مَا يَمتاز به القَانون الطّبيعي أمرَان:

الأوّل: أنْ يَسقط ما هو خَاصّ من جوَانب المَوضوع، ويَستبقىٰ مَا هو عَامّ منهُ. **الأمر الثّاني**: أنْ يكُون علىٰ سَبيل الحَتم والجَزم، ولَن يكون كذَلك إلاَّ علىٰ

---

(١) أُنظر، كتَاب الفَلسفَة بنَظرة عِلمية (لرسل) تَرجمة زَكي نَجيب مَحمُود: ١٠٢.

أسَاس وجُود العلاَقة السَّببيَّة ومَبدأ العِلِّية حيث لاَ شيء سوَاه إلاَّ الصّدفة وهي مُستحيلَة كمَا أشرنَا.

وتَسأل: وأيّة جَدوىٰ من هذا الكلاَم والخلاَف ما دَام الإتّفاق قَائماً بَين الجَميع عَلىٰ تلاَزم الظّاهرتَين أبداً ودَائماً؟ وهل من ضَرورة إلىٰ التّعليل والتّحليل؟.

الجوَاب:

أنّ ثَمرة الخلاَف هُنا مهمّة وخَطيرة جدّاً، لأنّه لولاَ مَبدأ العِلِّية والعلاَقة السَّببيَّة لاَ نَسد العِلم بالقوَانين والقوَاعد الكلّية، وتَعذر التّنبوء بأي شيء، ومَعنىٰ هَذا إنسداد بَاب العُلوم من الأَساس حيث لاَ عِلم بلاَ قوَانين ومبَادىء عَامّة، وفَوق ذَلكَ تَتعذر إقامة الدّليل عَلىٰ وجُود الخَالق، لأنّه، وهَذي هي الحَال، لاَ نَستطيع أنْ نُثبت وجُود قوّة ورَاء الطّبيعة تكُون علّة لوجُودها وتَدبيرها: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1].

(١) التّوبة: ٣٢.



الفَلسفَة القُرآنيَّة

دَعوَة القُرآن:

القُرآن كتَاب الله إلىٰ عِبَاده، يَدعوُهم فيهِ أنْ يَستقيموا علىٰ صرَاط الحقّ والعَدل فيَما يقُولون ويتصَرفون، ويُبشر مَن أطَاع بالخَير والثّواب، ويُنذر العَاصي بالشرّ والعقَاب... فإنْ تجَاوز القُرآن ذَلكَ فالىٰ مَا فيه مَثل وعِبرة لمَن يَتذكر أو يَخشىٰ، وإلىٰ هذَا أشَار سُبحانه بقَوله: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

وَأشَار سُبحانه وتَعالىٰ بقَوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾[2].

ومِن هَذه الأَمثَال مَا يَصلح مادّة لعِلم التّأريخ وآثَار الأُمم المَاضيَة، أو للجُغرافيَا والفَلك، أو لعِلم الطّبيعة والأَخلاق، أو التّشريع ومَا أشبَه، ومِنها ما يَصلح مادّة للفَلسفَة كالبَحث عمّا ورَاء الطّبيعة، وسَبب الخَلق، وصفَات الخَالق، ومصَادر المَعرفة ومكَانة العِلم والعَقل، وحرّية الإنسَان وعلاَقته بخَالقه ومَصيره بَعد مَوته... إلىٰ غَير ذَلكَ.

---

(١) إبرَاهيم: ٢٥.

(٢) العَنكبوت: ٤٢.

وفِيما يَلي نَعرض طَرفاً من هَذِه المواضيع التّي تَبحث فـي كُـتب الفَـلسفَة، ونُفسّرها تَفسِيراً يَستقِيم مع ظَاهر القُرآن ومبَادئه.

عِلم الكلاَم لاَ يَكفي :

في سنَة (١٩٧٦ م) درّست في دَار التّبليغ بقُمّ فَلسفَة الأَخلاق فـي الإِسـلام والفِقه علىٰ المَذاهب الخَمسة، وفي ذَات لَيلة دعَاني أحـد التّـجار بـطهرَان إلىٰ العشَاء، فأجبتهُ علىٰ غَير عِلم منّي بأَسباب الدّعوة، ولدىٰ وصُولي إلىٰ بَيته رأيتُ ثلّة من حملَة الشّهادات العَالية، ومَا آستقر بي الجلُوس حتّىٰ وجهّوا إليّ أنوَاعاً مِن الأَسئلَة، وآستمر السّؤال والجوَاب من السّاعة السّابعة مسَـاءً إلىٰ الوَاحـدة والنّصف.

وكَان من بَينها هذَا السّؤال : مَا رَأيك في الكُتب التّي تَـتحدث عـن الفَـلسفَة الإِسلاميّة ؟ هَل تُمثّل هَذِه الفَلسفَة حقّاً وصِدقاً ؟

قُلتُ : لاَ بُدّ أوّلاً من تَحديد مَعنىٰ الفَلسفَة الإِسلاميّة : هل المُـراد بـها مُـجرد الدّعم والتّبرير للدّيانة الإِسلاميّة والدّفاع عَنها بمَنطق العَقل، أو أنّ المُراد الهَدف العَامّ الّذي تُقاس به جَميع قِيم الإِسلام وتعَاليمه دون آستثنَاء ؟

فَإنْ أُريد المَعنىٰ الأَوّل فعِلم الكلاَم الإِسلامي يُؤدي هذا الغَرض، مَا في ذَلكَ رَيب، وإنْ أُريد المَعنىٰ الثّاني فعِلم الكلاَم لاَ يَفي بذَلك، لأنّه يُحامي عَن العَقيدَة وكَفىٰ، ومن هُنا سُمّي بعِلم التّوحيد أيضاً.

الفَلسفَة القُرآنيّة :

أنّ القُرآن بعَقيدته وشَريعته وجَميع مبَادئه وتَعاليمه، يَدفع بالحَيَاة البَشرية إلىٰ الأَمام، ويُوجّه الإِنسَان إلىٰ العَمل من أجل حيَاة طَيبة دَائمة حتّىٰ كأنّـه يـعيش

أبداً، قَال سُبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1]. وٱستناداً إلىٰ هَذِه الآيَة يسوغ لنَا أنْ نُحدّد الإِسلام بأنّه دين الحيَاة، ولاَ نَزيد، وأيضاً قَال سُبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[2] ـ أي لحيَاة أفضَل ـ وأيضاً قَال سُبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَايَعْلَمُونَ﴾[3].

وكلّ إنسَان مَطبوع ومَفطور علىٰ حبّ الحيَاة الأَفضل والأَكمل، وقد زَوده سُبحانه بكلّ الموَاهب والطّاقات والأَدوات التّي تُعينه علىٰ تَحقيق آماله وغَاياته القصوىٰ حتّىٰ ولو شَاء الصّعود إلىٰ القَمر والمِريخ، وقَرأتُ من جُملة ما قرأت: «لَو تَعلقت همّة بني آدم بمَا ورَاء العَرش لنَالته». فإذا أهمل وتكَاسل فلاَ يلُومن إلاَّ نَفسه: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[4].

وخلاَصة مَا نَستفيده من هَذِه الآيَات ونظَائرها أنّ الفَلسفَة أو التّربيَة القُرآنيَّة تَهتم بحيَاة الإِنسَان حَاضرة، ومُستقبله ٱهتماماً يَكفل لهُ سدّ حَاجاته المَاديَّة والرّوحيَّة بحَيث لو طُبّق الإِسلام كمَا أراد الله ورسُوله لكَانت النّتيجة لمَصلحة العَالَم كلُّه دعَة وأمناً... أبداً حيَاة بلاَ مشكلاَت وويلاَت. وعن دَرس وعِلم قَال الشّاعر الفَيلسُوف الأَلمَاني (غوته) الَّذي أثّرت آراؤه تَأثيراً بالغاً في تطور الفِكر

---

(١) الأَنفال: ٢٤.

(٢) الإِسرَاء: ٩.

(٣) الرّوم: ٣٠.

(٤) البَقرة: ٥٧.

الأُوروبي: «إذا كَان هذا هو الإِسلام،: أفلاَ نكُون كلّنا مُسلمين»[١]؟.

وغَريبة الغَرائب أنْ يقُول هذا مَسيحي ألمَاني، ويقُول مُعمم أَعجم: الإِسلام غَيب في غَيب!. لقَد سَبق الإسلام دعوَات كَثيرَة في تأريخ الأَديان، ولكنّها جَاءت وأنتهت دون أنْ تَغرس في الأذهَان فِكرة إنسانيَّة عَامّة حتَّىٰ جَاءت رسَالة مُحَمَّدﷺ فقامت بهَذه المهمّة علىٰ الوجه الأَكمل، ومِن هُنا خَتمت النّبوة بسيِّد الأَنبيَاء.

الفَلسفَة القُرآنيّة وَاقعيَة لاَ مثَالية:

قَال أنصَار المثَالية: أنّ الفِكرة تَسبق الوَاقع، وأنّ العَالَم لَيس إلاَّ أمتداد لمَا يَدور في أَدمغتنا، وقَال الوَاقعيُون: العَكس هو الصّحيح أي أنّ الواقع يَسبق الفِكرة، وأنّ أدمغتنَا لَيست سوىٰ أمتداد للعَالم الخَارجي المُستقل بذَاته، وهذا عَين ما نَطق به القُرآن: ﴿إن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[٢].

وقَال سُبحانه وتَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَايُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا﴾[٣]. أي أنّ الحقّ والوَاقع مُستقل عن الفِكرة، وهي أنعكاس عنهُ، فإنْ كانت مُطابقة لهُ فهي صَادقة وإلاَّ فهي تَخمين وتَضليل.

ولَيس معنىٰ هذا أنّ العَقل يَعجز عن أستجلاء الحقّ والوَاقع، كَيف؟. وقَد حثّ القُرآن علىٰ الأخذ بهِ، وشبّه المُقلدين بالأنعَام حَيث قَال: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٤]. بل المُراد أنّ المُوجودات الخَارجيَّة مُستقلة في وجُودها عن

---

(١) أنظر، أعيَان الشّيعة السَّيِّد مُحسن الأَمين: ١٠/ ٩٥.

(٢) الأَنعام: ١١٦.

(٣) يُونُس: ٣٦.

(٤) الفُرقَان: ٤٤.

العَقل والإدراك، وأنّ العَقل طَريق من طُرق العِلم بالوَاقع، ومن أوضح البَديهيَات أنّ الواقع شَيء، وطَريق العِلم بهِ شيء آخر.

القُرآن ومَصَادر المَعرفَة:

المَعرفة أنعكاس الوَاقع في الفِكر الإنساني -كمَا قِيل- وكَثير من الفَلاَسفَة يَعتبرون العَمل والمُمارسة جُزءاً لاَ يَتجزأ من العِلم والمَعرفة، وكلاَم الإمام أمِير المُؤمنِين عليه السلام يُوحي بذَلك حَيث يقُول: «العِلمُ مقرُونٌ بالعمل: فمَن عَلم عَمل؛ والعِلمُ يَهتفُ بالعَمل، فإن أجابهُ وإلاَّ أرتَحل عنهُ»[1]. ومَصدر المَعرفَة: الطّريق المُؤدي إلَيها.

ويَعتقد المَادّيون أنّه لاَ طَريق إلىٰ الصّدق والمَعرفة إلاَّ الحسّ والتّجربة، وإنّه لاَ يُمكن الوصُول إلىٰ الواقع بالإستدلال العَقلي السّابق علىٰ التّجربة بأيّة حَال حَيث لاَ أثر ولاَ عين إلاَّ لمَا يقع تَحت الحواس. وقَال المثَاليُون: لاَ طَريق إلىٰ المَعرفة إلاَّ العَقل وحدَه حيث لاَ وجُود لأي كَائن إلاَّ في رؤوسنا مَا دُمنا لاَ نَستطيع العِلم بشيء إلاَّ إذا تَحول إلىٰ صُورة في العَقل. وسَبق الكلاَم عن ذَلكَ في فَصل الماديَّة والوَاقعيّة والمثَالية.

أمّا القُرآن الكَريم فيُقسّم مصَادر المَعرفة إلىٰ ثلاَثة أقسَام: (العَقل، والتّجربَة والوَحي)، لأنّ للإنسَان عَيناً ترىٰ، وعَقلاً يُدرك، وفَوق كلّ شيء عَليم بكلّ شيء، وَقد جَمع الأَقسام الثّلاَثة في آيَة وَاحدة: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ﴾[2]. فالعِلم إشَارة إلىٰ المُلاَحظة والتّجربَة، والهُدىٰ إلىٰ العَقل، والمُراد بالكتَاب المُنير الوحي، والعَقل يُصحح أخطَاء

---

(١) أُنظر، نَهج البَلاغَة: الحِكمَة (٣٦٥).

(٢) الحجّ: ٨.

الحسّ، والوَحي يُرشد العَقل إلىٰ مَا غَاب عنهُ، لأَنّ عقُول النّاس مُتفاوتة، وحُكم الوحي هو العَدل والفَصل.

مَصَادر العَقيدَة الإسلاَميَّة:

أُصُول العَقيدَة الإسلاميَّة ثلاَثة: (الإيمان بالله ورسُوله مُحَمَّد واليَوم الآخر)، والإيمان مَأخوذ من الأَمانة، ومن ذَلكَ قَولهم: الإيمان أمَانة، ولاَ دِين لمَن لاَ أمَانة لهُ. وجَاء في المُوسوعَة الفَلسفيَّة السّوفياتيَّة مَا نصّه بالحَرف الواحد: «الإيمان إدراك شيء مَا علىٰ أنّه صَادق دُون بُرهان، والإعتقَاد الأَعمىٰ جُزء جَوهري مِن أي دِين، وبهَذا المَعنىٰ لاَ يُوجد آختلاف بَين الإيمان والخرَافة، ويَقف الإيمان الدّيني علىٰ طَرفي نَقيض مع المَعرفَة»!.

بَل هذا التّعميم لكلّ دِين وإيمان لاَ يَستند إلىٰ بُرهان، بل ويَقف مع الوَاقع عَلىٰ طَرفي نَقيض[1] فمَن آستقرَأ القُرآن يَجد العَديد من آيَاته تُندد بالجَهل والتّقليد والتّعصب، وتَحث علىٰ آتّباع العَقل وطَلب العِلم، وتَعده فَريضة، وتَرفع العُلماء درجَات. وأي عَاقل يتصَور أنْ يَرفع العدوّ من شَأن عدوّه؟.

وأيضاً تَحدىٰ القُرآن خصُومه بقَوله: ﴿ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2] وكرّر هذا التّحدي في العَديد من السّور والآيَات، وذَم القَائلين بغَير عِلم، وقَال لهُم من جُملة مَا قَال: ﴿ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[3]. وسَبق الكلاَم حَول الآيَة: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[4]. حَيث رَبطت الخِشية منهُ

(١) أُنظر، فَصل فَلسفَة الأَديان السّماويَّة من هذَا الكتَاب.

(٢) البَقرة: ١١١.

(٣) آل عِمران: ٦٦.

(٤) فَاطر: ٢٨.

تعَالىٰ بمَعرفته، وقَال الإمام أمِير المُـؤمنِين ﷺ: «أوّلُ الدِّيـن مَـعرفتهُ، وكـمالُ مَعرفته التَّصديق بِهِ، وكمالُ التَّصديق بِهِ توحيدهُ، وكمالُ توحيده الإخلاصُ لهُ، وكمالُ الإخلاص له نفيُ الصِّفات أوَّل الدِّين عنهُ، لشَهادة كُـل صِـفة أنّـها غـير المَوصوف، وشَهادة كُل موصُوف أنَّهُ غيرُ الصِّفة: فمَن وصف الله سُـبحانه فَـقد قَرنه، ومن قَرنه فقَد ثنَّاهُ، ومن ثنَّاهُ فَقد جزَّأهُ، ومن جزَّأهُ فَقد جهلهُ، ومن جَهلهُ فقد أشَار إليه، ومن أشَار إليه فقَد حدَّه، ومن حدَّهُ فَقد عدَّهُ، ومَن قَال «فِيمَ» فَقد ضمَّنهُ، ومَن قَال «عَلامَ؟» فَقد أخلىٰ منهُ»[1]. عزَّ وجلّ، وذَهب أكثَر عُـلمائنا إلىٰ أنّ التّقليد في أُصول الدّين غَير مقبُول وإنْ طَابق الوَاقع مع القُدرة علىٰ التّعلم، ونحنُ عَلىٰ خلاَف هذا الرَأي. وأخيرَاً، فهَل دين الإِسلام بـلاَ بُـرهان، أو قَـول المَوسوعَة السّوفياتيَّة زُور وبُهتان؟.

ونَعود إلىٰ عَقيدة الإسلام ومَصادرها وهي (العَقل، والحسّ، والوَحي) كـمَا أشرنَا في فَقرة القُرآن ومصَادر المَعرفة، ولكن علىٰ التّفصيل الآتي:

١ ـ ذكر سُبحانه في كتَابه أنّ الطّريق إلىٰ وجُوب الإيمان بِهِ هو النّظر إلىٰ الكَون في جُملته حَيث يَرىٰ العَاقل فيه وفي مَوجوداته أثر الصّنعة والتّرتيب المَقصود تمَاماً كمَا قَال، عزّ مَن قَائل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[2]. والصّنعة تَدل علىٰ وجُود الصّانع بحكُم العَقل وبَديهته، ويتألّف هذا الدّليل من الإستقراء الحسّي والإستنباط العَقلي معاً، وعَليه يكُـون الإيمان بالله نَتيجة يَـقينيَّة بـل وضَـروريَّة تـمَاماً كـالنّتيجة

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: الخطبة (١).

(٢) الفُرقان: ٢.

الرَّياضيَّة مع فَارق واحد هو أنّ النّتيجة الرَّياضيَّة تَعتمد علىٰ العَقل وحدَه، ولاَ تَستعين بالحسّ، أمّـا الإِيـمان بـالله فـإِنّه يَستند إِلىٰ العَقل والحسّ معاً. ومَعنىٰ هذا أنّ دليل الإِيـمان بالله حجّة قائِمة ولاَزمة علىٰ مَنطق المثاليِّين لمكَان العَـقل وعلىٰ مَنطق المَاديِّين لمكَان الحسّ والمُلاَحظة.

٢ ـ وذَكر سُبحانه في كـتَابه أنّ الدّليـل عـلىٰ الإِيـمان بالتَّوحيد ونَفي الشّرك هو بَديهة العَقل وحُكمه آلياً بأنّ فسَاد اللاَّزم يَدل علىٰ فسَاد المَلزوم، وأشَار سُبحانه إِلىٰ ذَلكَ في الآيَة: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1].

وقُلنا في تَفسِيرها: أي لو كَان في السّماء والأَرض آلهَة سِوىٰ الله لمَا آستقامتَا إِطلاَقاً ولفَسد مَن فِيهما ومَـا فِـيهما، وذَلكَ أنّه لو وجد إِلٰهان لكَان كلّ مِنهما قَادراً بحُكم كَونه إِلٰهاً، ومن شَأن القَادر أنْ يكُون مُريداً ضدّ مَا يُريده الآخر، وعَليه فإِذا أراد أحداهُما خَلق شيء، وأرَاد الآخر خلاَفه، فامّا أنْ يُوجد مُرادهُما معاً، فيَلزم أنْ يكُون الشّيء الوَاحد مَـوجوداً في الخَارج وغَير مَوجود في آنٍ واحد، وهو مُحال، وأمّا أنْ يُوجد مُراد أحدهُما دون الآخر، وعَليه يكُـون هـذا الآخـر عَاجزاً ومَغلُوباً علىٰ أمره! والعَاجز لاَ يكُون إِلٰهاً.

وبكلاَم آخر: لو وجد إِلٰهان فامّا أنْ يكُون أحدهُما قَادراً علىٰ تَدبير العَالَم، وأمّا أنْ لاَ يكُون كَذلك، فإِنْ كَان قادراًكان

---

(١) الأنبيَاء: ٢٢.

وجُود الثّاني عَبثاً ولزُوم مَا لاَ يَلزم، وإنْ لَم يكُن قَادراً فلاَ يَصلح للألوهيَّة لعَجزه من جِهة، وعَدم الفَائدة من وجُوده من جِهة ثانيَة.

٣ ـ وذكر سُبحانه في كتَابه أنّ الطّريق إلىٰ الإيمان بنبوّة مُحَمَّد ﷺ هو العَقل بوَاسطة المُعجزة الإلهيَّة، وهي أنّه سُبحانه تَحدىٰ المُعاندين وقَال لهُم بلسَان نبيّه: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1].

فتَهاوىٰ المُعاندين حِين سَمعوا كلاَماً «قَالَ: والله، إنَّ لهُ لحَلاَوة، وَإنّ عَلَيْه لطَلاَوة، وإنّ أسفَله لمُعذق، وإنّ أعلاَه لمُثمر مَا يَقول هَذَا بَشر»[2]. هَذَا كُلّه مَع غرَابة الأسلُوب، وأعجُوبة النُّظم، حَتّىٰ قَالَ الكُفار: إنّه سَحرٌ يُؤثر[3]. كمَا قَال

---

(١) البَقرة: ٢٣.

(٢) أوردَ البيهقي في دَلاَئل النّبوّة: ١ / ٤٤٦ عَن عكرمَة قَال: جَاء الوَليد بن المُغيرة إلىٰ رَسُول الله ﷺ فَقَال له: إقرَأ عَليّ. فَقرأ عَلَيه قَوله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، قَالَ: أعد. فَأعَاد النَّبيّ ﷺ. فَقَالَ: والله، إنّ لهُ لحَلاوة وإنّ عَلَيه لطَلاوة، وإنّ أعلاَه لمُثمر، وإنّ أسفَله لمُعذق، وَمَا يَقول هَذَا البَشر. وذكر هَذِه القِصّة جُملة من أهْل العِلم مِنهُم: الطّباطبائي في المِيزان: ١٢ / ٣٥٠، الحُويزي في تَفسِير نُور الثّقلين: ٣ / ٧٨ ح ١٩٦، المَشهدي في كَنز الدّقائق: ٥ / ٣٨٧، أبن كَثير فِي البدَاية وَالنّهَاية: ٢ / ٤١٠، حَقّ اليَقين للسَّيّد عَبدالله شُبّر: ١١٣.

(٣) مِن الآيَة الكَريمَة: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾، المُدّثّر: ٢٤. والقَائل هُو الوَليد بن المُغيرة المَخزُوميّ. أُنظر، التّفَاسير فِي مَورد الآيَة الشّريفة.

سيِّدهم الوَليد بن المُغيرة[١] وسَيِّد الفصَاحة والبلاَغة في العَرب، ويُسمّىٰ هذا النّسق من الإستدلاَل بالإستدلاَل المُباشر، لأَنّ النّتيجة تستَخرج من مُقدَّمَة واحدة مُباشرة وبلاَ وَاسطة، فإِذا آستخرجت من مُقدّمتين أو أكثَر سُمّيت بالإستدلاَل المُتشَابك.

٤ ـ أمّا الإيمان بالبَعث فَدليله أنّه مُمكن عقلاً وثَابت الوقُوع نقلاً فَيجب التّصديق بِهِ، ومن آيَات الإمكَان قَوله تَعَالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٢]. ومن آيَات الوقُوع: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[٣][٤].

نَظريّة النّبوّة:

تَقدّم أنّ أُصُول الإِسلام ثلاَثة: (التّوحيد، والنّبوّة، والبَعث)، وإِذا كَانت النّبوّة أصلاً لعَقيدة الإِسلام فإِنّها فَرع عن الإِيمان بالله، ومِن النّاس مَن يُؤمن بِهِ تَعالىٰ، ويُنكر النّبوّة من الأَساس، ومنهُم مَن يُؤمن به وبهَا، ويَجحد بنبُوّة مُحَمَّدﷺ

(١) الوَليد بن المُغيرة بن عبدالله بن عَمرو بن مَخزوم. أَبو عَبد شمس. وهو وَالد خَالد بن الوَليد وهُو من المُستَهزئين برَسُول اللهﷺ. وُلد سَنَة ٩٥ ق. هـ، وَهَلك سَنة ١ هـ.

أُنظر، تَرجَمتة: الإِعلاَم للزّركلي: ٨ / ١٢٢، الكَامل فِي التّأريخ لاِبن الأثير: ٢ / ٤٨، المُحبر: ١٦١ و ١٧٤ و ٢٣٧ قَالَ: مِن زنَادقة قُرَيش، تَعَلّم الزّندقة مِن نصَارىٰ الحِيرة. تأريخ اليَعقوبي: ٢ / ٢٤، البدَاية وَالنّهَاية: ٢ / ٤١٠.

(٢) الرُّوم: ٢٧.

(٣) الحجّ: ٧.

(٤) أُنظر، فَصل فَلسفة الآخرة وجمَال الدّين الأَفغاني، مِن هذَا الكتَاب، وكتَابنا الآخرة والعقل.

وعَلىٰ أيّة حَال فإنّ النّبوّة سفَارة بَين الخَالق والخَلق لهـدَايـتهم إلىٰ الحـق، ومَعنىٰ هذا أنّ النّبي لسَان الله وبيَانه، ويُومي‌ء إلىٰ ذَلكَ قَوله تـعَالىٰ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[1]. ولاَ يَنال الإنسَان هذا المَنصب الأَعلىٰ إلاّ أنْ يكُـون علىٰ خُلق عَظيم كمُحمَّد ﷺ: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[2]. وأظهر صفَات النّبي وأهمّها علىٰ الإطلاق قوّة الإرادة والبُعد عن الميُول الشّخصيّة والتّفاني في إحقاق الحقّ حتّىٰ ولو عَارضه الوجُود كلُّه بمَن فيهِ ومَا فيهِ تماماً كمَا قَال الإمام زَين العَابدين عليه السلام في وَصف جدّه سَيّد الكَونَين ﷺ:

«أللّهُم فَصلِّ علىٰ مُحمّد أَمينكَ علىٰ وَحيكَ، وَنجيبكَ من خَلقكَ، وصَفيّك من عبادكَ، إمَام الرَّحمة، وَقَائد الخَير، ومفتَاح البَركَة، كـما نَـصب لاِمـركَ نَـفسهُ، وعَرَّض فيك للمكرُوه بَدنهُ، وَكاشَف في الدُّعاء إلَيكَ حامّتهُ، وحَارب في رضَاك أُسرتهُ، ـ الخطَاب مع الله سُبحانه ـ وقطَع في إحـياءِ ديـنـكَ رَحِـمهُ، وأقـصَىٰ الأدنَين علىٰ جُحُـودهم، وَقرَّب الأقـصَينَ عـلىٰ آسـتجَابَتهم لَك، ووَالىٰ فِـيكَ الأبعَدِين، وعَادىٰ فيكَ الأقرَبين»[3]. وقال الإمام عَليّ عليه السلام: «إنّ وليّ مُحمّد مَن أطَاع آلله، وإنْ بَعدت لُحمته ـ أي نَسبه ـ وإنّ عدوّ مُحمّد مَن عَصىٰ آلله وإنْ قَربت قرَابته»[4].

وقَول لوَلده الإمام البَاقر عليه السلام: «وآلله مَا شِيعتنا إلاَّ مَن أطَاع آلله»[5]. والكلّ

---

(١) النّساء: ٨٠.

(٢) الأنعَام: ١٢٤.

(٣) أُنظر، الصَّحيفَة السَّجاديَّة: الدُّعاء الثّاني الصَّلاَة عَلىٰ مُحَمّدٍ وَآله.

(٤) أُنظر، نَهج البلاَغة: ٤/ ٢٢، الحِكمة (٩٦)، شَرح نَهج البلاَغة: ١٨/ ٢٥٢.

(٥) أُنـظر، الكَـافي: ٢/ ٧٣، شَـرح الأَخـبار: ٣/ ٥٠١، بـحَار الأنـوار: ٦٧/ ٩٥، وسَـائل الشّـيعة: ١٥/ ٢٣٣.

وحـيٍّ مـن وحـيّ الله الَّـذي قَـال: ﴿ٱلْأَخِـلَّآءُ يَوْمَـئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[١]. وقَال تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٢].

أبداً لاَ صَديق وحَبيب ولاَ وَلي وقَريب عند مَن آمن بالله حقّاً وصِدقاً إلاَّ مَن قَرّبته طَاعة الله، ولاَ بَعيد إلاَّ مَن أبعَدته مَعصية الله. فهَل يتّعظ ويَعتبر مَن يَنتسب إلىٰ دِين الله، ويَتحدث بأسمه، ويتّسم بسمَته؟.

النّبوّة ضَرورَة إنسانيّة:

هَل تَدعو الضّرورة الحيَاتيَة والإنسانيَّة إلىٰ وجُوب النّبوّة؟.

الجوَاب: أجل، ولولاَها لاَ يكُون لله علىٰ النّاس الحُجّة، لأنّه تَعالىٰ يَحتج عليهم بمَا آتاهُم، وبهَذا نَطق القُرآن الكَريم بقَوله تعَالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٣]. وقَال سُبحانه وَتعَالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ﴾[٤]. وقَال سُبحانه وَتعَالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾[٥].

وتَكلّم الأوَائل والأوَاخر من الفَلاَسفَة وعُلماء التّوحيد حَول البِعثة وقَالوا وأطَالوا: تَجب لإشتمالها علىٰ الرِّفق واللُّطف. وأقتديتُ بهم فِيما كَتبتُ من قَبل ونشَرتُ، ثُمّ أنتبهتُ وتَحررتُ من ربقَة التّقليد، وتَساءلتُ: لمَاذا البَحث عن دلِيل علىٰ وجُوب البِعثة، وهي بنَفسها تَحمل هذا الدّليل تمَاماً كالحقّ والعَدل؟. ألَيس

(١) الزّخرف: ٦٧.
(٢) الحجرات: ١٣.
(٣) فَاطر: ٢٤.
(٤) النّساء: ١٦٥.
(٥) الإسرَاء: ٩٥.

القَصد من البِعثة التّعليم والإرشاد إلىٰ النّهج القَويم ؟. وأي عَاقل يشكّ ويَتسَاءل: هل طَلب العِلم فَرض ووَاجب ؟.

ولنَفترض ـ جدلاً ـ أنّ كَلمة البِعثة لاَ تَحمل في مفهُومها الدّليل الكَافي علىٰ وجُوبها، فإنّ سِيرة الأنبيَاء دَليل قَاطع علىٰ هذا الوجُوب، لقَد حرّروا الإِنسانيّة من الجَاهليّة الجَهلاء، وأخرجُوها من الظّلمات إلىٰ النّور، ولولاَ وجودهُم وجهَادهم لكَان الإِنسَان والحَيوان بمَنزلة سوَاء.

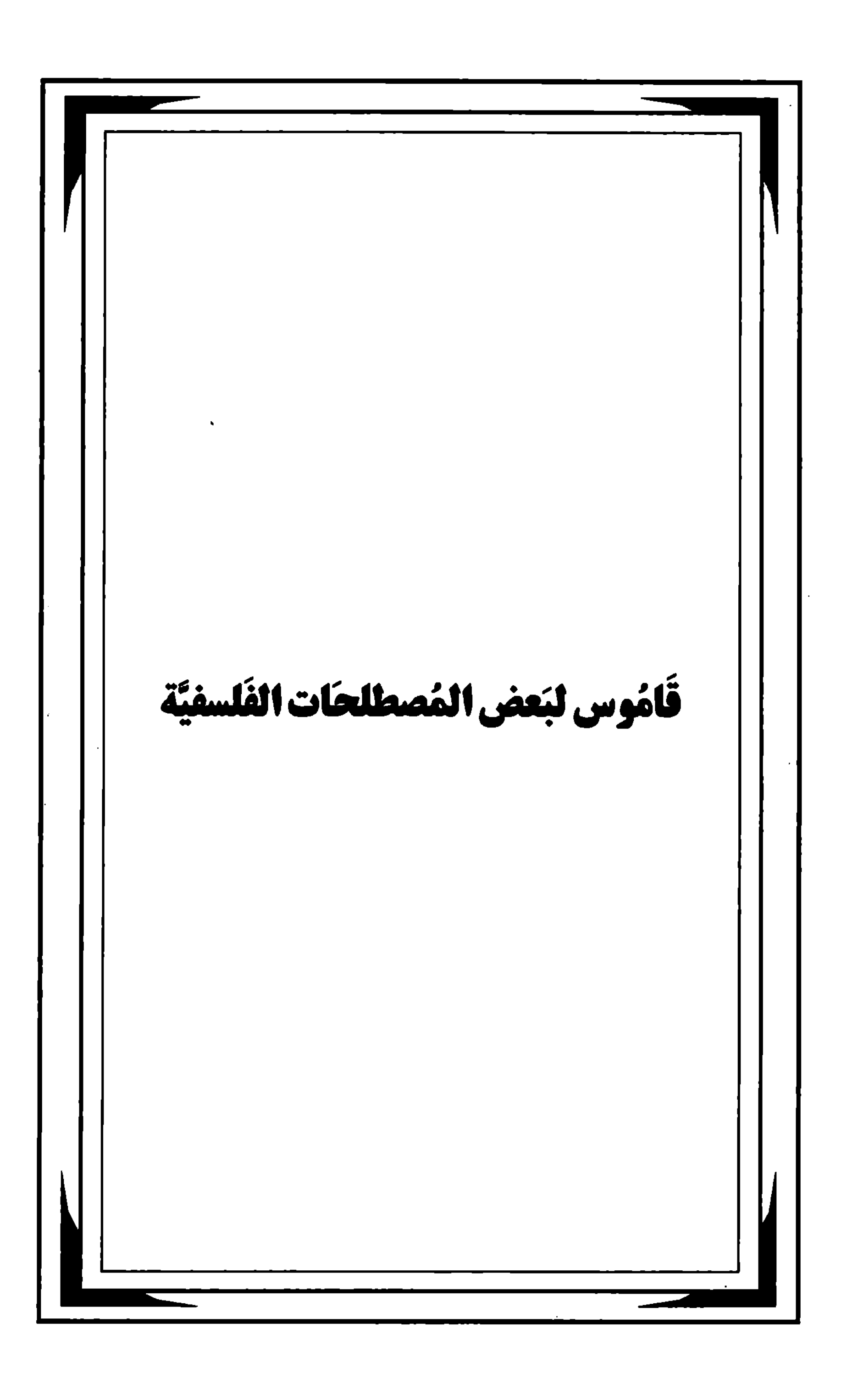
وقَد سَخر السّفهاء من دَعوة مُحَمَّد ﷺ وٱستهزأوا بهِ وبهَا، وقَالوا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[1]. فمَاذا كَانت النّتيجة ؟.

كَانت النّتيجة أنْ يَقترن ٱسم مُحَمَّد بٱسم الله، وأنْ يَبقىٰ ببقَائه، وأنْ يَمتد سُلطان الإِسلام في شَرق الأَرض وغَربها، وأنْ يُحطّم المُسلمون تِيجان الأكَاسرة والجبَابرة، ويَغزوا القيَاصرة في عِقر دارهِم، ويَدخل الملاَيِّين في دين الله أفوَاجاً عن إيمان وإيقان، وأنْ تَنتَشر العُلوم والفَلسفَات والفنُون بشتّىٰ أنوَاعها حتّىٰ أجمَع كَثير من مُفكري الغَرب أنّ حضَارة العَصر الرَّاهن هي عَصير الحضَارة الإِسلاميّة... وصَدق الله العَلي العَظيم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾[2].

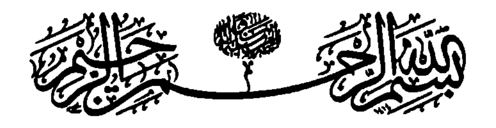
---

(١) الحجر: ٦.

(٢) سُورة صَ: ٨٧ـ٨٨.



قَامُوس لبَعض المُصطلحَات الفَلسفيَّة



وبَعد:

فهَذا هو القِسم الثّاني من الكتَاب، ويَحتوي علىٰ المُصطلحات الفَلسفيَّة الأَكثر شيُوعاً وأستعمالاً، وقد أخترتها وجَمعتها من المُعجم الفَلسفي لجَميل صليبا وكتَاب آخر بهذا الإسم، أشترك في جَمعه ووَضعه مُراد وهبَة ويُوسف كَرم ويُوسف شلاَلة، ومن المُوسوعَة الفَلسفيَّة المُختصرة الإنجليزيَّة تَرجمة فُؤاد كَامل وجلاَل العشري وعَبد الرَّشيد الصّادق، ومِن بَعض كُتب الفَلسفَة القَديمَة والحَديثَة.

ورتَبتُ الكَلمات علىٰ نَسق الحُروف الأبجديَة في اللُّغة العَربية، ولَيس لي فِيها إلاَّ الإختيار والتّوضيح والأَمانة في النّقل والإخلاص في القَصد، فإنْ وجدَ القَارىء خَطأ في الرَّواية فهُو من غَفلتي أو مِن المَروي عنهُ أو مِن المَطبعة، وجلّ مَن لاَ يَخطىء، ولكن القَارىء ـ في الغَالب ـ لاَ يَغفر للمُؤلّف، ويَنسىٰ ما يُكابد مِن صعُوبات.

وأخيراً، قَد يظنّ أنّ النّقل والرَّواية أخَف حملاً من الإنشَاء والإجتهاد في الرَّأي. وهذا حقّ من وَجه وَاحد، ولَكن الخَطأ والإشتبَاه في وجهَة النّظر والدّرايَة أخَف وأهون بكَثير من الخَطأ في النّقل والرَّواية لأنّه لاَ يَخلو من أحد فَرضَين: إمّا التّحريف والتّزييف، وإمّا الجَهل مَع الغُرور والتّطفل، وكلاَهُما نَقص وضلاَل كَبير وخَطِير.

ونعُوذ بالله من سُبات العَقل وقُبح الزّلل. وبهِ نَستعِين.



(أ)

الابستمولوجيا :

هَذه الكَلمة مُرادفَة لنظريَة المَعرفة في اللّغة الإنـجليزيَّة ، ومـعظَم الفَـلاَسفَة الفَرنسيِّين يُطلقونها علىٰ فَلسفَة العُلوم وتأريخها الفَلسفي .

الابيقورية :

نسبَة إلىٰ الفَيلسُوف اليوناني أبيقور (٣٤٢ ـ ٢٧٠ ق م) والابيقورية مَـذهب هذا الفَيلسُوف تقوم علىٰ طَلب المُتع العَقلية واللّـذة الرَّوحـية حـيث لاَ سَـبيل للخلاَص من الآلام إلاَّ بالسكِينة والطّمأنينَة ، ولاَ طَريق إلَيها إلاّ بالإنصراف إلىٰ التّفكير والتّأمل من أجل الوصُول إلىٰ مَعرفة الحَقيقة ، وكَثر الكلاَم حول أبيقور ومذهبه ، وقيل : أنّه رجل الهوىٰ والشّهوات . وكَثير من الفَـلاَسفَة يُـنزهونه عـن ذَلكَ ، ويُفسرون مذهبه بمَا ذكرنَا .

الاتنولوجيا :

عِلم إجتماعي يفسّر الظّواهر من أحوال الشّعوب ، ويَدرس أنـماط حـيَاتها المَاديّة والرَّوحية .

الارستقراطية :

كَلمة يُونانية وهي ضدّ الدّيمقراطية ، لأنّها حكُومة طَبقة مُـعينة ومَـحدودة ، تَستولي علىٰ السّلطة عن طَريق الورَاثة ونَحوها .

الاستبطان :

يُطلق علىٰ معَان درَاسة الصّفات النّفسية بالتّجربة والإختبار، ومِـنها عَـملية التّذكر للمَاضي القَريب والبَعيد.

الاستقراء :

وهو في اللُّغة : تتّبع الأُمور لمَعرفة أحوَالها وخـوَاصـها، وفـي الإصـطلاح : الحُكم علىٰ الكُلّي بمَا تَحقق في أفراده وجُزئياته، فإنّ عِلم التّتبع والفَحص جَميع الأَفراد والجُزئيات كان الإستقراء تامّاً، وإنْ وقَف عند عَدد مَحدود مـن الأَفـراد والجُزئيات كان الإستقراء ناقصاً.

الاستنباط :

آستخراج المَعنىٰ من النّص أو النّتيجة من مُقدّماتها بَعد الفَرض أنّها صَحيحة.

الاسطقس :

لَفظ يُونَاني، يُرادف كَلمة العُنصر والأَصل، وجَمعه آستطقسات، وهي عِـند قُدماء الفَلاَسفَة العنَاصر الأربعَة : (النّار، والمَاء، والتّراب، والهوَاء).

الاشراق :

هو في إصطلاح الفَلاَسفَة ظهور الأَنوار العَقلية وفيضَانها علىٰ النّفس الكَاملة بَعد تَحررها من المواد الجِسيمة. (أُنظر فصل حَول فَلسفة الإشراق).

الإضَافة :

هي المَقولة الرَّابعة من مَقولات أرسطو العَشر، وعرّفوها بنسبَة شيء إلىٰ آخر تَستدعي نسبَة هذا الآخر إلىٰ ذَلكَ الشّيء كالأُبوة والبنوّة، فإنّ نسبَة الإبـن إلىٰ

الأب معنَاها نسبَة الأَب إلىٰ الاِبن.

الإقتصاد:

مأخوذ من القَصد، ومَعنىٰ القَصد: الإِستقامة علىٰ الطّريق، وعِلم الإِقتصاد السّياسي يَبحث في إِنتاج الثّروة وتَوزيعها وآستهلاكها، وتُطلق الثّروة علىٰ كلّ مَا له قِيمة في التّبادل.

الاقنوم:

هو الأصل والشّخص والجَوهر، وعند قُدماء الفَلاَسفَة هو الحَقيقة الوجُوديَّة، والأَقانِيم الثّلاثة عند المَسيحيِّين: (الآب، والاِبن، وروح القُدس).

أكاديمية:

هي مَدرسة أسّسها أفلاطون تطل علىٰ بُستان أكاديموس، وهو بَطل قَديم فنُسبت إِلَيه المَدرسة.

الامبريالية:

أخذت هَذِه الكَملة من كَلمة أمبراطور، وتُستعمل الآن في أعلىٰ مرَاحل الإِحتكار والإِستعمار الجَديد الَّذي يَضغط علىٰ الشّعوب المُستضعفة سيَاسيًّا، ويُحاصرها إِقتصادياً، ويُؤلّب عليها الأَتباع والأَذناب بالإِنقلابات الرَّجعية وإِيقاظ الفتن والقلاَقل وما إلىٰ ذَلكَ حتَّىٰ تَستسلم بكلّ ما تَملك من أقوَات ومُقدرات لإِرادة الُمحتكرين والمُستغلين.

الانتخاب:

هو عند دروين قانون طَبيعي، يعني تنَازع البقاء، وبقَاء الأَقوىٰ.

الانحلال :

تطور مقلُوب من الصّحيح إلىٰ الفَاسد ، ومن التّمام والكمَال إلىٰ النّقص والإنحلال .

الانطولوجيا :

تَعني هَذِه الكَلمة الأُمور العَامّة التّي تَشمل جَميع المَوجودات : (الوَاجب ، والمُمكن ، والجَوهر ، والعرض) . هذا ما جَاء في كتَاب المُعجم الفَلسفي لمُراد وهبَة وصَاحبيه نقلاً من تَعريفات الجُرجاني .

الاعنية :

إصطلاح فَلسفي قَديم ، مَعناه تَحقق الوجود العَيني .

الأوليات :

هي الأَشيَاء الضّرورية اليَقينيّة ، وتُسمىٰ البَديهيات والمَبادىء الأَولية .

الايديولوجية :

جاء في المُوسوعة الفَلسفيّة السّوفياتيّة أنّ هَذِه الكَلمة تَعني نَسقاً من الأفكَار والآراء السّياسيّة ، والقَانونيّة ، والأَخلاقيّة ، والجمَاليّة ، والدّينيّة ، والفَلسفيّة .

ايروس :

هو إِله الحبّ عند اليُونانيِّين ، ثُمّ تَوتسعوا في معناه ، وأطلقوا علىٰ كلّ هوىٰ وأُمنية .

ايس :

في القوامِيس العَربية آيس من الشّيء بمَعنىٰ يَئس منهُ وقَنط ، وأستعمل الفَلاَسفَة كَلمة آيس في الوجُود والمَوجود ضدّ لَيس .

ايساغوجي :

كَلمة يُونانية ، معنَاها المَدخل أو المُقدَّمَة ، وهي آسم كتَاب ، يَحتوي علىٰ الكلّيات الخَمس الّتي تَبحث في عِلم المَنطق ، وهي :

(١) الجِنس ويَشمل أنوَاعاً مُختلفة كالحَيوان يعمّ الإِنسَان والفَرس .

(٢) النّوع كالإِنسَان يَصدق علىٰ الرَّجل والمَرأة .

(٣) الفَصل كالنّاطق يُميز الإِنسَان عن النّاهق ، والصّاهل .

(٤) الخَاصّة كالضّاحك .

(٥) العَرض كالنّائم .

ايكولوجيا :

كَلمة يُونانية الأصل ، وأُطلقت علىٰ العِلم الحيوَاني والنّباتي ، وهو فَرع من عِلم الحيَاة الَّذي يَبحث في العلاَقة بَين البِيئة والكَائنات الحيَّة .

(ب)

بابوفية :

حَركة ثَورة فَرنسية قَامت في القَرن الثّامن عَشر، وٱتخذت ٱسمها من زَعيمها غراشوش بابوف.

البراغماتية :

أُنظر فَصل البراغماتية من هذا الكتَاب.

البرجوازية :

طَبقة مُتوسطة بين النّبلاء وأبنَاء الشّعب العاديِّين، ويَتميز أفرادها بثقَافتهم ودَخلهم وممَارستهم لأحدىٰ المِهن الحرّة، أمّا في إِصطلاح المَاركسيِّين فالبرجوازيـون هم الّذين يُمثلون النّظام الرَّأسمالي. (المُعجم الفَلسفي لجميل صليبا).

البرهان :

لاَ يَطلق القُدماء لَفظ برهان إلاَّ علىٰ الإِستنتاج العَقلي الَّذي تَلزم فيه النّـتيجة عن المَبادىء ٱضطراراً، أمّا المحدثون فيطلقُون هذا اللَّفظ علىٰ الحـجّة العَـقلية والتّجريبيّة معاً. (صليبا).

البُعد :

وجَمعه أبعَاد، والأبعَاد الثّلاثة هي: (الطّول، والعَرض، والعُـمق). وأضَـاف إِلَيها آينشتين بُعداً رَابعاً وهو الزّمان. (أُنظر فصل نَافذة علىٰ النّظريَّة النّسبيَّة).

البِنْيَة :

بكسر البَاء وسكُون النّون وفَتح اليَاء، وهي عِند الفَلاَسفَة تَرتيب الأُجزَاء المُختلفة التّي يتآلّف منهَا الشّيء.

البيرونية :

نسبَة إلىٰ الفَيلسُوف اليُوناني (بيرون الأيلي)، ويَذهب هذا الفَيلسُوف إلىٰ أنّ الحَقيقة لاَ يَستطيع أحد إِدراكها والعِلم بها، وعَليه فمن الأَفضل التّوقف عن الحُكم عَلىٰ أي شيء من الأَشيَاء.

(ت)

التّالي :

للقَضية الشّرطيَّة جُزءان المُقدّم ويُقابله التّالي ، ومِثاله : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ‎۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1] . فَيعمل المُقدم ، ويَره التّالي .

التّأليه :

منهُ دِيني ، ومنهُ طَبيعي ، والأَوّل يُؤمن بالله والوَحي ، والثّاني يُؤمن بالله دُون الوَحي .

التّاوية :

فَلسفة أو عَقيدة صِينية تُعارض التّسلط والقَهر ، وتَدعو أنْ يَعيش النّاس علىٰ الطّبيعة تمَاماً كمَا كان الإنسَان البدَائي .

التّجريد :

من أخصّ خصائص التّجريد أنْ يَبحث الشّيء من حَيث هو وبصُورة عَـامّة دون النّظر إلىٰ جوَانبه وصفَاته الخَاصّة ، فإذا آستخرجت النّتيجة من دَليل مُسلّم بِهِ تكون النّتيجة صَحيحة ومُسلّماً بها أيضاً سواء أمكَن تَطبيقها أم تَـعذّر ذَلكَ ـ مثلاً ـ إذا بحَثنا : هل المادّة صُلبة وسَاكنة كمَا تَبدو للعيَان أو هي ذرّات مُتحركة ؟ جرىٰ البَحث فيها بغض النّظر عن كَونها حيّة أو غَير حيّة ، وإذا بحَثنا اللّون وصِلته

---

(١) الزّلزلة : ٧ ـ ٨.

بالبَصر جرىٰ البَحث فيه بصَرف النّظر عن كَونه أبيَض أو أَسوَد.
وبكَلمة التّجريد مُقابل للتّشخيص الحسّي في الخَارج.

التّحول:

نَظرية عِلمية تقول: الأَشيَاء في تَطور مُستمر بخاصّة الأَنواع الحيَّة.

التّصوف:

طَريقة سلُوكية، قوَامها التّقشف والتّخلي عن الرَّذائل والتّحلي بالفضَائل.

التّضايف:

أنْ يتوَقف تَصور أحد الشّيئين علىٰ تَصور الآخر كالفَوقية والتّحية والأُبوة والبنُوّة.

التّعمية:

مَذهب سيَاسي يُعارض نَشر المَعرفة والثّقافة في جَميع فئَات الشّعب لمَا قَد يَنشأ عَنها من وعي يَضر بالسّياسة المُستقرة، ويُقابل التّعمية حَركة التّنوير.

التّكنوقراطية:

اتّجاه ظهرَ حَديثاً في الولاَيات المُتحدة وبَعض البلاَد الأُوربيَّة ومُؤداه أنّ الرَّأسمالية والإحتكارات الصّناعيَّة لاَ عَيب فيها، وإنّما العَيب في إدارة الدّولة ورجَالها السّياسيِّين، تمَاماً كمَا نقول نحنُ: لَيس الذّنب ذَنب الإسلام، وإنّما الذّنب ذَنب المُسلمِين.

التّكنولوجيا:

هَذه الكَلمة العِلميَّة والفَلسفيَّة الصّق الكَلمات بالحيَاة، وأكثَرها استعمالاً

بحُكم معنَاها الشّامل، وقد رَاجعتُ في تَفسِيرها العَديد من المصَادر فمَا وجدتُ فِيها بُلغة الكفَاف إلاَّ مَا جَاء في مقَال عِلمي للدّكتور فؤاد صَروف بعنوَان التّقدم العِلمي الحَديث، ويَتلخص ما قَال:

بأيّة كَلمة نُعبّر عن درَاسات الإِنماء والتّكامل بكلّ ما تَنطوي عَليه من البحُوث العِلميَّة في الصّناعة والزّراعة والنّقل وغَير ذَلكَ ممّا يَدل علىٰ مُستوىٰ حضَاري يُفرق بين المُتقدم والمُتخلف من الشّعوب؟.

الجوَاب عن ذَلكَ بكَلمة تكنُولوجي أو تكنُولوجيا.

وأيضَاً قَال صروف: جَاء في مجلّة تَرقية العِلم التّي يَصدرها المجمع البريطَاني لتَرقية العُلوم، مقَال مُستفيض في التّفاعل العُمراني، قَال كَاتبه من جُملة مَا قَال: أنّ لفظ تكنُولوجي يَعني عِلم الصّناعة بشتّىٰ أنوَاعها إِذا أطلقتَ، أمّا إِذا أضيفتَ وقُلت: تكنولوجيا الزّجاج أو تكنولوجيَا النّفط أو تكنولوجيا الفضَاء أو تكنولوجيا الطّاقة، فالأوّل يَعني عُلوم صنَاعة الزّجاج علىٰ اختلافها، والثّاني عُلوم صنَاعة النّفط، والثّالث عُلوم الصّناعة الفضَائية، والرَّابع يَدخل في نطَاقه كلّ مَا يَمت إِلىٰ تَوليد الطّاقة بسَبب. وعلىٰ هذا الغرَار سَائر العُلوم.

التّلباثيا:

هي ظَاهرة نَفسية، تَقوم علىٰ الإِتّصال بَين نَفس ونَفس علىٰ ما بَينهما من البُعد بحَيث يفهَم كلّ منهُما مُراد الآخر مُباشرة وبلاَ وَاسطة.

وقَد أنكر ذَلكَ جَميع العُلماء.

التّيوقراطية:

هَذه الكَلمة يُونانية، وتَعني الدّولة الدّينيَّة.

«نرىٰ اليَوم في الولاَيات المُتحدة إجلالاً للمَحكمة العُليا يُضاهي مـا كَـانت تَنظر به أُوربا للبَابوات في القرون الوسطىٰ، وكلّ من دَرس الدّستور الأَمريكي يَعرف تماماً أنّ المحكمة العُليا لَيست إلاّ جُزءاً من القِوىٰ المُنشغلة فـي حـمَاية الفِئة الحَاكمة»[١].

ومن المَعلوم للقَاصي والدّاني أنّ الفئَة الحَاكمة هُـناك مُـنشغلة فـي حـمَاية الشّركات الإحتكارية، والجَدير أنّ هَذِه الشّركات هي السّلطة القضَائية والسّلطة التّنفيذيّة في الولاَيات المُتحدة!.

---

(١) أُنظر، كتَاب السّلطان لرُسل ترجمة خيري حمّاد: ٨٣.

(ث)

الثّقافة :

وهي في اللُّغة : الحذَاقة ، وبالمَعنىٰ الَّذي نَفهمه الآنْ أنْ يَتعدىٰ العَالَم حُـدود اَختصاصه بعِلم من العُلوم إلىٰ الإطلاع والإِلمام بالتّراث ومَا يُمكن العِلم بِهِ مـن جَديد مُفيد ، بخاصّة الأَفكار والتّيارات السّائدة في عَصره علىٰ أنْ يَنظر إلَيها وإلىٰ الحيَاة والُمجتمع نَظرة صَحيحة تأييّداً أو تَنفيذاً .

أمّا العَالِم الَّذي يَقف عند مِهنته ، ويَجمد علىٰ درُوسه فهو تمَاماًكالأعرج يَسير عَلىٰ قَدم واحدة .

الثّلاثي :

وهو عِند (هيجل) التّطور علىٰ ثلاَث مرَاحل :

القَضية ، ونَقيض القضيَة ، والمُركب[1] .

الثّنوية :

أو الاِثنينية هي فِرقة تُدين بإلٰهين : إِله الخَير وإِله الشّر ، لأَنّ في العَـالَم خَـيراً وشرّاً ونُوراً وظُلمة ، ومن يَخلق الخَير والنّور لاَ يَخلق الشّر والظّلمة ، وكَذلك من يَخلق الظّلمة والشّر لاَ يخلق النّور والخَير . وكان المُسلمون الأوائل يُشيرون إلىٰ مَن يرىٰ هذا الرَّأي بكَلمة زندِيق .

وأبطلنا هَذه الشّبهة في كتَابنا فَلسفة التّوحيد والولاَية فَصل الخَير والشّر .

---

(١) أُنظر ، فَصل الماديَّة الجَدليّة .

(ج)

الجاذبية :

وهي مَا في الأجسَام من قوّة الجَذب كمَا فـي المـغناطيس ، وقـد أكـتشفها (نيوتن ١٦٤٣ ـ ١٧٧٢) وهو عَالِم طَبيعي إنْجلِيزي ، ولإكتشاف هَذِه النّـظرية تأثير كَبير في عَالم الصّناعة .

الجبر :

هو عِلم من العُلوم الرّياضيَّة ، والفَرق بَينه وبَين عِلم الحسَاب أنّ هذا العِلم يُعبّر عنهُ بالأرقَام المَعلومة ، أمّا عِلم الجَبر فيُعبر عنه بالحرُوف التّي لاَ يَعرفها إلاّ أهل الإختِصَاص .

الجبرية :

هي المَذهب القَائل بأنّ الإنسَان مُسيّر لاَ مُخيّر .

الجدل :

هو في الأَصل فن الحوار والمُناقشة ، وعـند (سـقراط) تَـفنيد رأي الخَـصم بإستدراجه بإلقاء الأسئلة عَليه إلىٰ أنْ يُجيب بعبَارة تـنَاقض قـوله ، فـيَستَسلم مُرغماً .

والجَدل عند المَنطقيّين القُدامىٰ قيَاس مُؤلّف من مُقدمات يَلزم من القَول بـها التّصديق بقَول آخر .

والتّطور الجَدلي عند (هيجل) فكري بَحت ، وعندَ (ماركس) مادّي صِرف .

الجشطلت :

لَفظ ألمَاني مَعناه الشّكل أو الصُّورة، ومَعنىٰ الصُّورة هُنا الصُّورة الخَارجيَّة من جِهة، والبِنية البَاطنيَّة والتّنظِيم الدّاخلي من جِهة ثانية (صليبا).

الجوهر :

قَال قُدماء الفَلاَسفَة : يَنقسم الموجُود ـ مَا عدَا واجب الوجُود ـ إلىٰ جَوهر وهو القَائم بذَاته، ولاَ يَفتقر وجُوده إلىٰ مَوضوع كالإنسَان والحَجر، وإلىٰ عَرض وهو مَا يَفتقر وجُوده إلىٰ مَوضوع كالسّواد والحَركة.

أمّا فلاَسفَة العَصر الرَّاهن فيُنكرون هذا التّقسيم، ويقُولون : لاَ أحد يَعرف حَقيقة المَادّة، وغَاية ما يُمكن العِلم بها أنّها عبَارة عن ذرّات تَسبح في فَلكها بسُرعة (٢٩٠) ألف كيلومتر في الثّانيَة، وأنّها تَتغير وتَتحول إلىٰ عَكسها، وعَليه فلاَ نَدري مَاذا تكُون عَليه المادّة في المُستقبل بدّقة تامّة، « فالعَالم الطّبيعي كمَا يرَاه العِلم المُعاصر لَيس مُحدّد المسَار علىٰ سَبيل القَطع الّذي لاَ يَحيد قَيد شَعرة عمّا رُسم له، كمَا كان يَظن مِن قَبل ».

(ح)

الحَتميّة :

هي المَبدأ القَائل بخضُوع الأَشيَاء لمَبدأ العِلّية وللقوَانين الضّروريَّة ، وبهَذه الحَتميَّة يَتنبأ الطّبيب بمَا سَيحدث من الأمرَاض عن طَريق العِلم بأسبَابها .. وأيضاً بهَذه الحَتمية تُوضع القوَانين العِلميَّة القَائمة علىٰ الإستقراء ، ولولاَها لإنسدّ بَاب العُلوم .

وفي المَوسوعة الفَلسفيَّة السّوفياتيَّة ما نصّه بالحَرف الواحد :

« وقَد ظَهرت الأَفكَار الحَتميَّة في الفَلسفَة القَديمَة ، وكان أكثَر الّذين سَلّموا بهَا الذّرّيون القُدماء . وجَرت البَرهنة علىٰ مَفهوم الحَتميَّة علىٰ يَد العِلم الطّبيعي والفَلسفَة الماديَّة عند (بيكون ، وغاليلو ، وديكارت ، ونيوتن ، ولومونوسوف ، ولابلاس ، وسبنوزا) والفَلاَسفَة المَاديِّين الفرنسيِّين في القرن الثّامن عَشر ... فَقد اَعتقد هؤلاء المُفكرون أنّ أشكَال السَّببيَّة مُطلقة ، ووحدوا بَين السَّببيَّة والضّرورة ، وأنكرُوا الطّبيعَة المَوضوعيَّة للصّدفة » .

وما دَام الشّيوعيُون وغيرهم من المَاديِّين ، يُنكرون الصّدفة ويُؤمنون بمَبدأ العِلّية في كلّ شيء من الذّرَّة الصّغيرة إلىٰ المَجرات الكَبيرَة ـ فلمَاذا يُنكرون علّة الكَون العَجيب ويقُولون : وجدَ من بَاب الصّدفة ؟ . أنّ الإعتقَاد بمَبدأ العِلّية يَلزم الجَاحد حتماً بإنكار مَبدأ العِلّية وإلاّ نَاقض نَفسه بنَفسه ، وخَالف فِطرته وعَقله هو بالذّات لاَ عَقل سوَاه من حَيث لاَ يُحسن ويَشعر ! .

ويُمكن الجوَاب عن هذا الإشكال بأنّ الماديِّين اَعترفوا بمَبدأ العِلّية حيث

نظروا إِلَيه من رُؤوسهم، وأنكرُوا علّة الكَون حيث فكّروا بأقدامهم التّي وطّؤا بهَا المادّة، وإذا ٱختَلفَت الحَيثية زَال التّناقض!.

الحسّ المُشترك:

وسُمّي بالمُشترك حَيث يَشترك فيه الكَبير والصّغير والجَاهل والعَالِم، بل الإنسَان والحَيوان في كَثير من المَحسوسات، ومنهُ ما تكُون علىٰ يَقين من وجُوده بالحسّ الظّاهر كالطّعم واللّون والرّيح، ومنهُ ما يُدرك بالحسّ البَاطن كالجُوع والشّبع واللّذة والألم.

وهذا الحسّ لاَ يتوقف وجُوده علىٰ حسّ آخر، لأنّه الأصل والأسَاس، وأيضاً لاَ يتطور بالإستعمال والتّكرار، علىٰ العَكس من العَقل الّذي يَنمو ويَتقدم بالدّرس والرّوية والمُمارسة.

حُلم اليَقظة:

وهو هَذيان المخيلة المَريضة حَيث يَنفصل الإنسَان عن نَفسه ووَاقعه وعن العَالَم بكَامله، ويَرتقي إلىٰ عَالم الوهم يَبني فيه الدّور والقصُور، ويَستوي علىٰ عَرش الأمر والنّهي وهو في النّقيض والحَضيض.

وما أكثَر هذا النّوع في كلّ زمَان ومكَان، وأيّام درَاستي في النّجف الأشرف رأيتُ بَعض أفرَاده، فكُن المُستشفىٰ هو من العُجب والغُرور والزّلل والعثُور.

حَيويّة المادّة:

تُشير هَذِه الكَلمة إلىٰ المَذهب القَائل بأنّ المادّة حيّة، وأنّها تَملك العَقل والإحساس، وكَان علىٰ هذا المَذهب المَاديون اليُونانيُون الأوّل وبَعض الماديّين الفَرنسيّين (المَوسوعة الفَلسفيّة السّوفياتيّة).

(خ)

الخَاصّة :

وصَفٌ خَارج عن مَاهية المَوصوف ، ولكن يَختص بها دُون غَيرها ، ومن هُنا سمّي بالخَاصّة ، وأيضَاً لاَ يُمكن إستقلاله بنَفسه ، ولذَا كان عَرضاً لاَ ذاتـاً . وقَـد يكُون مُلازماً لكلّ أفرَاد النّوع كالضّحك وقَد يكُون مُلازماً لبَـعض أفـراده دُون بَعض مِثل الكَرم والحدّة .

الخلاَء :

وهُو عندَ الفَلاَسفَة خُلو المكَان من مادّة جِسمية تَشغله ، وبَعضم قَال بـجوَاز هذَا الخلاَء ، أمّا المُحققون فقَالوا بالإمتلاء ، وإستحالة الخلاَء .

الخَليّة :

وهي العُنصر الّذي تُبنىٰ منهُ أعضَاء وأنسجَة الكَائنات الحيَّة .

(د)

الدّور :

وهو تَوقف وجُود أحد الشّيئين علىٰ وجُود الآخر ، ومِثاله قَول الشّاعر[1] :

مَسألة الدّور جَــــرت   بَـيني وبَـين مَـن أحبّ

لولاَ مَشـــيبي مَـا جَـفا   لولاَ جـــفَاه لَــم أشب

فكلّ من وجُود شيب الشّاعر وجفاء الحبيب متوقف علىٰ وجود الآخر ، وهذا هو الدّور المحال .

الدّيمقراطية :

كَلمة يُونانيّة ، ومعناهَا سيَادة الشّعب بإِرَادة الشّعب لمصَالح الشّعب بلاَ تَميِّيز بَين فئَاته وأفرَاده . وتقَابلها الإِستقراطيَة .

الدّيناميكا :

قِسم من عِلم المِيكانيكا ، يَبحث في الحَـركات المـاديَّة مـن جِـهة عـلاَقتها بالقوىٰ التّي تَحدثها (صليبا) .

---

(١) أُنظر ، تَاج العَروس للزّبيدي : ٢ / ١٣٢ ، الحِكمة المُتعالية في الأَسفار العَقلية الأربعَة ، لصَدر الدّين مُحمّد الشّيرازي : هامش (٣٩) .

(ذ)

الذّرّة:

هي أصغَر جُزئيات العُنصر الكيَمائي، وهي نَسق مُعقد يتألّف من نوَاة مَركزيّة ثَقلية ذَات مُوجبة مُحاطة بإطار من جُزئيات خَفيفة ذَات شُحنة سَالبة، تَتحرك في مدَارات حَول النّواة، وتُعرف بالإلكترونات والنّواة الذّرية مُعقدة في بـنيَانهَا (المَوسوعَة الفَلسفيّة السّوفياتيّة).

الذّكاء:

قَالوا: النّاس تَتفاوت في الذّكاء كمَا وكَيفاً. ومثَال الفَهم في الكَم أنْ يَستوعب درُوسه بإتقان، ويُحسن فن الحوَار والنّقاش والكتَابة والخطَابة، ولكنّه لاَ يَهتدي إلىٰ العَيش سبيلاً. ومثَال الفَهم في الكَيف أنْ يَعمىٰ عن الدّرس كجَدي الأخفَش، أمّا بسُبل العَيش فهو الأُستاذ الأعِلم والأقدَر.

الذّوق:

ذكر أصحَاب معَاجم الفَلسفَة الذّوق، وقَال بَعضهم: هو قوّة إدراكيّة للطَائف الكلاَم ومحَاسنه، وقَال آخر: هو المَقدرة عـلىٰ فَـهم الجَـميل والقَـبيح، وقَـال الثّالث: أنّه القوّة الحَاكمة علىٰ القِيم الجمَالية.

وعلىٰ أيّة حال فَإنّ الذّوق السّليم غَير العَقل والعَاطفة، لأَنّ العَقل يَـتطلع إلىٰ الحَقيقَة، ومن جلّها يُحقق ويُحلل ويُنقب، والعَاطفة تُؤثّر المَنفعة الخَاصّة، أمّـا الذّوق السّليم فَبينه وبَين الحُسن والجمَال رَابطة وثِيقة وتفَاعل وتجَاذب طَبيعي وفِطري، لاَ يحتَاج إلىٰ دَرس وبَحث وإمعَان وتَفكير.

(ر)

رَأس المَال :

هو مَال يَنتج مالاً أرضَاً كَان أو شَجراً مَتجراً أو بِنَاء أو مَصنعاً أو نقُوداً والرَّأسماليَّة تقوم علىٰ المِلكية الخَاصّة لوسَائل الإِنتاج .

الرّواقيّة :

مَدرسة فَلسفيَّة تُنسب إلىٰ الفَيلسُوف اليُوناني زينُون (حوالي ٤٩٠ ـ ٤٣٠ ق م) وكَان يُعلّم تلاَميذه في روَاق وهو سَقف في مُقدّم البَيت .

ومن تعَاليم الرَّواقيَّة أنّ الحَكيم لاَ يَحزن علىٰ مَا فَات ، ولاَ يَفرح بما هو آت ، وأنّ السّعادة هي الفَضلية .

الرّومانسيّة :

اَتّجاه في الأدب يَتميز بالتّحدي للمَنطق ، وتَطعيم الحَدس والحُرِّية والتّلقائيَّة ، ويَتعلق بفِكرة الحيَاة واللاَّنهَاية .

(صليبا) .

الرّياضيّات :

عُلوم مَوضوعها الحسَاب والجَبر والهَندسة ونَحوها .

(ز)

الزّرادشتيّة :

دِين فَارسي قَديم، يُنسب إلىٰ زردَاشت، والشّيء الرَّئيسي فيه عَقيدة الصّراع بَين إله الخَير « مازادو » وإِله الشّر « أهرمان ».

الزّمان :

اختَلف الفَلاَسفَة : هل الزّمان والمكَان حَقيقيَان أو أنّهما لاَ يُوجدان إلاَّ في ذِهن الإِنسَان ؟ (أُنظر فَصل نَافذة علىٰ النّظريَّة النّسبيَّة).

الزّماني :

هو المَوجود في الزّمان، وهو مُضاد للأبدي، لأَنّ الزّماني يَدل علىٰ التّغيير، والأَبدي يَدل علىٰ الثّبات.

(س)

السّبب :

ويُطلق عَادة علىٰ كلّ مَا لهُ تأثِير بجِهة من الجِهات ، والسّـبب التّـام مُـرادف للعلّة التّي يَلزم من وجُودها الوجُود ومن عَدمها العَدم ، والسّبب النّاقص يَلزم من عَدمه عَدم المُسبب ، ولاَ يَلزم من وجُوده الوجُود .

السّرياليّة :

تُستعمل هَذِه الكَلمة في الأَدب اللاَّمَعقول واللاَّأخلاق « ومُعظم أنـصَار هَـذا الأَدب يَمدحون التّناقض والجنُون ، ويُعوضون علىٰ اللاَّشعُور لإِستخراج كنُوزه ، ويَتفننون في وَصف الرَّغبات الجَامحة والأَحلام العَجيبَة » (صليبا نقلاً عن كتَاب أندره بريتون) .

السّلوكيّة :

قَال الدّكتور صليبا في المُعجم الفَلسفي : « السّلوكيَّة طَريقة عِلميَّة ومَـذهب فَلسفي معَاً ، فهي عِلميَّة لأَنّها تُطبق المَنهج التّجريبي ، وهي مَذهب فَلسفي لأَنّها تَرد العَمليات الذّهنية إلىٰ أسبَاب مادّية » .

وبكَلمة أنْ السّلوكيَّة تُبطل كلّ ما هُو دَاخلي ، ولاَ تأخذ إلاَّ بالمَحسوس المَلمُوس .

سيبرنتيكا :

أَطلق المُتأخرون هذا اللّفظ علىٰ مَجموع النّـظريات والدّراسَـات المُـتعلقة بعمليّات الإِتّصال بَين أجزَاء الكَائن الحيّ أو أجزَاء الآلة . وأيضاً أطـلقُوه عَـلىٰ

الأعمَال التّقنيَّة التّي يَتم بها إنشاء آلات ذَاتية الحَركة.

(صليبا).

السّيكولوجيَا:

هي عِلم النّفس البَشريَّة.

(ش)

الشّخصانيّة :

وتَعني الشّخصانيَّة أنّ الفَرد هو القِيمة المُطلقة والأَسمىٰ والعُنصر الرّوحي للوجُود، وأنّ مَصلحته فوق مَصلحة الجَماعَة عِلماً بأنّها تتألف من الأفرَاد.

الشّك :

وهو علىٰ قِسمين : الأوّل الشّك المَذهبي، ويُسمّىٰ أنصَاره الشّكاك واللاّأدريّين، ويُوجبون الإمسَاك عن كلّ حُكم سَلباً وإيجاباً، لأنّ كلّ قَضيَة تَقبل التّدليل عليها للسّلب والإيجاب بقوّة مُتساويَّة كمَا يَزعمُون.

الشّك الثّاني المَنهجي أو العِلمي، وهو أنْ يَتجرد صَاحبه من مَعلومَاته برَغبَته وإرادته، ويشك فِيها حتَّىٰ كأنّه لاَ يَعلم شَيئاً، ويتّخذ من شكّه هذَا وسيلَة إلىٰ البَحث والدّراسة العِلميَّة حتَّىٰ يَصل إلىٰ المَعرفة الصّادقة وعِلم اليَقين.

وبكَلمة أنّ الشّك المَذهبي غَاية في نَفسه، والشّك المَنهجي وسِيلة إلىٰ العِلم.

الشّنتويّة :

وهي ديَانة يابَانيَة، والعُنصر الرّئيسي فيها عبَادة الأروَاح المُتعدّدة التّي تَتجسد في الحيوَانات والنّباتات وغَيرها من ظوَاهر الطّبيعة، ومِن دِين الشّنتويَّة أنّ العلاَقة بين الآلهة والنّاس تَحدث عن طريق الإمبراطور الَّذي يُسمّونه ميكَادو.

(المُوسوعَة الفَلسفيَّة السّوفياتيَّة).

(ص)

الصّراع من أجل البَقاء:

وهو القَانون « الغَريب » القَائل بتنَازع البقَاء بَين الأحيَاء وبقَاء « الأقدر الأقدر » لاَ الأفضَل الأكمَل !.

الصُورَة:

ولهَا معَان شتّىٰ، وهي عِند الفَلاَسفَة جِسميَّة ونَوعيّة والنّوعيَّة تمَام حَقيقة الشّيء ومَاهيته، ومن أقوالهم: صُورة الشّيء هي مَاهيته التّي بهَا هو مَا هو. ولنَا أنْ نَعطف عَليه: الهيولىٰ هي البَدن، والصُّورة هي الرَّوح، وفي ذَاكرتي قول فَيلسوف قَديم: الهيولىٰ لَفظ، والصُّورة مَعناه. وقَال المُلا صدراً في الأسفَار: « الصُّورة مَا يكُون به الشّيء هو بالفِعل ».

الصّوريّة:

مَذهب فَلسفي يَرمي إلىٰ إنكار النّاحية الماديَّة وتأثيرها في المَعرفة، ولاَ يَعتد إلاَّ بالصّور الذّهنية.

الصَيرورَة:

إنتقال الشّيء من حَالة إلىٰ أُخرىٰ، وهو عِند (هيجل) من صَميم الوجُود، والسّبب الأوّل لتَطوره. (أُنظر فَصل الماديَّة الجدليَّة).

(ض)

الضّدّ :

الضّدّ صفَة وجوديَّة ، يَمتنع وجُوده مع وجُود ضدّه المُمانع لهُ كالنّور والظّلمة ، ولاَ يَمتنع اَرتفاعهُما معاً إذا كان لهُما ثَالث كالأَلوان ، فَقد يكُون الشّيء لاَ أسود ولاَ أبيض ، بل أحمَر أو أصفَر ، وهذا هو الفَرق بَين الضّدين والنّقيضين ، لأَنّ النّقيضين لاَ يَجتمعان ولاَ يَرتفعان إطلاقاً كالوجُود والعَدم .

الضّرورَة :

وهي مُقابلة للجوَاز ، ومُرادفَة للحَتميَّة . وسَبقت الإشارة إلَيها .

الضّمِير :

تَكلّموا كَثيراً عن الضّمير ، وبَعضهم عبّر عنهُ بالذّات العُليا ، وآخر بالقوّة الحَاكمة ، وثَالث بالمَلكة التّي تُحدد مَوقف الإنسَان من سلُوكه ! . وكلّ ذَلكَ تَفسِير للظّلمة بالبَهمَة .

والّذي نَراه أنّ الضّمير هو نَفس الشّعور بالوخز والتّأنيب إذا فَعلت ما تَندم عَلىٰ فِعله ، ونَفس الإحساس بالطُّمأنينَة والغِبطة إذا فَعلت مَا ترَاه ربحاً ونجَاحاً . نقُول هذَا ونحنُ علىٰ عِلم بأنّه يَختلف تَبعاً للأَشخاص ووجهَات النّظر ، ولكن لاَ نَركن إلىٰ سوَاه .

(ط)

الطَّفرَة :

أنْ يَتغير الشّيء ، ويَنتقل من صِفته إلىٰ صِفة أعلىٰ بلاَ مرَاحل تَدريجيّة ، وكَان يَظنّ من قَبل أنّ الطَّفرة بهذا المَعنىٰ مُحال ، ومع الأَيّام تَبين أنّها قد حَدثت بالفِعل ، قَال (رُسل في كتابه الفَلسفَة بنَظرة عِلميَّة : « أنّ في الطّبيعة تَغيُرات مُـفاجئة تَـحدث قَفزة من حَالة إلىٰ حَالة أُخرىٰ بغَير إِجتياز الحَالات المُتوسطة بَين الطّرفين »[1] .

الطّوباويّة :

نَقيض الوَاقعيَّة حَيث تخلق بالخيَال إلىٰ الأوهَام والمُثل العُليا كتَحقيق السّلام العَامّ والتّقدم المُستمر والمُساواة الطّبيعيّة ... إلىٰ مَا تَشتهي الأنفس ، وتَلذ الأعيُن مِن كلّ شيء في هَذه الحيَاة الدّنيا .

الطّوطميّة :

مِن أقدَم أشكَال الدّيانات في الُمجتمع البدَائي ، وتقُوم علىٰ عبَادة نَـوع مـن الحَيوانات أو الأَشياء أو الظّواهر علىٰ أسَاس أنّها تَمد الخَلق بالطّعام ، ولاَ تزَال الطّوطميَّة مُنتشرة بَين القـبَائل الأصـليَّة فـي (آسـتراليـا ، وأمـريكا الشّـمالية ، والجنُوبية ، وميليزيا ، وبولونيا ، وأفريقيا) . (المَوسوعة الفَلسفيَّة السّوفياتيَّة) .

---

(١) أُنظر ، رُسل في كتابه الفَلسفَة بنَظرة عِلميّة تَرجمة الدّكتور زَكي نَجيب : ٢٥٩ .

(ظ)

الظّاهرَة :

تُطلق علىٰ كلّ مَا يُبحث فيه العِلم من الحقَائق التّجريبيّة .

الظّاهريّة :

طَائفة من الفُقهاء يَأخذون بظوَاهر النّص حتّىٰ ولو خَالف بديهَة العَقل .

والظّاهريّة من الفلاَسفَة يُنكرون مَعنىٰ الجَوهر ، ويقُولون : أنّ الوجُود الحَقيقي مُؤلّف من الظّواهر فَقط . (صليبا) .

(ع)

العَالَم:

العَالَم كلّ المَخلوقات، وعَالَم الطّبيعة الأشيَاء المادِيَّة، والعَالَم الأكبَر: السّموات والأرض ومَا بَينهما (أي الكَون كلّه) والعَالَم الأصغَر: الأرض بكلّ مَن ومَا فِيها وعَليها.

العَبقريّة:

وأحسَن مَا قرأتُ في تَعريف العَبقري أنّه هو الّذي يَعكس المطَالب الإجتماعيّة ذَات الأهميّة الحَيويّة.

العَقل:

نُسب إلىٰ أفلاطون وأرسطو الفَرق بين العَقل والفِكر في أنّ الأوّل يَستدل ويَستنتج، والثّاني يَكشف عن أسبَاب الظّواهر. ونحنُ لاَ نَجد أي فَرق بَينهُما، عَلىٰ أنّه لاَ ثَمرة عِلميّة لهَذا الفَرق.

والعَقلي نِسبة إلىٰ العَقل، والعقلاَني نسبَة إلىٰ مَن يُؤمن بحُكم العَقل، ويُستدل بهِ علىٰ صحّة العقَائد.

العِلم:

كلّ من العِلم والجَهل لاَ يَحتاج إلىٰ حدّ، لأنّه يُعرف بمُجرد التّصور، ولَو اْحتاج العِلم إلىٰ تَعريف لوجَب التّعريف بالعِلم، وإذن يَحتاج هذا الثّاني إلىٰ عِلم، وهَكذا إلىٰ ما لاَ نهايَة.

والعُلوم التّطبيقيّة تُطلق علىٰ الصّناعة والطّب والزّراعـة، وكـلّ عِـلم لهُ أثَـر مَلموس، أمّا العَلوم المِعياريّة فَهي المُؤلفة من أحكَـام إنشـائيّة كـعِلم المَـنطق والأخلاَق والجمَال.

(غ)

الغَائيّة :

ومَبدأ الغَائيّة هو القَول بأنّ كلّ موجُود يَسير إلىٰ غَاية مُعينة ولَيس الإنسَان وحدَه كذَلك ، وهذا المَبدأ أحد الأدلّة علىٰ وجُود الخَالق ، ويُسمّىٰ الدّليل الغَائي .

الغنُوصيّة :

كَلمة يُونانيّة ، تُطلق علىٰ نَزعة صُوفية تَهدف إلىٰ إدراك الأسرَار الإلٰهيّة مُباشرة وبلاَ وَاسطة . وفي المَوسوعة السّوفياتيّة أنّ الغنُوصيّة تَمزج المَسيحيّة بالدّيانات الشّرقيّة القَديمة والإفلاطونيّة الحَديثة والفيثاغوريّة .

(ف)

الفَاشيّة :

دكتَاتوريّة إرهابيَّة تَأسّست كنظَام في إيطاليا سنَة (١٩٢٢ م) ثُمّ في ألمَانيا سنَة (١٩٣٣ م).

فسيولوجيَا :

عِلم وظَائف الأَعضاء الحيَّة.

فنطاسيا :

يُطلق هذا اللَّفظ علىٰ كلّ تَخيل وهمِي مُتحرر من قيُود العَقل، أو عَلىٰ كـلّ رغبَة لاَ تَستند إلىٰ سَبب مَعقول. (صليبا).

الفوضويّة :

ظَهر المَذهب الفُوضوي في القَـرن السّـابع عَشـر المِـيلاَدي بـزعَامّة مُـفكّر إنْجلِيزي، أسمه « ونستانلي » ويَرمي هذا المَذهب إلىٰ إلغاء الدّولة بشتّىٰ أنوَاعها ومظَاهرها، وإيجاد مُجتمع خَال من القَهر والإرغام، أمّا المصَالح العَامّة فيتولاَّها جمَاعة من أهل الأَمانة والثّقة علىٰ غرَار مجَالس الحِسبة والبَلديّة.

الفِيزيَاء :

وعِلم الفِيزياء موضُوعة المادّة الجَامدة، ومِن بحُوثه الحَركة والثّقل والضّغط والحرَارة والضّوء والصّوت والكَهرباء.

الفَيض :

الفَيض حقّ لاَ رَيب فيه ، ومَعناه في غَاية الوضُوح والبسَاطة ، وهو أنّ الله سُبحانه وتعَالىٰ يُفيض عنه كلّ الوجُود بإِرادته فيضَاناً مُبايناً لذاته القُدسيَة ، وبهَذا أنْطقت الآيَة : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴾[1] .

وأبىٰ بَعض الفَلاَسفَة إلاَّ إثارة الشّبهات مِثل أنّ الله واحد ، والوَاحد لاَ يَصدر عنهُ إلاَّ واحد بطَريق مُباشر ، علماً بأنّ الصّادرات التّي نرَاها فضلاً عمّا غَاب عنّا ـ لاَ يَبلغها الإِحصاء .

ولكي يَجدوا حلاً لهَذه المشكـلة الشّـائكة ٱبـتدعوا فِكـرة العـقُول العَشـر ، وسمّوها بنظريَة الفَيض ، وخلاَصتها بأنّ الله قد فَاض عنهُ عَقل واحد فَقط ، فوجَد ثُنائية الإمكان بالذَات والوجُوب بالغَير ، وعن هذا العَقل فَاض عَقل ثَان ، وعنهُ فَاض ثَالث . . . وهَكذا تتَابع فيضَان العقُول حتَّىٰ تَآلفت هَيئة من عَشـرة وزّعت فيَما بَينها صنَاعة الكَون وخَلقه ! .

ولاَ أدري بأي عَقل نفسّر هذهِ العقُول ؟ .

ثَانياً : يَقول القُرآن الكَريم : ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴾[2] . ويَقول أصحاب هَذه النّظرية : كلاَّ ، الله خَلق العَقل الأوّل فَقط ، ومَا عدَاه من صُنع العقُول العَشر ! فتعَالىٰ الله عمّا يُشكرون . ومِن هُنا رَفض عُلماء الإِسلام هَذا النّوع من الفَيض ، وعَملوا بالحَديث الشّريف : « تَكلّموا في خَلق الله ، ولاَ تكلّموا فـي الله ، فإنّ الكلاَم في الله لاَ يَزداد صَاحبه إلاَّ تَحيّراً »[3] .

---

(١) الرّعد : ١٦ .

(٢) الرّعد : ١٦ .

(٣) أنظر ، الكَافي : ١ / ٩٢ ح ١ ، شَرح أُصول الكَافي : ٣ / ١٤٧ ، روضَة الوَاعظين : ٣٧ ، التّوحيد للشّيخ الصّدوق : ٤٥٤ ح ١ ، الهدَاية للشّيخ الصّدوق : ١٤ .

وَقَال أَمِير المُؤمنين عليه السلام: «فَكِّرُوا فِي خَلْق الله، وَلاَ تُفَكِّرُوا فِي ذَات الله»[١].
وقَالَ: «التَّوحِيدُ أَلاَّ تَتَوَهَّمهُ»[٢]. أَي لاَ تتصورَه بوهمك؛ لأَنَّ كُلّ مَوهُوم مَحدُود. وَالله لاَ يَحدّه شَيء.

(١) قَرِيب مِن هَذَا المَعْنَى فِي كِتَاب الهِدَايَة للشَّيخ الصَّدوق: ٦، الجَامع الصَّغِير: ١ / ٥١٤ ح ٣٣٤٦، كَنز العُمَّال: ٣ / ١٠٦ ح ٥٧٠٦، تَفسِير الثَّعالبي: ٢ / ١٤٩، تَفسِير الدُّر المَنثُور: ٢ / ١١٠ و: ٦ / ١٣٠، كَشف الخَفَاء للعَجلُوني: ١ / ٣٧١ ح ١٠٠٥، تَفسِير اَبن أَبي حَاتم الرَّازي: ٣ / ٨٤٢ ح ٤٦٥٩، تَفسِير رُوح المَعَاني للآلُوسي: ٤ / ١٥٩.
(٢) أُنظر، نَهج البَلاَغة: الحِكمَة (٤٦٢).

(ق)

القِيمَة الفَاضلَة :

هِي أصل العَقيدَة المَاركسيَّة ، وخلاَصتها أنّ السّلعة من حَيث هي لاَ قيمة لهَا علىٰ الإِطلاق ذهباً كانت أو خَشباً ، وإِنّما تُقاس القِيمة بعَمل الإِنسَان ـ مثلاً ـ قَلاَدة الذَّهب لاَ تُقدر بالسّعر المَعروف للذّهب ، بل بمَا يَبذله الصّائغ من جُهد في صيَاغتها ، ولكن العَامل لاَ يأخذ قِيمة عَمله بالكَامل ، بل يَأخذ بَعضها ، ومَا زَاد فهُو لربّ العَمل بلاَ مُقابل ، وهو سَلب ونَهب ! .

والمُلاحظ أنّ هَذِه النّظرية علىٰ عَكس ما يَراه العَقل ، وجَرت عَليه سِيرة العُقلاء قدِيماً وحَديثاً حَيث يَقدرون السّلعة بمَا لهَا من نَفع وفَائدة في مَفهومهم . ولَو صحّت هَذِه النّظرة المَاركسيَّة لكَانت الأَرض المُخصّبَة التّي تُعطي الكَثير بالعَمل اليَسير أقل ثَمناً وقِيمة من الأَرض المُجدبة التّي تُعطي اليَسير بالعَمل الكَثير . وهَكذا سَائر السّلع ووسَائل الإِنتاج .

القيّوم :

هو القَائم في ذَاته الغَني في وجُوده وجَميع صفَاته عن كلّ شَيء ، ولَيس ذَلكَ إلاَّ الله وحدَه جلّ وعزّ .

(ك)

وهِي مَحل خلاَف من جهَات :

١ ـ هَل الموجُود واحد، ومَا الكَثرة البَادية للعيَان إلاَّ أحوَال وأعرَاض لجَوهر واحد يَعم ويَشمل العَالَم كلُّه ولاَ شيء قَبله ولاَ بَعده كمَا يقُول المُؤمنون بوحدَة الوجُود، أو هُناك قوّة ورَاء العَالَم تبَاينه في جَميع صفَاته كمَا يقُول المُؤمنون بالله ؟.

٢ ـ هل المَوجود الوحِيد هو المادّة كمَا يقول المَاديون، أو هو الرَّوح كمَا يقول المثَاليون، أو هُما معاً كمَا يقُول الرَّبانيُون ؟.

٣ ـ هل أصل الأَشيَاء واحد وهو الهوَاء كمَا يَزعم إنكسمانيس، أو النّار كمَا يدّعي هرقليط، أو التّراب والمَاء والنّار والهوَاء كما قَال العَديد من قُدماء الفلاَسفه ؟.

الكَلبيّة :

في القَرن الرَّابع قَبل المِيلاد كان في اليُونان فيلسُوف يدّعي (انتستائس)، وكَان يَدرس تلاَميذة في مكَان آسمه الكَلب السّريع، فأُطلق عليهم آسم (الكلبيِّين)، وقيل: أُطلق عليهم هذا الاِسم، لأَنّهم كانوا يَنبحون علىٰ فَاعل الرَّذيلَة كمَا يَنبح الكَلب الحَارس.

ومن مَذهبهم إحتقار التّقاليد والعقَائد السّائدة والرَّأي العَامّ، وإنّه لاَ خَير ولاَ

سعَادة إلاّ في الفَضيلة.

وعَلىٰ هذا المَذهب (ديجون) صاحب الفَانوس.

الكمُون:

ومَبدأ الكمُّون هو الَّذي يَقول: كلّ شيء فيه كلّ شيء. ويَرجع هذا إلىٰ وحدَة الوجُود.

الكوجيتو:

إشَارة إلىٰ قول (ديكارت): أنَا أُفكر، إذن أنَا مَوجُود. وهو إستدلاَل علىٰ وجُود النّفس بفِعل من أفعَالها.

الكيميَاء:

يَبحث عِلم الكِيميَاء عن خواصّ المادّة وتَغيراتها وتَأثير العوَامل الطّبيعيَّة بهَا.

(ل)

اللاأدريُون :

هُم الَّذين يَقولون بالتّوقف في الحُكم عَلىٰ أي شَيء ، لأنّهم يَشكّون في كـلّ شَيء وفي أنّهم يشكّون . أُنظر « الشّك » .

اللاشعُور :

السّلوك الشّعوري أنْ تَفعل عن وَعـي وقَـصد ، مـثل أنْ تَـنتَقد أنْ تُـقارن أو تَستقريء وتَستنتج ، ومَا أشبَه ذَلكَ .

أمّا السّلوك اللاّشعُوري فهو أنْ تَفعل من غَير وَعي وقَصد ، مِـثل أنْ تُـدخن بحُكم العَادة أو تَنظر إلىٰ الخَلف بتَأثير العدوىٰ أو تَذم عدوّاً حِين يُذكر أو تَطغىٰ عَلىٰ وعيَك ومشَاعرك حمَاسة الجمُوع ، وقَالت الآيَة : ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَوَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌوَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[1] . أنّ مُوسىٰ ﷺ ألقىٰ الأَلواح (أي التّوارة) وفِيها هُدىً ورحمَة وأخذ برَأس أخِيه يَجرّه في سَورَة من سَورَات الغَضب المُقدّس . . . إلىٰ غَير ذَلكَ ممّا تَفعله وأنتَ لاَ تَود أنْ تَفعله .

---

(١) الأعرَاف : ١٥٠ ـ ١٥٤ .

اللأهوت :

هو الخَالق، والنّاسوت هو المَخلُوق، وعِلم اللأَّهوت مُـرادف لعِـلم الكـلاَم والرَّبوبيَّة.

اللّوغس :

باليُونانية يَعني العَقل الكُلّي.

(م)

مَا بَعد الطَّبيعَة :

يُطلق عَليه الآنْ كَلمة الميتافيزيقا ، وعِلم مَا بعد الطَّبيعَة عند آبن سِينا هو العِلم الإِلهي .

المَاديَّة :

مَذهب مَن يقُول : أنَّ المَادَّة هي الموجُود الوحِيد ويُفسّر كلّ شيء بالأَسباب المَاديَّة . وتُقابل المادّة المثَاليَة التّي تُفسّر كلّ شيء بأَسبَاب روحيَّة .

الماصَدق :

أي الَّذي صَدق أخذاً من المصدَاق ، وهو الشّاهد للصّدق ، تَنقسم ألفَاظ المَاصَدق إِلىٰ كلّية وجَمعية ومُفردة ، والكلّية تُطلق علىٰ كَثير من الأَفراد بلاَ حدّ مِثل الإِنسَان ، والجَمعية تُطلق علىٰ الأَفراد المَحدودِين مِثل أَساتذة الجَامعة اللّبنانية ، والمُفردة مثل إِبراهيم وخَليل .

المَانويَّة :

نِسبة إِلىٰ مَاني الفَارس ، عَاش في القَرن الثّالث المِيلاَدي ، ويُنسب إِلَيه القَول بوجُود إِلهين إِله النّور والخَير وإِله الظّلمة والشّر .

وفي مجلّة الدّراسات الأدبيَّة التّي تَصدر في بَيروت السَّنَة الرَّابعَة بأعدَادها الثّلاثَة المَجموعة في مجلّد واحد ـ مقَال بعنوَان مَاني ودِينه ، جَاء فِيه :

«أنّ الدّين المَانوي هو أحد المَوضُوعات الغَامضة في تأريخ الأديَان ، وأنّ

فهمَه لأمر صَعب للغَاية... والمَانويَّة اليَوم من الأَديان المَـتروكة المَـنسيَة، ولاَ أتبَاع لهَا».

المُتواطيء:

هُو اللَّفظ الدّال علىٰ العَديد من الأَعيان بمَنزلة سوَاء كـدلاَلة الإِنسَـان عَـلىٰ أحمَد وطَانيوس، ويُقابله المُشكّك الَّذي يَصدق علىٰ كَثيرِين بالتّفاوت كـصِدق الوجُود علىٰ وَاجب الوجُود ومُمّكن الوجُود.

المثَاليَة:

ولهَا أقسام، وأهمّها المثَاليَة الذَّاتيَة التّي تُـنكر الأشـيَاء المـاديَّة، والمـثَاليَة المَوضوعيَّة التّي تَعترف بوجُود الأشيَاء الماديَّة، ولكن تَـنسدها وتَـرجـعها إلىٰ مَبدأ لاَ مَادّي[1].

المُحتَمل الأَقرب:

قَد يكُون للشّيء الَّذي تَحتمل وقُوعه درجَـات مُـتفاوتة قُـرباً وبُـعداً، فـإذا اَضطررت إلىٰ أحد الأَطراف تَعين عَليك أنْ تَختار الأقرَب إلىٰ قَصدك وغَايتك ـ مَثلاً ـ إذا دَعتك الحَاجة إلىٰ السّفر وكَان الجَو غَير مُلاَئم، وتَردّدت: هل تُسافر براً أو بحراً أو جواً فَعليك أنْ تَختار الأقرَب إلىٰ السّلاَمة في نَظرك ونَظر العُقلاَء، ولَو عَلىٰ سَبيل الإحتمال الأَرجح وهذا الإحتمال يَتعين الأخذ والعَمل به تمَاماً كالعِلم.

المشّاؤون:

هُم أتبَاع فلسفَة أرسطو، لأَنّه كان يُعلّم تلاَميذة مَاشياً.

---

(١) أُنظر، فصل الماديّة والوَاقعيّة والمثاليّة.

المُصَادرَة:

هي الدّعوىٰ من غَير دَليل أو تتّخذ الدّليل من عَين الدّعوىٰ، كمَا لو قُلت: هذَا الكتَاب المَعروف بالتّوارة بَين النّاس هو مِن عندَ الله، لأَنّ كتَاب التّوارة ينصّ صرَاحة علىٰ أنّه من عِند الله.

المُفَارقَة:

تُطلق هَذِه الكَلمة للدّلالة علىٰ الآرَاء المُخالفة للمُعتقدات المَألوفة، وعَلىٰ الّذي لاَ يَعتقده صَاحبه، ولكنّه يُدافع عنهُ أمَام النّاس ليُعجبوا بِهِ (صليبا).

المَقولاَت:

قَالت المَوسُوعة الفَلسفيَّة السّوفياتيَّة: «قام أرسطُو بخدمَة كَبيرَة عندمَا طوّر المَقولاَت الفَلسفيَّة، فَقد رَصد عَشر مقولاَت، وآعتبرهَا هي الأَحوال الرّئيسيَّة للوجُود، ورَفع للغَاية من شَأن أهميتها العِلميَّة... وهي تُمكّن الإِنسَان من إحراز مَعرفة عَميقة بالعَالم المُحيط بِهِ». وهي:

(١) الجَوهر كالإِنسَان والحَجر.
(٢) الكَم ومنهُ العَدَد.
(٣) الكَيف كالحَرارَة والبُرودة.
(٤) الإِضَافة كنِسبة الاِبن لأَبيه.
(٥) الوَضع كالقِيَام والقعُود.
(٦) الأَين وهو نِسبة الجِسم إلىٰ المكَان.
(٧) المَتىٰ نِسبة الشّيء إلىٰ الزّمَان.
(٨) المِلك مِثل لفُلان مَال.

(٩) الفِعل مِثل كَسرت القَدح.
(١٠) الإِنفعَال فَانكَسر القَدح.

المَنْهَج:

فسّرت المَعاجم الفَلسفيَّة وغَيرها كَلمَة المَنهج في أكثَر من صفحَة، والَّذي نَفهمه نحنُ أنّ المَنهج طَريقة مُحدّدة لبَحث المَوضوع المَقصُود، وأنّه يَرتبط آرتباطاً لاَ يَنفصم عن آتّجاه البَاحث وثقَافته وفَلسفَته.

المورفولوجيا:

عِلم يَبحث في صُور الأَشياء أو أشكَالها، وتُطلق هَذه الكَلمة في عِلم الحيَاة علىٰ درَاسة الأنمَاط المُميزَة للأنواع الحيوَانيَّة والنّباتيَّة.

ميتاسيكلوجيا:

فَرع من عِلم النّفس، يَبحث الخصَائص اللاَّشعوريَّة.

الميتافيزيقا:

مُصطلح يُطلق علىٰ كلّ فِكرة أو مَبدأ أو حُكم لاَ يَعتمد علىٰ الحسّ والتّجربَة (أُنظر مَا بَعد الطّبيعَة).

ميكانيكا:

عِلم قوَانين الحَركَة.

(ن)

النّحو المَنطِقي :

فَرع من عِلم مَا بَعد المَنطق يَهتم بدرَاسة العَمليّات الحسَابيّة المُؤوّلة والمشكلات التّي تَنشأ عن فَحص العَمليّات الحسَابيّة . (المَوسوعة الفَلسفيّة السّوفياتيّة) .

النّرجسية :

نِسبة إلىٰ زُهرة النّرجس ، وفي اليُونان أُسطورة تقول : أنّ فَتىً من الفتيَان كَان مُعجباً بجمَاله ، وفي ذات يَوم رأىٰ صُورته في المَاء ، فألقىٰ بنَفسه فيه ليُعانقها ، ففَرق ، ولكن الآلهة أخرَجته من المَاء ، وحَولته إلىٰ زُهرة النّرجس . فأُطلقت النّرجسيّة علىٰ كلّ مَغرور ، وأنّ مآله إلىٰ الغَرق والعثُور .

وقَال صليبا في مُعجمه : « وتُطلق النّرجسيّة في أيّامنا علىٰ الشّذوذ الجِنسي الّذي يَجعل المَرء غَارقاً في عِشق ذَاته » .

النّسبيّة :

أُنظر فَصل نَافذة علىٰ النّسبيّة .

النّفعيّة :

مَذهب يقِيس بالمَنفعة . ونحنُ علىٰ هَذا المَبدأ بشَرط أنْ لاَ تكُون المَنفعة الخَاصّة علىٰ حسَاب الآخرين ، بل نحنُ لاَ نُفرق بَين المَنفعة الخَاصّة بهذا الشّرط وبَين المَنفعة العَامّة ، وأي عَاقل يَشك في أنّ خير الأَقوَال والأَعمال مَا نَفع ؟ عِلماً

بأنّ الأَفضليَّة للمَصلحة العَامّة عند التّزاحم والتّصادم، وعلىٰ هذا الأَساس وجَب الجِهاد بالرّوح والمَال في سَبيل الدّين والوَطن.

النّقطَة:

ولهَا ثلاَثة أقسَام:

١ ـ مادّيّة، وهي أصغَر شيء يُمكن أنْ يُشار إِلَيه.

٢ ـ لاَ يُمكن الإِشارة إِلَيها إِطلاَقاً، لأَنّها بَلغت الغَاية في الصّغر، وبَعض المَعاجم عبّر عَنها بجَوهر الفَرد.

٣ ـ النّقطة الرّياضيَّة، وهي نهَاية الخطّ. ومن درُوس المَنطق التّي حَفظتها مُنذ خَمسين سنَة أو يَزيد: النّقطة طَرف الخطّ، والخَطّ طَرف السّطح، والسّطح طَرف الجِسم، والسّطح غَير مُنقسم في العُمق، والخطّ غَير مُنقسم في العَرض والعُمق، وعَليه فالنّقطة لاَ تَنقسم طولاً ولاَ عَرضاً ولاَ عُمقاً لاَ بالفِعل ولاَ بالقوّة أصلاً.

النّومن:

يُطلق علىٰ الشّيء في ذَاته، وهو الحَقيقَة المُطلقة التّي تُدرك بالحَدس العَقلي لاَ بالتّجربة.

النّيرفانا:

تُطلق هَذِه الكَلمة عِند البُوذيّين علىٰ الخَير الأَعلىٰ الّذي يَبلغه الإِنسَان برجُوعه إلىٰ المَبدأ الأَوّل، وإِمحاء ذَاته الفَردية. وٱستعملها (شوبنهور) في إِنكار إِرادة الحيَاة إِنكاراً تامّاً.

(٥)

الهوهو :

والمُراد بهذا هو التّعبِير عن أنّ الشّيء هو عَين ذَاته ، ويَستحيل أنْ لاَ يكُون كذَلك وإلاَّ لاِنسد بَاب العِلم ، وتَعذّر الحُكم علىٰ أي شيء .

ونُقل عن ٱبن سِينا القول بأنّ الهوهو تُستعمل أيضاً في الإتّحاد بين ٱثنين بطَريق أو بآخر .

الهَيئة :

عِلم الهَيئة قِسم من الرّياضَة ، ويَبحث أحوَال أجزَاء العَالَم في أشكَالها ، وأوضَاع بَعضها مع بَعض ومقَاديرها ، وأبعَاد مَا بَينها ، وحال حَركات الأفلاك والكوَاكب .

(صليبا نقلاً عن رسَالة ٱبن سِينا) .

الهُيولىٰ :

وهِي مُرادفَة للمَادّة والجِسم القَابل للصّورة الجِسميّة والنّوعيّة (أي تمَام حَقيقة الشّيء ومَاهيته) (أُنظر الصُّورة) .

والعَقل الهيولاَني مُرادف للعَقل بالقوّة الَّذي يَشبه الصّفحة البَيضاء الخَالية مِن النّقش ، وبتَعبِير آخر هو الإستعداد المَحض لإدراك المَعقولاَت .

(و)

الواحديّة :

مَذهب فَلسفي يقُول : أنّ مَبدأ العَالَم ومَصدره واحد ، وآختَلف القَائلون بذَلك فيَما بينهُم ، فقَال المَاديّون : هو المَادّة .

وقَال المثَاليُون : بل هُو قوّة تَدرك وتَعلم ، ولاَ تَمت إلىٰ المادّة بسَبب .

وحدَة الوجُود :

ومَعناها أنّ الله والطّبيعَة بشتّىٰ مظَاهرها ، شيء وَاحد ولاَ آثنَينيَة ، بل كُلّ شيء مِنها هو الله سُبحانه وتعَالىٰ عمّا يَصفون ، وأوضح مَا قرأتُ في هذا البَاب قَول طَاغور الشّهير : « الله حَقيقة دَائمة الإتّحاد بشتّىٰ الموجُودات ، وتَتجلىٰ في مُختلف مُحتويات الكَون ، وتتّخذ مظَاهر مُتنوعة تَبدو في أشكَال الطّبيعة المُتعددة من إنسَان وحَيوان ونبَات وجمَاد » .

(ي)

اليَسار واليَمين :

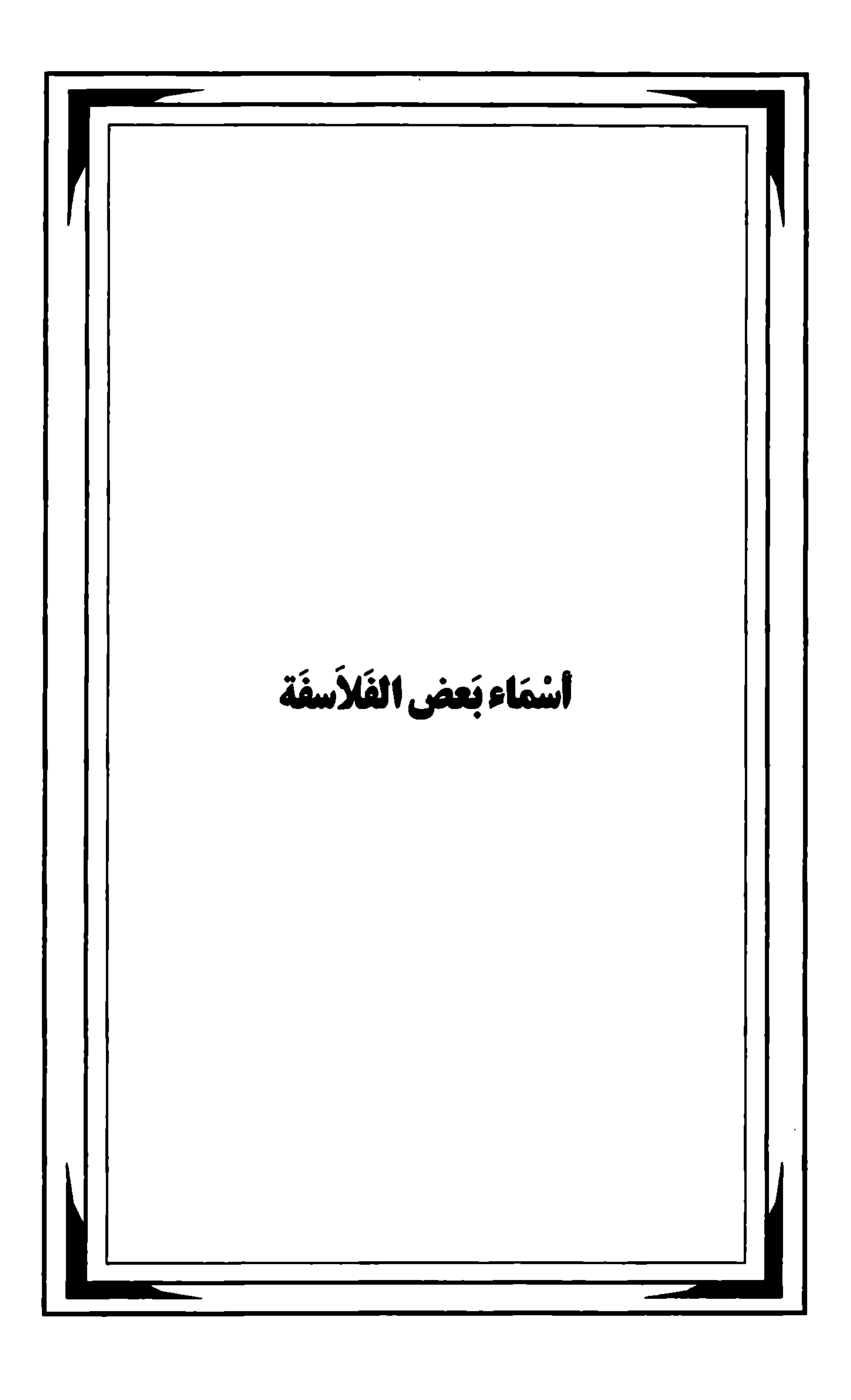
دَأب النّاس في هَذه الأَيّام أنْ يَطلقوا كَلمة يَميني علىٰ مَن يُحافظ علىٰ الوَضع القَائم أيّاً كان لَونه، ويُبقي مَا كان علىٰ ما كَان، وكَلمة يَساري علىٰ مَن يقُول بوجُوب التّغيير وتَجديد إلىٰ الأَفضل والأَكمل.

ونُقل عن كتَاب أَلوان لطَه حُسين أنّه قَال: اليَميني مَن يُدافع عن الحُرِّية، واليَساري مَن يُدافع عن العَدالة الإِجتماعيّة، ويُمكن التّوفيق بَينهما تمَاماً كمَا كالتّوفيق بَين العَدل والحُرِّية!.

وهَذا خَلط وآشتبَاه، لأَنّ اليَسار هو التّحرر والحُرِّية، واليَمين جمُود وتَقليد، فكَيف يُمكن الجَمع بين الضّدّين؟ وهل الصّراع الّذي قَام بَين مَن يُصلح ويُفسد ومَا زَال، وسَيبقىٰ إلىٰ آخر يَوم ـ إلاّ صرَاع بَين التّقليد الأَعمىٰ وحرّية العَقل والفِكر؟.

اليُوغا :

فَلسفَة أو نَزعة هِندية تقُوم علىٰ ممّارسَة تَرويض النّفس وتَحرّرها من الطّاقات والغَرائز الحسيّة والعَقليَة لكي تَصل رُويداً رُويداً إلىٰ الإِتّحاد بالرّوح الكَونيّة.



أسْمَاء بَعض الفَلاَسفَة

أسْمَاء بَعض الفَلاَسفَة

ابن بَاجة :

من فلاَسفَة الأندُلس، وهو أبو بَكر مُحَمَّد بن يَحيىٰ، وُلد فـي أشـبيلية عَـام (١١١٨م).

ابن رُشد[1] :

فَيلسوف أُندلسي (١١٢٦ـ١١٩٨م).

---

(١) مُحَمَّد بن رُشد (٥٢٠ ـ ٤٥٠هـ) (١١٢٦ ـ ١٠٥٨م) مُحَمَّد بن أحمَد بن أحمَد بن رُشد القُرطبي، المَالكي أبو الوَليد فَقيه، أصُولي. وُلد في شوَال، وروىٰ عن أحمَد بن رزق ومُحَمَّد بن خيرة ومُحَمَّد بن فَرج وغيرهم من القُضاة، وتُوفّي بقُرطبة في ذي القَعدة، ودُفن بمَقبرة عبّاس.

من تصَانيفه: المُقدّمات لأوائل كُتب المُدونة، البَيان والتّحصيل لمَا في المُستخرجة من التّوجيه والتّعليل في أزيد من عِشرين مجلّداً، مُختصر المَبسوطة، ومُختصر مشكل الآثار للطّحاوي.

أُنظر، الذّهبي: سِير النّبلاء: ١١٥: ١٢، ١١٦، فَهرس المُؤلفِين بالظّاهرية.

(الضّبي: بُغية المُلتمس ٤٠، أبن بشكوال: الصّلة ٥١٨، ٥١٩، الذّهبي: تَذكرة الحفّاظ ٦٥/ ٤، اليّافعي: مرَآة الجنَان ٢٢٥ /٣، المَغرب في حلي المَغرب ١٦٢، أبن العمّاد: شَذرات الذّهب ٦٢/ ٤، أبن فَرحون: الدّيباج ٢٧٨، ٢٧٩، حاجي خَليفة: كَشف الظّنون ٣٦١، ١٤١٢، الصّعيدي: المُجد دون في الإِسلام ٢٢٣ ـ ٢٢٠، البَغدادي: هَدية العَارفين ٣٨٤ ٢/٨٥.

ابن سِينا[1] :

فَيلسوف فَارسي (٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م).

ابن طُفيل :

من فلاَسفَة الأندُلس ، وُلد في قَادس ، ومَات في مراكش عَام ١١٨٥ م .

أبيقور :

فَيلسوف يُونَاني (٣٤٢ ـ ٢٧٠ م . ق . م).

أرسطُو :

أشهر فَلاَسفَة اليُونان (٣٨٤ ـ ٣٢٢ م).

أفلاَطون :

فَيلسوف يُونَاني كَبير وشَهير (٤٢٧ ـ ٣٤٧ م).

---

(١) الحُسين بن سِينا (٤٢٨ ـ ٣٧٠هـ) (١٠٣٧ ـ ٩٨٠م) الحُسين بن عَبد الله أبن الحَسن بن عليّ بن سِينا البَلخي ، ثُمّ البخَاري ، ويُلقب بالشّيخ الرّئيس أبو عليّ فَيلسوف ، طَبيب ، شَاعر ، مُشارك في أنواع من العُلوم . وُلد بخرميشن من قرىٰ بخَارا في صفر ، وتوفّي بهمذان في رمضَان (وفي الكَامل لاِبن الأثير : مَات بأصبهان في شَعبان).

من تصَانيفه الكَثيرة : القَانون في الطّب ، تقَاسيم الحِكمة ، لسَان العَرب في اللّغة ، المُوجز الكَبير في المَنطق ، وديوان شِعر .

أنظر ، الذّهبي : سِيرالنّبلاء ١١٨ : ١١ ، ١١٩ ، تَذكرة طَاهر الجزائـري : ٢ / ٢٦ رَقـم ٤٨ ، طَـاهر الجزَائري : دَفتر خزَائن الكُتب ١ / ٢٩ ، ٢ / ٣٠ رَقم ٤٧ ، أبن شاكر الكُتبي : عيون التّوارِيخ ٢ / ١٦٦ ـ ١ / ١٥٩ : ١٣ ، تَراجم الأعَاجم ٢ / ١٥٠ ، ١ / ١٥١ ، ٥٢٨٥ عَام ، ظَاهريّة ، طَبقات الحَنفية ٢ / ٢٠ ، عَام ٧١٤٩ ظَاهرية ، كتَاب في التّراجم ١ / ٨٣ ـ ١ / ٨١ ، عام ٧٠٤٣ ، ظَاهرية ، كتَاب في التّراجم ٢ / ١٤ ، عام ٤٦١٦ ، ظَاهرية ، فهرس المُؤلفين بالظّاهرية تأريخ أبن أبي عَدسة ٢٧٢ : ٣ ، الصّـفدي : الوَافي ٨٧ ـ ٧٩ : ١١ .

أفلوطِين :

فَيلسوف مثَالي ، وُلد في مَصر عام ٢٠٥ بعَد المِيلاد ، وعَاش في رُوما ، ومَات عَام ٢٧٠.

أوغسطين :

فَيلسوف مَسيحي لاَهوتي مُتصوف ، وُلد في طاجسطا بالجزَائـر عـام ٣٥٤ ومَات ٤٤٠.

بركلي جورج :

فَيلسوف إنْجلِيزي مثَالي ذَاتي (١٦٨٥ ـ ١٧٥٣ م).

برادلي . . . هربَرت :

فَيلسوف إنْجلِيزي (١٨٤٦ ـ ١٩٢٤ م).

برجسون . لوي :

فَيلسوف فَرنسي (٨٥٩ ـ ١٩٤١ م).

بسكال بليز :

فَرنسي (١٦٢٣ ـ ١٦٦٢ م).

بيكون فرانسيس :

فَيلسوف إنْجلِيزي (١٥٦١ ـ ١٦٢٦ م).

البيروني [١] **:**

مُحَمَّد أبو الرَّيحان، وُلد عَام ٩٧٣ م ومَات بخوَارزم بغَزنة في أفغَانستان عَام ١٠٤٨.

توما الاكويني :

إيطَالي لاَهوتي (١٢٢٥ ـ ١٢٧٤ م).

جرين توماس :

إنْجليزي (١٨٣٦ ـ ١٨٨٢ م).

جميس وليم :

عالم نَفسي أمرِيكي (١٨٤٢ ـ ١٩١٠ م).

---

(١) مُحَمَّد بن أحمد البيروني (نِسبة إلىٰ بيرون بالسِّند)، الخوارزمي أبـو الرّيـحان حَكـيم، ريـاضي، فَلكي، طَبيب، أديب، لُغوي، مؤرّخ. وُلد بضواحي خوارزم في ذي الحجة وسافر إلىٰ بلأد الهند ومَكث فيها عدّة سنِين، وتَبحر في الحِكمة اليُونانية والهندية وتَخصص بأنواع الرّياضيَّات، وتوفّي في رجب.

من تصَانيفه الكَثيرة: (قَال يَاقوت في مُعجم الأدباء: وأما سَائر كُتبه في عُـلوم النّـجوم والهَـيئة والمَنطق والحِكمة فإنّها تَفوق الحَصر، ثم قَال: رأيت فَهرستها في وقف الجَامع بمرو في نَحو السّتين ورقَة بخطّ مكتز.

وقَال البيهقي: زَادت تصَانيفه عَلىٰ حمل بعير) الآثار البَاقية عن القرون الخَالية، مُختار الأَشعار والآثار، مقَاليد عِلم الهَيئة وما يَحدث في بسيط الكُرة، الصّيدلة في الطّب، والجمَاهر في مَعرفة الجوَاهر.

أُنظر، خ (فهرس المؤلفين بالظّاهرية) ط (أبن أبي أصيبعَة: عيُون الأنباء ٢٠: ٢، ٢١، يَاقوت: مُعجم الأُدباء ١٩٠ ـ ١٨٠: ١٧، أبن الأثير: اللّباب ١٦٠: ١، ١٦١، أبن العَبري: تأريخ مُختصر الدّول ٣٢٤، ٣٢٥، البَيهقي: تأريخ حُكماء الإسلام ٧٤ ـ ٧٢، السّيوطي: بُغية الوعَـاة ٢٠، ٢١، حَـاجي خَليفة: كَشف الظّنون ٩، ٧٠، ٧٩، ٨١، ٣٤٥.

ديكارت :

فَيلسوف فَرنسي (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠ م).

ديموقريطس :

فَيلسوف مادّي يُونَاني (حوَالي ٤٦٠ ـ ٣٧٠ ق . م).

ديوجين الكلبي :

فَيلسوف شَهير ، عَاش في أثينَا (٤٠٤ ـ ٣٢٣ ق . م).

ديوي جون :

فَيلسوف أمرِيكي (١٨٥٩ ـ ١٩٥٢ م).

رأسل بر تراند :

فَيلسوف إنْجلِيزي (١٨٧٢ ـ ١٩٧٠ م).

روسو جان جاك :

فَرنسي (١٧١٢ ـ ١٧٧٨ م). اْشتهر كفَيلسوف وعَالم إجتَماع .

زينون الأيتومي :

مُؤسّس المَدرسة الرَّواقيَّة ، وُلد في أكتيوم بقُبرص (حوالي ٣٣٦ ـ ٢٦٤ ق . م).

سارتر جان بول :

فَرنسي وُلد سنة ١٩٠٥ كَاتب وفَيلسوف وجُودي .

سبنسر هربرت :

فَيلسوف إنْجلِيزي شَهير (١٨٢٠ ـ ١٩٠٣ م).

الرّازي[(١)] :

أبو بكَر مُحَمَّد بن زكريا الرَّازي، وُلد في الرَّي، وتُوفّي عَام ٩٢٣ أو ٩٣٢ م. طَبيب وفَيلسوف وعَالم ريَاضي.

---

(١) مُحَمَّد بن زكريا الرّازي، (٣١٣ ـ ٢٥١ هـ) (٩٢٥ ـ ٨٦٥م) أبو بَكر: فَيلسوف، من الأئمّة في صناعة الطّب. من أهل الرّي. وُلد وتَعلّم بها. وسَافر إلىٰ بَغداد بعد سن الثّلاثين. يُسمّيه كتّاب اللأّتينية) رازيس (Rhazes) أولع بالمُوسيقىٰ والغناء ونَظم الشّعر، في صِغره. وأشتغل بالسّيمياء والكِيمياء، ثُمّ عكف عَلىٰ الطّب والفَلسفَة في كِبره، فنَبغ وآشتهر. وتولىٰ تَدبير مارستان الرّي، ثُمّ ريَاسة أطباء البيمارستان المُقتدري في بغدَاد. قَال أحد مُعاصريه: كان شَيخا كَبير الرّأس، مُسفطه. وكَان يَجلس في مَجلسه ودونه تلاَميذه، ودونهم تلاَميذهم، ودونهم تلاَميذ أخر. فَيجئ المَريض فيذكر مَرضه لأوّل من يَلقاه، فإنْ كان عندهم عِلم وإلاَّ تَعداهم إلىٰ غَيرهم، فإنْ أصابوا وإلاَّ تكلّم الرّازي في ذلكَ. وعمي في آخر عُمره. ومَات ببغداد. وفي سنَة وفَاته خلاف، بَين نَيف و ٢٩٠ و ٣٢٠ هـ. لهُ تصَانيف، سمّىٰ أبن أبي أصيبعَة مِنهَا ٢٣٢ كتَاباً ورسَالة.

الحَاوي ـ خ (في صنَاعة الطّب، وهو أجل كُتبه، ترجم إلىٰ اللأّتينية وطُبع فيها، و) الطّب المَنصوري ـ خ (طُبع باللأّتينية، و) الفصُول في الطّب (ويسمّىٰ) المُرشد ـ ط (نُشر في مجلّة معهد المَخطوطات. و) الجُدري والحَصبة ـ ط (و) بَرء السّاعة ـ ط (رسَالة، و) الكَافي ـ خ (و) الطّب المَلوكي ـ خ (و) مقَالة في الحصىٰ والكلىٰ والمثَانة ـ ط (و) الأقرباذين ـ خ (و) تَقسيم العلَل ـ خ (و) المَدخل إلىٰ الطّب ـ خ (و) خوَاصّ الأشيَاء ـ خ (و) الفَاخر في عِلم الطّب ـ خ (و) البَاه ومنَافعه ومضَاره ومدَاواته ـ خ (و) سرّ الصّناعة ـ خ (طُبعت تَرجمته اللأّتينية باسم) الأسرار (و) أسئلة من الطّب ـ خ (و) تَلخيص كتَاب جالينوس في حيلَة البرء ـ خ (و) منَافع الأغذيّة ودَفع مضارهَا ـ ط (وكتَاب) الفُقراء والمسَاكين ـ خ (و) جرَاب المُجربات وخزَانة الأطبّاء ـ خ (و) الخواصّ ـ خ (رسَالة، و) مقَالة في النّقرس ـ خ (و) القُولنج ـ خ (و) مَجموع رسَائل ـ ط (نَشرته الجَامعة المَصريّة، يَشتمل عَلىٰ ١١ رسَالة، وكتَاب) من لاَ يَحضره الطّبيب ـ خ (بالمَدينة. وفي مَكتبة Marciana بالبُندقية، مَجموعة من) رسَائله (في الطّب) رقم ٤١ = ١٠٧ = ١٥٧) لم يتّسع وقتي لفَحصها. وللدّكتور دَاود الجَلبي المُوصلي كتَاب) مُحَمّد بن زكريَا الرّازي.

أُنظر، روُح المُقاومة المَغربية، رسَالة طُبعت في ١٨ يونيو ١٩٥٩ وأحمَد زيَاد، في العِلم ١٤ مُحرم ١٣٨٣ والعِلم ٢٠ أغسطس ١٩٥٨ وأُنظر هامش علاّل بن عبد الله.

سبينوزا:

فَيلسوف هُولندي يَهودي (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧).

ستيفنسون تشارلس:

فَيلسوف أمريكي وُلد سنَة ١٩٠٨.

سقراط:

فَيلسوف يُونَاني كَبير وشَهير (٤٦٩ ـ ٣٩٩ ق.م).

شوبنهور:

فَيلسوف مَعروف ألمَاني (١٧٨٨ ـ ١٨٦٠ ق.م).

شيللر:

شَاعر وفَيلسوف ألمَاني (١٧٥٩ ـ ١٨٠٥ م).

شيشرون:

فَقِيه وسيَاسي وفَيلسوف رومَاني (١٠٦ ـ ٤٣ ق.م).

صدر الدّين الشيرازي:

ويُعرف بالملاّصدرا، إيراني توفّي ١٠٥٠ هـ.

طاليس الملطي:

أوّل فَيلسوف أفريقي قَديم من النّاحية التّأريخيّة (حوالي ٦٢٤ ـ ٥٤٧ ق.م).

الطّوسي:

نَصير الدّين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحُسين، كَبير وشَهير بالفَلسفة والفَلك

والرِّياضيَّات (١٢٠١ ـ ١٢٧٤ م).

الفارابي :

أبو نَصر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن طَرخان من عُظماء الفَلاَسفَة ، تُركي (حوالي عَام ٢٥٩ ـ ٣٣٩ هـ).

فشته :

فَيلسوف ألمَاني (١٧٦٢ ـ ١٨١٤ م).

فيثاغورس :

فَيلسوف يُونَاني اَزدَهر حوَالي عام ٥٣٠ قَبل المِيلاد .

كانت :

فَيلسوف وعَالم ألمَاني (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤ م).

كونت :

فَيلسوف فَرنسي (١٧٩٨ ـ ١٨٥٧ م).

كيركجارد :

دنمَاركي (١٨١٣ ـ ١٨٥٥ م).

لوك هون :

فَيلسوف مادّي إنْجلِيزي (١٧٣٢ ـ ١٨٠٤ م).

ليبنتز :

ألمَاني (١٦٤٦ ـ ١٧١٦ م).

مَاخ :

نَمسَاوي (١٨٣٨ ـ ١٩١٦ م).

مَاركس :

وُلد في مَدينة ترير بالمَانيا سنَة ١٨١٨ م وتُوفّي بلَندن ١٨٨٣ .

مل ستيورات :

إنْجلِيزي (١٨٠٦ ـ ١٨٧٣ م).

ما جيمس :

اَسْكُتلندي (١٧٧٣ ـ ١٨٣٦ م).

ماكيافيللي :

مُفكّر إِيطَالي (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧ م).

نيتشه :

ألمَاني (١٨٤٤ ـ ١٩٠٠ م).

نيوتن أسحق :

عَالم طَبيعة إنْجلِيزي (١٦٤٣ ـ ١٧٢٧ م).

هاميلتون :

فَيلسوف آسْكندري (١٧٨٨ ـ ١٨٥٦ م).

قرقليطس :

يُونَاني اَزدَهر حوَالي ٥٠٠ ق.م.

هكسلي :

إنْجلِيزي (١٨٢٥ ـ ١٨٩٥ م).

الغزّالي[١] :

أبو حَامد مُحَمَّد، فَقيه وفَيلسوف مُتصوف (١٠٥٩ ـ ١١١١ م).

هوبز توماس :

إنْجلِيزي (١٥٨٨ ـ ١٦٧٩ م).

---

(١) مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد الطّوسي الشّافعي، المَعروف بالغزالي (زين الدّين، حجّة الإسلام، أبو حَامد) حَكيم، مُتكلم فَقيه، أصُولي، صُوفي، مُشارك في أنواع من العُلوم.

وُلد بالطابران إحدىٰ قصبتي طوس بخراسان، وطَلب الفِقه لتَحصيل القُوت، ثُمّ أرتحل إلىٰ أبي نَصر الإسماعيلي بجرجان، ثُمّ إلىٰ إمام الحَرمين أبي المَعالي الجويني بنيسابور، فاشتغل عليه ولآزمه ثُمّ جَلس للإقراء، وحَضر مَجلس نظام الملك، فأقبل عليه نظام الملك، فعظمت منزلة الغزّالي، ونُدب للتّدريس بنظامية بغداد، ثُمّ أقبل عَلىٰ العبَادة والسّياحة، فخرج إلىٰ الحِجاز فحجّ، ورجَع إلىٰ دمشق فاستوطنها عَشر سنِين، ثُمّ سار إلىٰ القدس والإسكندريّة، ثُمّ عاد إلىٰ وطنه بطُوس، ثُمّ إنّ الوزير فخر الدّين أبن نظام الملك طَلبه إلىٰ نظامية نيسابور فأجاب إلىٰ ذَلكَ، ثُمّ عاد إلىٰ وطنه، وأبتنىٰ إلىٰ جواره خانقاه للصوفية ومَدرسة للمُشتغلين ولزم الإنقطاع، وتوفّي بالطابران.

من تصَانيفه الكَثيرة : إحيَاء عُلوم الدّين، الحِصن الحَصين في التّجريد والتّوحيد، تهَافت الفَلاَسفَة، الوَجيز في فروع الفِقه الشّافعي، والمُستصفىٰ في أصول الفِقه.

(الذّهبي : سِير النّبلاء ٨١ ـ ٧٥ : ١٢، أبن الصّلاح : الطّبقات ٢ / ٢٣ ـ ٢ / ٢١، مناقب الشّافعي وطَبقات أصحابه من تأريخ الذّهبي ١ / ١٨٧ ـ ٢ / ١٨١، أبن عَبد الهَادي : كتَاب في ترَاجم الرّجال ٢ / ٥٦، أبن هدَاية : أسماء الرّجال النّاقلين عن الشّافعي أو المَنسوبين إليه ٦٤. فهرس المُؤلفين بالظّاهرية) ط (أبن خلّكان : وفيّات الأعيَان ٥٨٨ ـ ٥٨٦ : ١، السّبكي : طَبقات الشّافعية ١٨٢ ـ ١٠١ : ٤، أبن الجَوزي : المُنتظم ١٦٩ : ٩، ١٧٠، أبن الأثير : اللّباب ١٧٠ : ٢، أبن العمّاد شَذرات الذّهب:١٣.

هوسول ادموند :

ألماني (١٨٥٩ ـ ١٩٣٨ م).

هيجل :

فَيلسوف ألمَاني شَهير (١٧٧٠ ـ ١٨٣١ م).

هيوم ديفيد :

أسْكندري (١٧١١ ـ ١٧٧٦ م).

ياسبرز كارل :

ألمَاني وُلد سَنة ١٨٨٣ .

الفَهَارِس الفَنِّيَّة العَامَّة

فهرس الآيات

الآيــة	رَقْمَهَا	الصَّفْحَـة
الرّعد		
﴿قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ﴾	١٦	٢٥٧
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾	٥٥٢٩	
إبراهيم		
﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾	٢٥	٢٠٧
الحجر		
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾	٦	٢١٩
الإسراء		
﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾	٩٥	٢١٨
﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ﴾	٩	٢٠٩
﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ﴾	٢٦ ـ ٢٧	١٩١
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ﴾	٧٠	١٠٨ و ١٦٦
الأنبياء		
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	٢٢	٢١٤
﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾	٩٠	١٦٧
﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾	٧٩	٥١

فِهْرَس الأَحَادِيث

فهرس المصادر

١ . القرآن الكريم ، كتاب الله تبارك وتعالىٰ الحيّ القيُّوم .

حرف الألف

٢ . أضواء البيان في تفسير القرآن لمحمد بن الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الشنقيطي .

٣ . أضوَاء علىٰ المَسيحيَّة لمُتولي يُوسف شَلبي .

٤ . الإقناع في حلّ ألفاظ أبي شُجاع للشَّربيني الخَطيب القَاهري الشَّافِعي .

حرف الباء

٥ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، للعلاّمة محمَّد باقر بن محمَّد تقيّ المجلسيّ (ت ١١١٠ هـ ق) ، تحقِّيق ونشر : دار إحياء التّراث ، الطَّبعة الأولىٰ ـ بيروت ١٤١٢ هـ.

٦ . البداية والنّهاية ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدّمشقي ، تحقِّيق : عليّ شيري ، دار الكتب العلمية ، الطَّبعة الخامسة ، (١٤٠٩) هـ ، مطبعة السّعادة مصر عام ١٣٥١ هـ.

٧ . البداية والنّهاية ، محمَّد بن عبدالحرّ الكتاني (ت ١٣١٢ هـ) . طبعة القاهرة (١٣٥١ ـ ١٣٥٨ هـ) .

٨ . البيان ، محمَّد بن جمال الدِّين مكي العاملي المعروف بالشهيد الأوَّل ، طبع مجمع الذَّخائر الإسلاميَّة .

حرف التّاء

٩ . تأريخ بغداد ، لأحمد بن عليّ الخطيب البغداديّ ، طبعة دار السّعادة مصر .

١٠ . تأريخ ابن خلدون ، المسمىٰ التّأريخ أو العبر وديوان المبتدأ أو الخبر . عبد الرّحمن بن محمَّد المشهور بابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) ، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٩٧١ هـ.

١١ . تأريخ دمشق ، حمزة بن أسد القلانسي (ت ٥٥٥ هـ) . طبعة بيروت عام (١٩٠٨ م) .

١٢ . تأريخ دمشق ، عليّ بن الحرّ بن عساكر (ت : ٥٧١ هـ) . طبعة دمشق ١٩٥١ ـ ١٩٥٤ م . طبعة (١٩٨٢ م) .

١٣ . تأريخ الطّبريّ تأريخ الرّسل والامم والملوك ، لأبي جعفر محمَّد بن جرير الطّبريّ (... ـ ٣١٠ هـ) ، تحقّيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف القاهرة (١٩٦٠ م) طبعة اوربا ، طبعة الإستقامة مصر .

١٤ . تأريخ ابن عساكر (تأريخ دمشق) ، الأجزاء الّتي حققّها المحمودي ، ترجمة الإمام عليّ والإمام الحسن والإمام الحسيْن .

١٥ . تأريخ اليعقوبيّ ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العبّاسي المعروف باليعقوبيّ ، طبعة النّجف الأشرف ١٣٥٤ هـ.

١٦ . تأريخ اليعقوبي ، لابن واضح . طبعة دار صادِر بيروت . وأيضاً النّجف .

١٧ . تحفة الأحوذي بشرح جامع التّرمذي ، لعبدالرّحمن بن عبدالرّحيم المباركفوري ، طبع سنة (١٢٨٢ هـ) ، دار الكتب العلمية .

١٨ . تحف العقول ، لأبي محمّد الحسن بن عليّ الحرّاني المعروف بابن شعبة ، مؤسّسة النّشر الإسلامي ـ قم ، الطّبعة الثّانية ١٤٠٤ هـ ، وإنتشارات جامعة مدرسين ، وطبعة دار إحياء التّراث العربيّ ١٤٠٦ هـ.

١٩ . تفسير روح المعاني ، لأبي الفضل شهاب الدّين السّيّد محمّد الآلوسي ، طبعة مكتبة المثنىٰ بغداد ١٣٩٦ هـ.

٢٠ . تفسير القرآن العظيم ، (تفسير ابن كثير) ، لإسماعيل بن عمر بن كثير البصريّ

الدّمشقيّ ، (ت ٧٧٤هـ) . طبعة بيروت دار المعرفة ١٤٠٧ هـ ، طبعة دار إحياء التُّراث العربيّ ، طبعة دار صادر .

٢١ . تَفْسِير البَحر المُحيط ، لمُحَمَّد بـن يُـوسُف الشّـهير بأَبـي حَـيّان الأُنـدلسيّ (ت ٧٤٥هـق) : ٦ / ٤٢٤ ، تَحقيق : عَادل أحمَد عَبد المَوجُود ، طَبعة ـ بَيرُوت (١٤١٣ هـ) ، طَبعَة السَّعادَة بمَصر .

٢٢ . التَّوحيد والتَّثليث للشَّيخ مُحمَّد جوَاد البلاَغي .

حرف الجيم

٢٣ . جامع الأصول في أحاديث الرّسول ، لأبي السّعادات مجد الدّين المبارك بن محمّد ابن محمّد المعروف بابن الأثير الشّيباني الشّافعي ، (ت ٦٠٦هـ) طبعة الفجّالة مصر ١٤٠٦هـ.

٢٤ . الجامع الصَّحيح (سنن التّرمذي) ، لأبي عيسىٰ محمَّد بن عيسىٰ بن سورة التّرمذي (ت ٢٩٧ هـ) تحقّيق : أحمد محمَّد شاكر ، دار إحياء التُّراث ، بيروت .

٢٥ . الجامع الصَّحيح (صَحيح مسلم) بشرح النَّووي ، لمسلم بن الحجَّاج بن مسلم القشيري النّيشابوري (ت ٢٦١ هـق) ، تحقّيق : محمَّد فؤاد عبد الباقي ، دار الحـديث ، القـاهرة ، الطَّـبعة الأولىٰ ١٤١٢ هـ.

٢٦ . الجامع الصَّغير ، في أحاديث البشير النَّذير جلال الدِّين عبد الرَّحمن بن أبي بكر جلال الدّين السّيوطي (ت ٩١١ هـق) ، الطَّبعة الأولىٰ ـ القاهرة ١٣٦٥ هـ.

٢٧ . جَريدة الأَهرام المَصريَّة في عَددها الصّادر بتأريخ (١٢ / ٤ / ١٩٧٤ م) .

حرف الحاء

٢٨ . الحكمة المتعالية في الأسْفار العقليَّة الأربعة للحكيم صدر الدِّين مـحمَّد الشّـيرازي ، الطَّبعة الثَّالثة ، دار إحياء التُّراث العربي بيروت .

٢٩ . الإحكام لابن حزم ، لعليّ بن أحمد بن حزم الأندلسي ، أبو محمّد ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٤ هـ ، طبعة ١ .

٣٠ . الإحكام للآمدي ، لعليّ بن محمّد الآمدي ، أبو الحسن ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٤هـ، تحقّيق : الدّكتور سيّد الجميلي .

٣١ . حاشية ردّ المختار على الدُّر المختار لإبن عابدِين ، المطبع المصطفائي ، لكهنو .

٣٢ . حلية الأوليَّاء وطبقات الأصفياء ، أحمد بن عبدالله . أبو نعيم الإصبهاني (المتوفّى ٤٣٠هـ) .

حرف الدّال

٣٣ . الدُّر المنثور في طبقات ربَّات الخدور ، العاملي ـ زينب (ت ١٣٣٢ هـ) . طبعة القاهرة (١٣١٢ هـ) .

٣٤ . الدُّر المنثور في التَّفسير بالمأثور ، جلال الدِّين السّيوطي (ت ٩١١هـ) . دار الفكر بيروت : لبنان .

٣٥ . دلائل النُّبوَّة ، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) . نشر دار الوعي ـ حلب (١٣٩٧هـ) .

٣٦ . دلائل النُّبوَّة ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ) نشر دار الوعي حلب ١٣٩٧هـ.

٣٧ . دَرء تَعارض العَقل والنّقل لتقي الدِّين أحمد بن عَبدالسّلام بن عَبدالحَليم بن عَبدالسّلام بن تَيميَّة ، دَار النّشر الكُتب العِلميَّة بَيروت ١٤١٧ هـ، تَحقيق : عَبد اللّطيف عَبدالرّحمن

حرف الذّال

٣٨ . ذكر أخبار إصبهان ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) تحقّيق سيّد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

حرف الرّاء

٣٩ . روضة الواعظين ، لمحمَّد بن فتَّال النّيسابوريّ ، طبعة بيروت ١٤٠٢هـ.

٤٠ . روح المعاني في تفسير القرآن ، لأبي الفضل شهاب الدِّين السَّيِّد محمود الآلوسي ، دار

إحياء التّراث ـ بيروت .

٤١ . روُح المُقاومة المَغربية ، رسَالة طُبعت في ١٨ يونيو (١٩٥٩) وأحمَد زيَاد ، في العِلم ١٤ مُحرم ١٣٨٣ والعِلم ٢٠ أغسطس ١٩٥٨ .

٤٢ . الرّوض الأزهر في تَأريخ بُطرس الأكبر لفولتير .

٤٣ . الرَّحلة المَدرسية للشّيخ جوَاد البلاَغي .

حرف السّين

٤٤ . سبل السّلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ، لمحمَّد بن إسماعيل الكحلاني ثمَّ الصّنعاني اليمني ، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطّبعة الرّابعة ١٣٧٩ هـ.

٤٥ . سُبلُ الهُدىٰ وَالرَّشَاد في سيرة خَير العباد لمُحَمَّد بن يُوسُف الصَّالحي الشَّاميّ المُتوفَّىٰ سَنَة (٩٤٢ هـ) دراسَة وَتَحقيق وَتَعليق الشَّيخ عادل أَحمَد عَبدالموجُود وَالشّيخ عليّ مُحَمَّد معوض ، دار الكُتب العلميَّة لُبنان طَبع سَنَة (١٤١٤ هـ) .

٤٦ . سفينة البحار ، المسمَّىٰ سفينة بحار الأنوار ومدينة الحكم والآثار . عبَّاس أبن محمَّد رضا القمي . طبعة النَّجف سنة ١٣٥٥ هـ.

٤٧ . السُّنن الكبرىٰ ، لأبي بكر أحمد بن الحسيْن بن عليّ البيهقي (ت ٤٥٨ هق) ، تحقّيق : محمَّد محيي الدّين عبد الحميد ، دار إحياء التُّراث العربي ـ بيروت ١٤٠٥ هـ. وتحقّيق : محمَّد عبد القادر عطا ، طبعة دار الكتب العلمية ، الطَّبعة الأولىٰ ـ بيْروت ١٤١٤هـ مصوَّرة من دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدّكن ١٣٥٣ هـ.

٤٨ . سنن آبن ماجه ، لأبي عبد الله محمَّد بن يزيد بن ماجه القزوينيّ (ت ٢٧٥هق) ، تحقّيق : فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التُّراث ، بيروت ، الطَّبعة الأولىٰ ١٣٩٥ هـ. ونشر دار الفكر ، طبعة ـ بيْروت ١٣٧١ هـ.

٤٩ . سنن التّرمذي ، لأبي عيسىٰ محمَّد بن عيسىٰ بن سورة التّرمذي (ت ٢٩٧هـ) تحقّيق : أحمد محمَّد شاكر ، دار إحياء التُّراث ، بيروت .

٥٠ . سنن الدار قطني ، لأبي الحسن عليّ بن عمر البغدادي المعروف بالدار قطني ، (ت ٢٨٥هـ) تحقّيق : أبو الطّيب محمّد آبادي ، عالم الكتب ، بيروت ، الطّبعة الرّابعة ١٤٠٦هـ، طبعة بولاق بالقاهرة .

٥١ . سنن النّسائي ، الحافظ المتوفّى سنة (٣٠٣هـ) . طبعة دار الكتب العلمية . بيروت ـ لبنان .

٥٢ . سنن أبي داود ، لأشعث السّجستانيّ الأزديّ (ت ٢٧٥ هـ ق) ، إعداد وتعليق : عزّت عبد الدّعاس ، طبعة دار الحديث الطّبعة الأولى ـ حمص ١٣٨٨هـ وطبعة مصطفى البابيّ ـ مصر ١٣٩١هـ.

٥٣ . سير أعلام النُّبلاء ، محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبي (ت ١٣٧٤ م) . تحقّيق : مجموعة من الباحثين تحت إشراف : شعيب الأرناؤط . مؤسّسة الرّسالة بيروت ـ لبنان .

٥٤ . السّيرة النّبوّية بهامش السّيرة الحلبية ، لأحمد بن زيني بن أحمد دحلان (ت ١٣٠٤هـ) طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٨هـ.

٥٥ . سِفر التّثنية الإصحاح (١٤) .

حرف الشّين

٥٦ . شذرات الذّهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي المعروف بابن العماد (ت ١٠٨٩ هـ ق) ، تحقّيق : الأرناؤط ، طبعة ـ بيروت ، ودمشق ١٤٠٩ هـ، ونشر مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٠هـ.

٥٧ . شرح نهج البلاغة ، للشّيخ محمّد عبده ، طبعة دار الكتاب العربيّ ١٤٠٦ هـ، طبعة الفجّالة الجديدة ـ مصر ١٤٠٣هـ.

٥٨ . شرح نهج البلاغة ؛ للخوئيّ . طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٦هـ.

٥٩ . شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد المعتزليّ (ت ٦٥٦هـ ق) ، تحقّيق : محمّد أبو الفضل ، طبعة ـ بيروت ١٤٠٩هـ.

٦٠ . شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، عبدالحميد بن هبة الله (ت : ٦٥٥هـ) . طبعة بيروت (١٣٧٤هـ) . وبتحقّيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم . طبعة دار إحياء الكتب العربيّة ـ مصر .

٦١ . شَرح القَصيدة الرّائيّة تتمّة التّترية للدّكتور جَعفر جوّاد الخَليلي .

حرف الصّاد

٦٢ . صَحيح البُخاري ، لأبي عبدالله محمَّد بن إسْماعيل بن إبراهـيم بـن الـمغيرة الجـعفي البُخاري ، (ت ٢٥٦ هـ) ، تحقّيق : مصطفىٰ ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، الطَّبعة الرّابعة ١٤١٠ هـ، ومطبعة المصطفائي ١٣٠٧ هـ.

٦٣ . شرح صَحيح البخاريّ ، عبد الله محمَّد بن إسماعيل ، لمحمود بن أحمد العينيّ (ت ٨٥٥ هـق) ، مطبعة الفجّالة الجديدة ـ مصر ١٣٧٦ هـ.

٦٤ . صَحيح التّرمذيّ ، لعيسىٰ بن سورة التّرمذيّ ، (ت ٢٩٧ هـق) ، طبعة بيروت ١٤٠٥ هـ. مطبعة المكتبة السّلفية بالمدينة المنورة .

٦٥ . صَحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النّيسابوري ، (ت ٢٦١ هـق) ، تحقّيق : محمَّد فؤاد عبد الباقي ، طبعة ـ بيروت ١٣٧٤ هـ. دار الحديث ـ القاهرة ، الطَّبعة الاولىٰ ١٤١٢ هـ، ودار إحياء التُّراث العربي ، بيروت .

٦٦ . صفوة الصَّفوة ، لأبي الفرج عبدالرَّحمن بن عليّ الجوزي (٥٩٧ هـ) . مؤسَّسة الكـتب الثَّقافية . بيروت : لبنان . وبتحقّيق : ماخوري قلعجي .

حرف الطّاء

٦٧ . طبقات الشّافعية ، لعبد الوهَّاب بن عليّ تاج الدِّين السُّبكي (٧٧١ هـ) ، تحقّيق : الحلو ، والطّناحي ، دار إحياء الكتب العَربيّة بالقاهرة ١٣٩٦ هـ.

٦٨ . طبقات الشّافعية الكبرىٰ ، لتقي الدّين أبي الحسن عليّ بن عبد الكافيّ السّبكيّ (ت ٧٧١ هـق) ، تحقّيق : عبد الفتّاح محمَّد الحلو ، ومحمود محمَّد الطّناحي ، دار إحـياء الكـتب العَربيّة . طبعة عيسىٰ البابيّ ـ مصر ١٣٨٣ هـ.

حرف العين

٦٩ . عيون الأنباء في طبقات الأطباء لموفق الدِّين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن

يونس السّعدي الخزرجي ، نشر دار مكتبة الحياة بيروت ، تحقيق : الدّكتور نزار رضا .

٧٠ . العقد الفريد ، أحمد بن محمَّد بن عبد ربِّه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) . دار الكتب العلمية . بيروت : لبنان . وبتحقّيق أحمد أمين وجماعة ، طبعة القاهرة . وتحقّيق : محمَّد سعيد العريان .

حرف الفاء

٧١ . فتح الباري شرح صَحيح البُخاري ، محمَّد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ) . طبعة بولاق (١٣٠١هـ) . طبعة السَّلفية (١٣٩٠هـ) .

٧٢ . فتح الباري شرح صَحيح البُخاري ، لأحمد بن عليّ بن محمَّد بن حجر العسقلاني ، (ت ٨٥٢هـ ق) ، النّاشر : دار إحياء التُّراث العربي ، بيروت ، والمطبعة السّلفية مصر ١٣٨٠ هـ ، وتحقّيق : عبد العزيز بن عبدالله بن باز ـ القاهرة ١٣٩٨ هـ

٧٣ . الفتوح ، أحمد بن أعثم الكوفي . أجزاء . دائرة المعارف الحيدريَّة . النَّجف ١٩٦٢م / ١٣٨٢هـ .

٧٤ . الفردوس بمأثور الخطاب ، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فنا خسرو الدّيلمي الهمداني (إلكيا) (ت ٥٠٩ هـ ق) ، تحقيق : السّعيد بن بسيوني زغلول طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطَّبعة الأولىٰ ١٤٠٦هـ ، و ١٤١٩هـ .

٧٥ . فيض القدير ، لمحمَّد بن عليّ الشّوكاني ، (ت ١٢٥٠ هـ) ، طبع دار الصَّحابة .

٧٦ . فيض القدير شرح الجامع الصَّغير ، لأبي زكريا يحيىٰ بن محمَّد عبد الرّؤوف المناويّ (ت ١٠٣١ هـ ق) ، الطَّبعة الأولىٰ ـ القاهرة ١٣٥٦ هـ .

٧٧ . فرَائد الأُصُول ، الشَّيخ الأعظَم مُرتَضىٰ الأنصَاري ، إعدَاد لُجنَة تَحقيق : وَنَشر تُـرَاث الشَّيخ الأعظَم .

٧٨ . الفَلسفَة بنَظرة عِلمية تأليف راسل تَرجمة زكي نَجيب مَحمُود .

٧٩ . الفَلسفَة بنَظرة عَصريَّة تَرجمة الدّكتور زَكي نَجيب مَحمُود .

حرف القاف

٨٠ . قَاموس الكتَاب المُقدّس لمَجمع الكنَائس الشَّرقيَّة.

٨١ . قصص ٱلأنبياء . عبدالوهَّاب النَّجار . طبعة دار إحياء التُّراث العربي . بيروت ـ لبنان .

حرف الكاف

٨٢ . الكافي (الأصول) ، المطبعة الإسلاميَّة . عام (١٣٨٨ هـ. ق) . طهران .

٨٣ . الكامل في التَّأريخ ، لأبي الحسن عليّ بن أبي الكرام محمَّد محمَّد بن عبدالكريم الشَّيباني المعروف بٱبن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) . عني بمراجعة أصوله : نخبة من العلماء . دار الكتاب العربي . بيروت ـ لبنان .

٨٤ . كتَاب المُخابرات الأَمركيَّة ، نَشرته مجلّة الحوَادث البَيروتيَّة في أعدَاد مُتتابعة سنَة (١٩٧٧ م) ، ومجلّة الكَاتب المَصريَّة العَدد (١٠١) من السّنة التّاسعة ، ومجلّة عَالم الفِكر الكُويتيَّة العَدد الأوّل من المُجلّد الثَّامن .

٨٥ . كِتَاب أَفْيُون الشُّعُوب للعَقّاد .

٨٦ . كتَاب المَنطق للدّكتور جَميل صليبا .

٨٧ . كتَاب خرَافة المِيتافيزيقَا لزَكي نَجيب مَحمُود .

٨٨ . كتَاب فصُول في الفَلسفَة للفَيلسوف جَود تَرجمة عَطية مَحمُود ومَاهر كَامل ، طَبعة ١٩٥٦ م .

٨٩ . كتَاب فلأَسفَة الحُكم للعقّاد .

٩٠ . كتَاب السّلطان لرُسل ترجمة خيري حمّاد .

٩١ . كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال ، لعلاء الدّين عليّ المتّقي ٱبن حسام الدّين الهندي (ت ٩٧٥ هـ) ، تصحيح صفوة السّقا ، مكتبة التُّراث الإسلامي ـ بيروت ، الطّبعة الأولىٰ ١٣٩٧ هـ، وطبْع دار الوعي حلب ١٣٩٦ هـ.

حرف اللاّم

٩٢ . لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدّين محمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، (ت ٧١١هق) ، الطَّبعة الأولىٰ دار صادر ـ بيروت ١٤١٠ هـ.

٩٣ . لسان الميزان ، لأبي الفضل أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (ت ٨٥٢هق) ، تحقّيق : عادل أحمد عبد الموجود ، وعليّ محمَّد معوض ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطَّبعة الأولىٰ ١٤١٦هـ.

حرف الميم

٩٤ . مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد ، لعليّ بن أبي بكر الهيثميّ (ت ٨٠٧هق) ، تحقّيق : عبدالله محمَّد درويش ، طبعة دار الفكر ، الطَّبعة الأولىٰ ـ بيروت ١٤١٢ هق) ، مصوَّرة عن طبعة القدسيّ ١٣٨٩ هق ، طبعة ـ القاهرة الثَّانية بدون تأريخ .

٩٥ . المَبدأ والمعَاد ، لصَدر الدِّين مُحمّد الشّيرازي .

٩٦ . مجلّة الفِكر المُعاصر المَصريَّة العَدد (٦٧) .

٩٧ . مجلّة الدّراسات الأدبية التّي تَصدر عن الجَامعة اللّبنانيَّة ، مجمُوعة السّنة الرَّابعة .

٩٨ . مجلّة الطّليعة المَصريَّة في عَدد ديسمبر كانُون الأوّل سنَة ١٩٧٣ م .

٩٩ . مجلّة الهلاَل المَصريَّة تأريخ أكتوبر تَشرين الأوّل (سنَة ١٩٧٣ م) .

١٠٠ . مَدخل إلىٰ الفَلسفَة (جون هرمان) تَرجمَة الدّكتور مِلحم قُربان ، طَبعة ١٩٦٣ م .

١٠١ . المُجتمع البَشري للفَيلسُوف الإنجلِيزي الشّهير (رُسل) تَرجمة عَبدالكَريم أحمَد .

١٠٢ . مجلة عالم الفكر الكويتية ، العدد الرّابع من المجلد الأوّل .

١٠٣ . مجلة العربي الكويتية عدد آب ١٩٧٤ م مقالاً بعنوان المرض النّفسي .

١٠٤ . المحاسن ، لأبي جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ت ٢٨٠ هـ) ، تحقيق :السّـيِّد مهدي الرَّجائي ، المجمع العالمي لأهل البيْت ـ قم ، الطّبعة الأولىٰ ١٤١٣ هـ.

١٠٥ . المحلىٰ ، لأبي محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد آبن حزم الظّاهري ، دار الفكر .

١٠٦ . مرآة الجنان وعبرة اليقظان لأبي محمّد بن أسعد بن عليّ بن سليمان اليافعي ، نشر دار

الكتاب الإسلامي القاهرة (١٤١٣ هـ).

١٠٧ . المستدرك على الصَّحيحين ، لأبي عبدالله محمَّد بن عبدالله الحاكم النَّيسابوري ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطَّبعة الأولى ١٤١١ هـ، طبعة حيدر آباد .

١٠٨ . مسند أحمد ، لمحمَّد بن حنبل الشَّيبانيّ (ت ٢٤١ هق) ، تحقِّيق : عبد الله محمَّد الدّرويش ، طبعة دار الفكر ، الطَّبعة الثَّانية ـ بيروت ١٤١٤ هـ، طبعة جامعة أم القرى السّعودية ، طبعة دار العلم ١٤٠٣ هـ.

١٠٩ . مسند ابن ماجه ، لمحمَّد بن يزيد القزوينيّ (ت ٢٧٥ هق) ، تحقِّيق : فؤاد عبد الباقي ، نشر دار الفكر ، طبعة ـ بيروت ١٣٧١ هـ، دار إحياء التُّراث ، بيروت ، الطَّبعة الأولى ١٣٩٥ هـ.

١١٠ . مسند الطّيالسيّ ، لسليمان بن داود الطّيالسيّ (ت ٢٠٤ هق) ، طبعة دار صادر ـ بيروت ١٤٠٢ هـ.

١١١ . مُسنَد الشّهَاب لمُحَمَّد بن سَلاَمَة بن جَعفَر القُضَاعيّ ، حَقَّقهُ وَخَرَّج أحَاديثهُ ، حَمْدِي عَبدالمَجِيد السَّلَفيّ .

١١٢ . المحرّر الوجيز في تَفسير الكتاب العزيز لإبن عَطية .

١١٣ . المَذاهب الوجُوديَّة تأليف (رجيس جوليفيه) تَرجمة فؤاد كَامل .

١١٤ . المصنَّف ، عبدالرَّزاق بن همَّام الصَّنعاني (٢١١ هـ) . تحقِّيق : حبيب الرَّحمن الأعظمي . منشورات المجلس العلمي ، طبعة بيروت سنة (١٣٩٠ هـ) وما بعدها .

١١٥ . المعارف ، لأبي محمّد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدّينوريّ (ت ٢٧٦ هق) ، حقَّقه وقدمَّ له ثروت عكاشه : منشورات الشَّريف الرّضيّ الطّبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

١١٦ . المعجم الصَّغير ، لأبي القاسم سليمان ابن أحمد بن أيوب بن مطير اللَّخمي الشَّامي الطّبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقِّيق : محمَّد عثمان ، دار الفكر ، بيروت ، الطَّبعة الثَّانية ١٤٠١ هـ.

١١٧ . المعجم الأوسط ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطَّبري (٣٦٠ هـ) . مكْتبة المعارف - الرّياض . الطَّبعة الأولى (١٤٠٧ هـ) . قام بإخراجه : إبراهيم مظفر وآخرون . تحت إشراف : مجمع اللُّغة العَربيَة ـ مصر .

١١٨ . المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد اللّخمي الطّبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقّيق : حمدي عبد المجيد السّلفي ، دار إحياء التُّراث العربي ، بيروت الطّبعة الثّانية ١٤٠٤ هـ

١١٩ . المعجم الأوسط ، لأبي القاسم سليمان آبن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخمي الشّـامي الطّبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقّيق : طارق بن عوض الله ، وعبد الحسن آبن إبراهـيم الحسـينيّ ، دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥ هـ.

١٢٠ . المُعجم الفَلسفي للدّكتور صليبا م . د . ي .

١٢١ . مجمع البيان في تفسير القرآن ، لأبي عليّ الفضل بن الحسن الطّبرسيّ (ت ٥٤٨ هـق) ، طبعة دار المعرفة ـ بيروت ١٤١٩ هـ، طبعة دار إحياء التُّراث العربي .

١٢٢ . المغني ، لأبي محمَّد موفق الدّين محمَّد بن عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) ، دار الكتاب العربي بيروت ١٣٥٩ هـ، طبعة محمَّد عليّ صبيح وأولاده .

١٢٣ . المغني ، لأبي محمَّد عبدالله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة المقدسيّ ، علىٰ مختصر لأبي القاسم عمر بن الحسيْن بن عبد الله بن أحمد الخرقي مطبعة المنار ـ مصر ١٣٤٢ هـ.

١٢٤ . مقدَّمة آبن خلدون ، لاِبن خلدون المغربي (ت ٨٠٨ هـ) ، دار الجبل بيروت .

١٢٥ . الملل والنِّحل ، لأبي منْصور عبد القاهر بن طاهر بن محمَّد الّتميمي البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) ، تحقّيق : البير نصري نادر ، طبعة دار المشرق ، بيروت ١٩٧٠ م .

١٢٦ . الملل والنِّحل ، لأبي آلفتح ، محمَّد بن عبدالكريم الشّهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) علىٰ هامش (الفصل) ، لاِبن حزم الظَّاهري ، الطَّبعة الثَّانِية ، أفست ، دار المعرفة بيروت .

١٢٧ . ميزان الإعتدال في نقد الرِّجال ، لأبي عبد الله محمَّد بن أحمد الذّهبي ، (ت ٧٤٨ هـق) ،تحقّيق محمَّد البجاوي ، طبعة دار المعرفة للـطّباعة والنّشـر بـيروت ١٩٦٣ م ، وطبع القاهرة ١٣٢٥ هـ، دار الفكر بيروت .

١٢٨ . الميزان في تفسير القرآن ، لمحمَّد حسين الطَّباطبائي ، دار الكتب الإسلاميَّة ، طهران ، الطَّبعة الثّالثة ١٣٩٧ هـ.

١٢٩ . ميزان الإعتدال ، محمَّد بن أحمد بـن عـثمان الذَّهـبي (ت ٧٤٨ هـ) . تـحقّيق : عـليّ

البجاوي . طبعة القاهرة (١٩٦٣ م) .

حرف النّون

١٣٠ . النّهاية في غريب الحديث والأثر ، لأبي السّعادات مبارك بن مبارك الجزري المعروف بأبن الأثير الشّيباني الشّافعي (ت ٦٠٦ هـ) ، تحقّيق : ظاهر أحمد الزّاوي ، مؤسّسة إسماعيليان ، قم ، الطّبعة الرّابعة ١٣٦٧ هـ .

حرف الواو

١٣١ . وسائل الشيعة، محمّد بن الحسن الحر العاملي(ت ١١٠٤ هـق)، الطّبعة الخامسة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٤٠٣ هـ

١٣٢ . الوافي بالوفيّات ، لصفيّ الدّين خليل بن أيبك الصّفدي ، دار النّشر فرانزشتانيز ـ قيسبادان .

١٣٣ . وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان ، لشّمس الدّين أبي العبّاس أحمد بن محمّد البرمكيّ المعروف بأبن خلّكان (ت ٦٨١ هـق) ، تحقّيق : الدّكتور إحسان عبّاس ، طبعة دار صادر ـ بيروت ١٣٩٨ هـ.

١٣٤ . P. DydDrink Water,Theotline of Liter Ture 290

١٣٥ . Story of Philosphy, Will Durant.p.220